بعد ٥٠٠ عام من سقوط الأندلس

١٤٩٢م - ١٩٩٢م

الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه وسلم

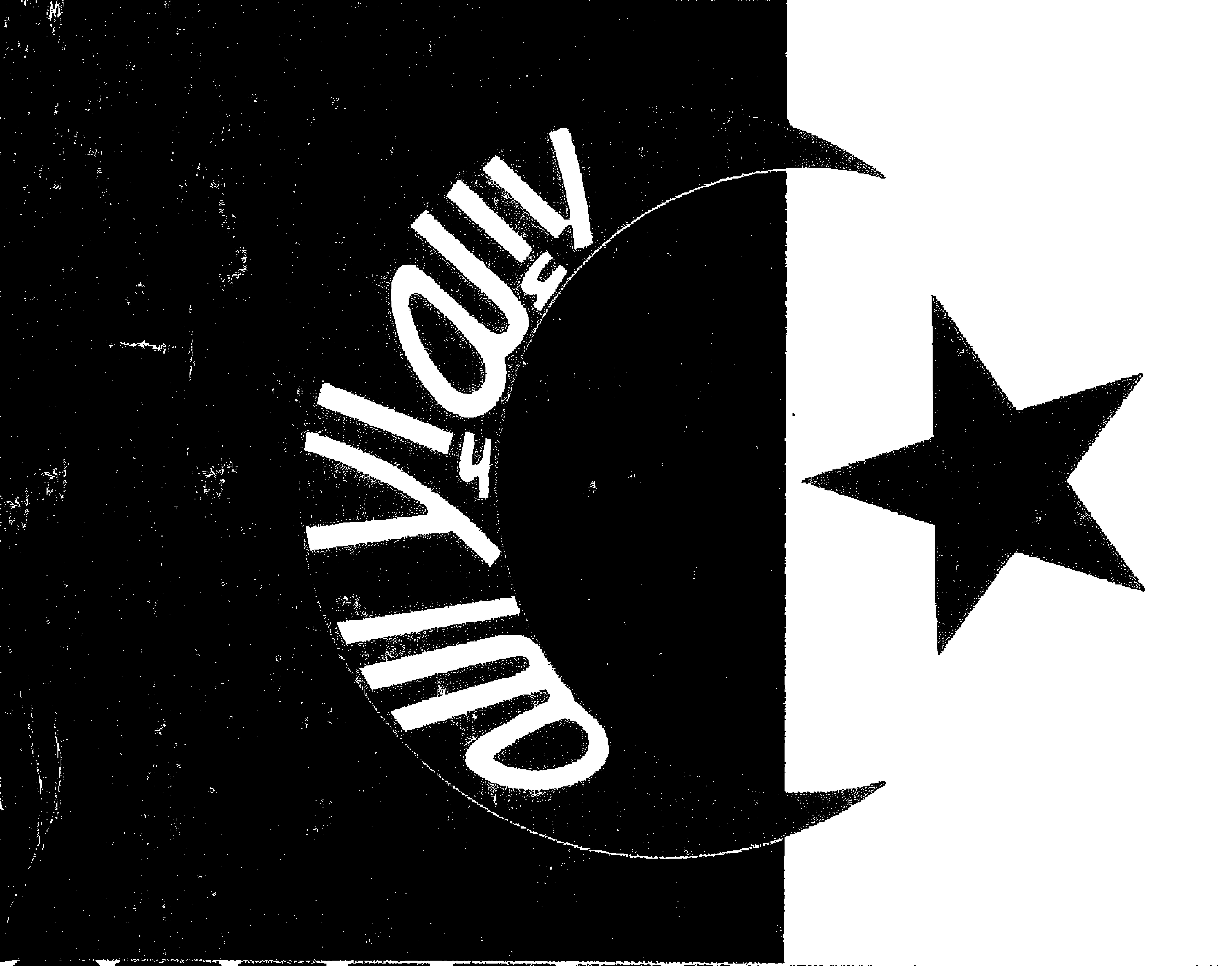

مورو

المختار الإسلامي

Bibliotheca Alexandrina
01326642

بعد ٥٠٠ عام من سقوط الأندلس

١٤٩٢م - ١٩٩٢م

الجزائر تعود لمحمد ﷺ

د. محمد مورو

الناشر

المختار الإسلامي

للطبع والنشر والتوزيع

١٦ شارع كامل صدقي بالفجالة

القاهرة ت ٩١١٣٧١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٣١٤١

الترقيم الدولي ٤ -٠٣٨- ٢٢٠ -٩٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر ولكنه احتفال بتشييع جنازة الإسلام فيها »

المستعمر الفرنسى (١٩٣٠ م) .

نبذة تاريخية

منذ أن دخل أهل المغرب العربى فى الاسلام فى القرن الأول الهجرى فانهم كانوا ومازالوا يحملون راية هذا الدين بأمانة وشرف سواء كان ذلك فى حالات انتصاره أو تراجعه أو صموده . ولم تسقط رايه هذا الدين من أيديهم قط رغم الأهوال والصعاب التى عانوها على يد حملات الحقد الصليبى المبكر والمتأخر . ولم تنجح كل تلك الحملات البشعة فى استئصال الاسلام من قلوبهم - ومازال الاسلام هو القوة الخالدة والباقية كجذوة من نار مقدسة لاتقبل أن تنطفئ ولن تقبل باذن الله - ولكنها ستمتد من جديد وتصبح نارا عملاقة تمتد فى كل اتجاه شمالا فى أوروبا وغربا فى الأمريكتين وجنوبا فى أفريقيا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

ولقد دخل الاسلام بلاد المغرب منذ عام ٢٣هـ عندما بدأت المحاولة الأولى للاتجاه غربا على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه بعد أن أتم الله له فتح مصر واستمرت تلك المحاولات على يد عبد الله بن مسعد بن أبى السرج (٢٧هـ إلى ٣٥هـ) ثم رافع بن خديج سنة ٤٥هـ - ثم عقبة بن نافع من ٥٠هـ - ٥٥هـ ثم أبو المهاجر بن دينار من ٥٥هـ - ٦٢هـ الذى استطاع أن يضم إليه رجال القبائل من البربر وأن يستخدمهم فى فتوحاته بعد إسلامهم - ثم مرة أخرى عقبة بن نافع الذى استطاع أن يصل الى ساحل المحيط الأطلسى (٦٢هـ - ٦٤هـ) حيث قال قولته المشهورة «اللهم اشهد أنى قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر» (يقصد المحيط الأطلسى لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لايعبد أحد سواك)، وبعده قام زهير بن قيس بتوطيد دعائم الحكم الاسلامى فى بلاد المغرب ثم حسان بن النعمان (٧٣هـ إلى ٨٢هـ) ومنذ ذلك اليوم أصبح أهل المغرب العربى هم رجال الاسلام الاشداء - ومجاهدوه البواسل وطلائعه فى الفتح والغزو وتحصين ثغور الاسلام ومواجهة التحدى الصليبى الغاشم .

وعقب ذلك جاء موسى بن نصير فأكمل الفتح وثبت دعائمه (٨٦هـ) وقام

بالهجوم على الجزر المنتشرة فى البحر الأبيض المتوسط مثل صقلية - سردينيا - قورسيقا - جزر البليار - ثم أعد عدته وأرسل الجيش المسلم المكون من رجال القبائل (البربر) بقيادة المجاهد طارق بن زياد والى طنجة وهو أيضا ينتمى إلى البربر فاجتازوا المضيق ووصلوا إلى أسبانيا وهزموا ملك القوط وأسسوا الحكم الاسلامى فى الأندلس الذى استمر من ٩١هـ - ٧١١م - ١٤٩٢م أى حوالى ثمانية قرون كاملة .

وتشير الروايات التاريخية إلى أن موسى بن نصير حينما بلغ جبال البرانس فى أسبانيا طمع فى عبورها وغزو ماوراءها من بلاد أوروبا شرقا حتى القسطنطينية - ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك منعه من ذلك - ولو كان موسى بن نصير فعل ذلك لتغير وجه التاريخ ولانتهت الى الأبد أديان الشرك والوثنية ذات القشرة المسيحية من أوروبا ولأصبح العالم كله مسلما ولكن قدر الله وماشاء فعل .

واستمر التقدم الاسلامى فى أوروبا بيد البربر المسلمين أنفسهم - الذين أصبحوا خير جند الاسلام - وغزوا جنوب فرنسا إلى أن أستشهد سنة ١٠٢هـ عقب موقعة خاسرة الا أن خليفته عنبه بن سحيم الكلبى تابع حركة الفتح فى تلك النواحى وبلغ نهر الرون وفتح مدينة ليون الفرنسية ثم توغل حتى بلغ مدينة أوتون فى أعالى نهر الرون - واستمر هذا المجهود بعد ذلك على يد عبد الرحمن الغافقى منذ خرج بجيشه سنة ١١٤هـ - ٧٣٢م لمواصلة غزو فرنسا فاستولى على مدينة بوردو على مصب نهر الجارون الى أن توقف عقب معركة بلاط الشهداء التى استشهد فيها عبدالرحمن الغافقى سنة ١١٤ه - ٧٣٢م ولما توقف الغزو الاسلامى فى بلاد أوروبا عن طريق الأندلس كان من الطبيعى أن يحدث هجوم مسيحى صليبى مضاد فهذه هى سنة الله فى خلقه وسنة الصراع بين الحق والباطل منذ الأزل والى الأبد، وكان من الطبيعى أيضا أن يحدث النزاع والشقاق والانقسام بين المسلمين ويرجع ذلك إلى سمة هامة من سمات المجتمع المسلم وهى إما أن يقوم هذا المجتمع بأداء رسالته فى الجهاد وتحرير الشعوب من الطواغيت والحكام الظالمين وإما أن

تحدث شروخ فى كيان ذلك المجتمع - فالمجتمع المسلم إما أن يجاهد وإما أن يتمزق ويتفرق ويحدث البأس بين أهله بعضهم بعضا ، واستمرت سيوف أهل المغرب هى الدرع وهى الحامى للاسلام - برغم تفرق كلمة الحكام وانقسامهم إلى شيع وأحزاب . فهاهم المرابطون ينطلقون على رأس جيوش المغرب ليعيدوا توحيد الأندلس وينزلوا الهزيمة بالأسبان فى موقعة الزلاقة سنة ١٠٨٦م ويظل أهل المغرب يحافظون على الحكم الاسلامى فى الأندلس بسيوفهم طوال حكم المرابطين وجزء كبير من حكم الموحدين حتى سنة ٦١٢هـ - ١٢١٤م ويعود حكم الطوائف مرة أخرى ليعطى الفرصة للأسبان لتحقيق حلمهم فى إنهاء الحكم الاسلامى للأندلس سنة ١٤٩٢م . أى أن سيوف أهل المغرب كان لها الفضل فى فتح الأندلس والمحافظة عليها ثمانية قرون كاملة . ونقصد هنا بأهل المغرب أهلها من البربر ومن أقام فيها من العرب الفاتحين وماتنتج عن اختلاط وتزاوج العناصر المختلفة من أهل البلاد الأصليين ومن العرب الفاتحين- وفى الواقع فإن الاندماج كان كاملا لأن الاسلام بعقيدته العالمية لايفرق بين عرق وعرق ولابين قوم وقوم بل فى أحيان كثيرة كان أهل البلاد الأصليين أكثر حماسا وتمسكا بالاسلام وعملا على نشر رايته من العرب الفاتحين أنفسهم وهذه فى الحقيقة هى معجزة الاسلام الكبرى .

وقد يحاول البعض استخدام مسألة قيام الثورات أو الفتن أو الحروب الداخلية فى المغرب والأندلس كدليل على عكس الكلام السابق - ولكن الحقيقة التاريخية المجردة تقول إن كل الثورات أو الاضطرابات فى بلاد المغرب والأندلس لم تكن ثورات على الحكم الاسلامى - بل كانت ثورات واضطرابات فى إطار الحكم الاسلامى بل وربما لتأكيد هذا الحكم أو تخليصه من السلبيات، وكان من الملاحظ أن الاضطرابات بين فريقين كانت من أجل الحكم أو رفضا للاستبداد أو امتدادا طبيعيا للخلافات الناشئة فى المشرق الاسلامى بين الفرق الاسلامية مثل الأمويين والعباسيين - الشيعة - الخوارج أوغيرها - وكان العرب والبربر والمولدون يوجدون فى جيوش الفريقين المتحاربين على السواء . بل ربما كان البربر مثلا فى معظم

الأحيان يميلون إلى الفرق الاسلامية الاكثر تطرفا فى تمسكها بالإسلام مثل الخوارج والشيعة . أى أن محصلة كل هذا أن أهل المغرب قد اعتنقوا الاسلام كدين وكحضارة وأصبحوا جزءا لايتجزأ من الجسم الاسلامى عموما . يقومون بواجب الجهاد فى سبيله - وتحدث بينهم الخلافات العقائدية والسياسية التى انتشرت فى المراكز الإسلامية الأخرى على السواء وهم فى ذلك مثلهم مثل بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر . وفى الحقيقة فإن أى دارس منصف لتاريخ تلك البلاد يجد أن المغرب والأندلس قد أصبحتا تقريبا كيانا واحدا وهما بدورهما جزء لايتجزأ من الكيان الإسلامى ككل ، والمتتبع للتطور الحضارى والسياسى والفقهى فى تلك البلاد يجد أنها نفس التطورات التى سادت بلاد العالم الاسلامى عموما . وكان التأثير متبادلا بين كل أقطار العالم الاسلامى بطريقة تجعل من المستحيل اختصاص جزء منها بتطور حضارى أو سياسى خاص وعلى كل حال - فقد انتشر مذهب الإمام الأوزاعى فى بلاد المغرب والأندلس ثم مذهب الإمام مالك الذى ساد تلك البلاد ومازال حتى اليوم . وظهرت كل الأفكار السياسية التى ظهرت فى المشرق فى تلك البلاد مثل مذاهب الشيعة - الخوارج وغيرها . بل إن نمط البناء والملابس والفنون وأساليب الحياة كانت تقريبا واحدة فى بلاد المشرق الاسلامى والمغرب الاسلامى على السواء .

إذن وكما قلنا من قبل فإن سيوف أهل المغرب كان لها الفضل فى فتح الأندلس وتأمينها فترة طويلة ومنذ فتح الأندلس أصبحت بلاد المغرب والأندلس شيئا واحدا تقريبا فى إطار الجسم الإسلامى عموما . فأصبح هناك شكل من أشكال الاتصال العضوى بين الطرفين والحاكم الأقوى سواء كان على هذا الجانب أو ذاك من مضيق جبل طارق كان يهيمن شكلا أو موضوعا على الجانبين . وعلى كل حال فإن السيوف المغربية فى المغرب والأندلس كان لها الفضل بعد ذلك فى فتح جزيرة كريت بقيادة زعيمهم أبى حفص عمر البلوطى سنة ٨٢٥ (والبلوطى رجل مغربى ينتمى إلى المنطقة الجبلية المحيطة بقرطبة) . وبذلك انتهت السيطرة البيزنطية على جزيرة

كريت وأصبحت جزيرة كريت مصدر تهديد مستمر لجزر وسواحل الدولة البيزنطية إذ أخذ الأسطول الاسلامي في كريت يغير على سواحل بيزنطة وممتلكاتها وتجارتها

كما أنه من المعروف أن الأمويين اعتمدوا في حماية سواحلهم على جماعات بحرية مغربية وأندلسية من المولدين والبربر والمستعربين - وأن هؤلاء انتشروا في بلدان الساحل الشرقي الأندلسي وكانت لهم فيها مراسي ورباطات ودور صناعة - كما انتشروا في جهات الساحل الأفريقي الشمالي على شكل جاليات مغربية وأندلسية متفرقة ومن أهم المدن التي أسسوها هناك مدينة تنس سنة ٢٦٢هـ ومدينة وهران سنة ٢٩٠هـ ويشير البكري أن بعض هؤلاء البحريين المغاربة والأندلسيين كانت لهم مغامرات ومحاولات في المحيط الأطلسي لكشف غياهبه في منتصف القرن الثالث الهجري ومثال ذلك ما أورده البكري عن خشخاش بن سعيد بن أسود الذي خاطر مع جماعة من الأحداث فركبوا المراكب ودخلوا البحر وغابوا فيه مدة ثم عادوا بغنائم واسعة واطبار مشهورة - وقد ظهر اسم خشخاش ووالده سعيد بن أسود ضمن قادة الأساطيل التي قاتلت النورمانديين في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(١) .

ويروى الأدريس (٢) أن جماعة من المغاربة توغلوا في المحيط الأطلسي في منتصف القرن الثالث الهجري ووصلوا إلى جزر الكناريا .

أما عن النشاط الحربي لهذه الجماعات في حوض البحر المتوسط فيظهر بوضوح في الغارات البحرية التي شنتها أساطيلهم على سواحل وجزر الدولتين الرومانية المقدسة (الكارولنجية) والبيزنطية في البحر المتوسط(٣) .

ومن الطريف أنه في نفس السنة التي استولى فيها الأندلسيون والمغاربة على جزيرة كريت أي سنة ٢١٢هـ استولى أيضا الاغالبة حكام أفريقيا على جزيرة

---

(١) البكري - المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب .

(٢) الأدريس - نزهة المشتاق .

(٣) د . أحمد مختار العبادي - في تاريخ المغرب والأندلس .

صقلية بقيادة قاضى القيروان أسد بن الفرات وقد شارك فى هذه الحملة المغاربة والأندلسيين المقيمين فى شمال افريقيا - ولم يقتصر الأمر على الاستيلاء على جزيرة صقلية بل دعم هؤلاء المجهود الحربى للمسلمين فى البحر الأبيض المتوسط عموما.

وبالاضافة إلى ما سبق فان الامير عبد الرحمن الأوسط أمير الأندلس - قاد الأندلسيين والمغاربة فى هجوم بحرى مستمر على الشواطئ الكارولنجية فى جنوب فرنسا حتى قضى على المقاومة فيها مثل مرسيليا وآرل وماحولهما وشملت أيضا جزر البليار.

لم تقتصر جهود أهل المغرب على عمليات الفتح والغزو الاسلامى لبلاد الكفار. بل كانوا أيضا فى قلب المعارك التى تنشأ بين المسلمين أنفسهم بسبب الخلافات المذهبية وهذا يدل دلالة واضحة على أن أهل المغرب لم يدخلوا الاسلام فحسب بل أصبحوا جزء لايتجزأ من العالم الاسلامى يحاربون معاركه الخارجية ويتأثرون بالخلافات المذهبية التى ظهرت فى بلاد الاسلام وإذا تتبعنا الدول الاسلامية التى قامت فى المغرب نجد دولة الاغالبة وهى دولة سنية وكان لها الفضل فى انتزاع جزيرة صقلية التى أخذوا يغيرون منها على سواحل البحر الادرياتى وجنوب ايطاليا حتى بلغوا اسوار روما نفسها «استمرت دولة الاغالبة فى القيروان وتونس (١٨٤هـ - ٢٩٦هـ وكانت تحكم باسم الخلافة العباسية»، وكذلك نجد الدولة الرستمية «١٤٤هـ - ٢٩٦هـ» وهى دولة خارجية أباضية قامت فى المغرب الأوسط «الجزائر»، ثم الدولة المدرارية أو دولة بنى واسول» (١٤٠هـ - ٣٩٤هـ) وهى دولة خارجية صفرية فى جنوب المغرب الاقصى، بالاضافة إلى دولة الادارسة «١٧٢هـ - ٣٦٣هـ» وهى دولة علوية حسنية فى المغرب الاقصى. كما أن الدولة الفاطمية بدأت أيضا فى المغرب سنة ٢٩٦هـ ثم بسيوف أهل المغرب امتدت شرقا الى مصر ٣٥٨هـ.

وإذا ذكر جهاد شعب المغرب فى سبيل الاسلام - فلابد أن يذكر المرابطون. لاكثر من سبب وهو أولا أنهم أكثر من عرفهم تاريخ الاسلام جهادا فى سبيله. وهم مثار الفخر والاعتزاز لكل مسلم وثانيا لأن دولة المرابطين تأسست فى جانبيها

الروحي والسياسى على يد رجال ينتمون الى قبائل صنهاجه المغربية «نشأت دولة المرابطين على يد الزعيم السياسى الامير يحى بن ابراهيم والزعيم الدينى الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى - وكليهما من أصل صنهاجى» .

وثالثا أن الأصول الصنهاجية لكلا الزعيمين لم تؤد إلى التعصب القبائلى بل بالعكس تصرفا فى هذا الاطار تصرفا اسلاميا صرفا - ورابعا أن تلك الدولة استطاعت ان توحد المغرب سياسيا وعسكريا بل وفقهيا ومذهبيا «كانت دولة المرابطين سنية المذهب وتعتمد على فقه الامام مالك بن أنس» واستمرت آثار ذلك التوحيد حتى الآن فمازال المذهب السنى المالكى يسود بلاد المغرب حتى الآن . ورابعا ان رجال تلك الدولة اعتبروا الجهاد فى سبيل الله هو قضيتهم الأولى والأخيرة ولم يكفوا عن هذا الواجب قط مما كان له أبلغ الأثر فى تأخير سقوط الاندلس وتدعيم الاسلام فى المغرب وأفريقيا بل ان اسم دولتهم اشتق من كلمة الرباط وهى تعنى الجهاد فى سبيل الله والاستعداد له دائما - وخامسا لأن أعمال الرباط والجهاد التى قام بها هؤلاء المرابطون هى التى أنقذت الاسلام فى المغرب وأفريقيا من انهيار محقق قبيل ظهور المرابطين كانت الفوضى السياسية والدينية تضرب فى كل بقاع المغرب والاندلس وكانت أحوال المسلمين فى تلك البلدان قد وصلت الى حالة يرثى لها من التشرذم والتفرق وانتشار الخرافات والروح القبلية فى تلك المناطق بل وظهور أدعياء النبوه وانتشار نفوذهم .

وأيضا جهد المرابطون منذ خرجوا من الصحراء ٤٤٨هـ - ١٠٥٦ الى قتال المارقين على الاسلام من الوثنيين واليهود ثم السيطرة على كل بلاد المغرب وتوحيدها ثم امتدت الى باقى بلاد افريقيا حتى وصلت الى السودان واستطاع المرابطون أن يفتحوا بلاد غانا وينشروا الاسلام فيها وكذلك أقاموا على أنقاض مملكة غانا مملكة اسلامية هى مملكة مالى الاسلامية وكل ذلك بقيادة الزعيم المرابط الأمير ابى بكر بن عمر الذى استشهد وهو يجاهد فى السودان سنة ٤٨٠هـ - ١٠٨٧م ثم خلفه ابن اخيه يوسف بن تاشفين الذى هب لانقاذ بلاد الأندلس من

الهجمات الصليبية - ففى عام ٤٧٩هـ ١٠٨٦م عبر يوسف بن تاشفين بجيوشه الى الأندلس وسار إلى الشمال والتقى بجيش الفونسو السادس وأنزل بجيشه هزيمة نكراء فى موقعة الزلاقة . وتعد تلك الموقعة هى السبب الرئيسى فى صمود الأندلس الاسلامية إلى عام ١٤٩٢ أى أكثر من ٤٥٠ عاما أخرى إذ أن أحوال الأندلس فى ذلك الوقت كانت تنذر بسقوطها حيث كان الانقسام والتفرق والتشرذم قد دب فى أوصال المسلمين فى الأندلس - لدرجة أنه فى عام ٤٧٧هـ - ١٠٨٥م كان الفونسو السادس قد نجح فى توحيد مملكتى قشتاله وليون وبسط نفوذه على الممالك الاسبانية ثم قام باحتلال طليطله قاعدة الثغر الأدنى للمسلمين مما أدى إلى شطر أملاك المسلمين إلى شطرين كما تقدم وحاصر سرقسطة ولولا جيش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين الذى أرسله الله فى ذلك الوقت لكان سقوط دولة الأندلس الإسلامية قد حدث سريعا ، وعلى نفس الدرب سارت دولة الموحدين التى استطاعت أن تعيش قرنا كاملا وأن تصمد فى وجه الاسبان وأن تنزل بهم الخسائر والهزائم وخاصة فى موقعة الارك الشهيرة (٥٩٣هـ - ١١٩٥م) . ولكنها مالبثت أن تلقت هزيمة فى موقعة العقاب المشئومة (٦٠٩هـ - ١٢١٢م) وعاد شبح الفناء فى الأندلس يطل من جديد وبعد كروفر استمر ابناء المغرب فى محاولة حماية الأندلس دون جدوى الى أن سقطت فى يد الأسبان وانتهى الحكم الاسلامى فيها سنة ١٤٩٢م، وبرغم ان سنة ١٤٩٢ كانت النهاية الرسمية للحكم الاسلامى فى الاندلس - فانه فى الواقع منذ أن توقفت عمليات الهجوم الاسلامى فى أوروبا من الأندلس الاسلامية وخصوصا بعد معركة الزلاقة ١٠٨٦ فان الهجوم الصليبى المعاكس كان قد بدأ وكانت نهاية الاندلس الاسلامية أيضا قد بدأت .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان قد قيض للاسلام قوة شابه صاعدة هى الخلافة العثمانية فى القرن الخامس عشر الميلادى - واستطاعت تلك القوة أن تحفظ العالم الاسلامى من السقوط بيد الصليبيين الأوروبيين وأن توحد هذا العالم وأن تحمى بلاد المغرب العربى وتقويه وتجعله يصمد أمام الغارات الصليبية المتكررة على بلاده

بل وأن تمتد فتوحاتها الى قلب أوروبا .

ولاشك أن الصراع فى العالم ومنذ ظهور الاسلام أخذ فى طابعه العمومى الصراع بين حضارتين هما الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية . أى الصراع بين حضارة التوحيد والحق والحرية وانقاذ المستضعفين وتحطيم الطواغيت وبناء عالم تسوده قيم الحق والعدل والانصاف والاخوة فى الانسانية وعدم التمييز العنصرى - وبين الحضارة الغربية القائمة على القهر والعنف والانانية والتمييز الطبقى والعرقى والقومى .. والحضارة الغربية فى الحقيقة هى حضارة وثنية ذات جذور يونانية ورومانية وإن كانت قد اكتست بقشرة مسيحية - ولكن المسيحية ذاتها منذ أن دخلت أوروبا أخذت طابعا وثنيا رومانيا لدرجة أن طقوس تنصيب البابا نفسها هى نفس طقوس تنصيب الكهنه فى المعابد الوثنية الرومانية .

ولعله من المفيد هنا أن نؤكد أن التركيبة النفسية والحضارية للانسان المسلم والمجتمع المسلم مرتبطة برسالته فى الحياة أيما ارتباط - بمعنى أن ذلك الانسان يصبح فى حالة اتزان وبالتالى قدرة على العطاء الحضارى اذا مأدى تلك الرسالة والعكس صحيح تماما - وتلك الرسالة هى رسالة الجهاد لتحرير البشرية من الطواغيت ومن الأنظمة الاجتماعية الظالمة وإقامة مجتمع الاسلام الذى لا إكراه فيه فى الدين ولافرق فيه بين عرق وعرق أو جنس وجنس أو لون ولون .

وإذا تتبعنا التاريخ الاسلامى نجد أن تلك السمة واضحة وظاهرة ومؤكدة وهى أنه كلما كان المسلمون فى حالة هجوم وغزو لتحقيق رسالتهم كانوا يبدعون حضاريا وكلما كانوا فى حالة دفاع كانو يتخلفون حضاريا حتى ولو انتصروا فى دفاعهم هذا على القوى المهاجمة .

***

كانت الروح العملاقة والطاقة الجبارة التى انطلقت منذ عصر النبوة قد أدت إلى نجاح المسلمين فى تحقيق الانتصار والفتح فى الجزيرة العربية والشام والعراق وبلاد فارس ومصر فى أقل من عشرين عاما - ثم استمر الفتح ليشمل كل الأرض

المعروفة شرقا إلى الهند والصين وجنوبا فى إفريقيا وغربا حتى المغرب والأندلس وشمالا حتى عمورية وروسيا . وفى نفس الوقت يحقق المسلمون مجتمعا حضاريا متقدما ماديا وقيميا .

وكان من الطبيعى أن تتجمع قوى الشر والقهر فى العالم فى محاولة لوقف هذا المد الاسلامى الجبار - ولكن طالما كان المسلمون فى حالة هجوم وغزو فإن أى قوة مهما كانت لن تستطيع ان تقف فى طريقها .

وما أن توقف المسلمون عن الغزو والهجوم - فإن أحوالهم الحضارية والسياسية والاجتماعية قد تدهورت بصورة خطيرة وبدأ التفرق والتشرذم وقيام الدويلات المتطاحنة فى أرجاء العالم الاسلامى تعرف طريقها إلى حياة المسلمين . وكان من الطبيعى والحالة هذه أن تحاول قوى الشر أن تخوض معركة فى محاولة لضرب الاسلام والعالم الاسلامى - وكان الشر فى العالم قد انتهى إلى الحضارة الغربية الأوروبية ذات الجذور الوثنية اليونانية والرومانية بقشرة مسيحية .

وهكذا تم عقد مجمع كليرمونت فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م حيث تم الاتفاق فيه على الهجوم على العالم الاسلامى شرقا وغربا أى فى بلاد الشام والأندلس واستطاع البابا أربان الثانى أن يحشد أوروبا الصليبية فى صعيد واحد وأن يستغل حماس النساك والرهبان فى الدعوة الى هذه الحرب مثل بطرس الناسك وغيره وبدأ التدفق الصليبى على العالم الاسلامى منذ ١٠٩٦م وتتابعت الحملات الصليبية واستمرت لمدة قرنين الى أن انهزمت نهائيا سنة ١٢٩٤ ولم تعد مرة أخرى الا فى عام ١٧٩٨ على يد نابليون بونابرت أى بعد اكثر من ثلاثة قرون .

وفى نفس الوقت تقريبا توجهت جهود الصليبيين أيضا إلى الاندلس والمغرب العربى بتوجيه ودعم أيضا من البابا أربان واستمرت عدة قرون أيضا إلى ان انتهت بسقوط الاندلس وانتهاء الحكم الاسلامى فيها سنة ١٤٩٢م .

اذن فالمحصلة أن الحروب الصليبية ظهرت على أثر تقاعس المسلمين عن أداء واجبهم فى الغزو والهجوم وهو الشرط الوحيد لاستمرار تفوقهم الحضارى . وصحيح

أن الحروب الصليبية فى الشرق قد تمخضت عن هزيمة الحملات الصليبية وانتصار المسلمين عليهم - الا انها استمرت بعد ذلك بطرق جديدة ولم تهدأ من يومها لحظة - فأوروبا أدركت استحالة السيطرة على العالم الاسلامى من القلب فغيرت استراتيجيتها وبدأت تركز على الأطراف والحصار البحرى فظهرت الكشوف الجغرافية لمحاصرة العالم الاسلامى واستمرت فى نفس الوقت الحرب ضد بلاد المغرب العربى بالتحديد لمحاولة استئصال الاسلام منها - أى أن الحروب الصليبية التى انتهت فى الشرق عام ١٢٩٤م استمرت فى بلاد المغرب العربى ولم تنقطع يوما - وهذا يؤكد من جديد كم من الاعباء تحملها مسلمو المغرب العربى فى الدفاع عن الاسلام والمسلمين .

ولم تقتصر جهود أهل المغرب على نشر الاسلام والجهاد فى سبيله فى جزر البحر المتوسط والمحيط الأطلسى والاندلس بل قام أهل المغرب بجهود جبارة فى نشر الاسلام فى افريقيا كلها - بل ووصلوا أحيانا إلى السودان لنشر الاسلام وتدعيم الفتح الاسلامى فى تلك البلاد. وكانت بلاد المغرب دائما هى الاشعاع الذى تنطلق منه الجيوش أو الدعاة إلى افريقيا .

* * * * *

وإذا كنا نعتبر معركة الزلاقة ١٠٨٦م هى آخر المعارك الهجومية للمسلمين ضد الاسبان واذا كنا نعتبر ١٠٩٥م أى تاريخ عقد مؤتمر كليرمونت هو بداية الحملة الصليبية على العالم الاسلامى - وإذا كانت الحملة الصليبية على الشرق الاسلامى قد انهزمت واندحرت وبالتالى توقفت قليلا الى أن عادت من جديد على يد الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ثم تبعتها الحملات الانجليزية فان الحروب الصليبية على الغرب العربى لم تنقطع منذ ذلك الوقت وحتى يومنا - وشهدت بلاد المغرب معارك مستمرة مع المغرب الصليبى وتحمل أهلها أعباء الجهاد المستمر والمتواصل .

وإذا كانت دولة المرابطين ثم دولة الموحدين قد تحملت العبء الأكبر لايقاف الزحف الصليبى الأسبانى على الاندلس والمغرب فانه بسقوط دولة الموحدين بدأ الانقسام

يأخذ طريقه إلى بلاد المغرب والأندلس على السواء . ويدأ الزحف الاسبانى على الاندلس والمغرب العربى وانتهى بسقوط الاندلس ونهاية الحكم الاسلامى فيها سنة ١٤٩٢ ولكن المغرب العربى صمد رغم كل الظروف ورغم توالى الهجمات الاسبانية عليه ولكنه ايضا فقد موقعا هاما على الساحل المغربى مثل سبته ومليلة .

إذن فقد بدأت الهجمات الصليبية على بلاد المغرب منذ بداية القرن الخامس عشر فأخذت الحملات الصليبية البرتغالية والقشتالية تتردد على موانيها - وسقطت سبته فى أيدى البرتغاليين سنة ١٤١٥ - وهاجمت قشتالة مدينة تطوان المغربية سنة ١٤٠١ واحتلتها فترة من الزمن وحملت بعض اهلها عنوه الى اسبانيا . وفى سنة ١٤٣٨ اتجهت الحملات الصليبية الى طنجه على الساحل بهدف شطر المغرب الاسلامى الى قسمين لاجتياح أراضيه فيما بعد - وكل هذا كان قبل نهاية الحكم الاسلامى فى الأندلس مما يؤكد تغلغل الروح الصليبية فى الاسبان والبرتغاليين الذين كانوا ينسقون مع باقى الدول الصليبية عن طريق البابا - وفى نفس الاطار هاجم البرتغاليون آزمور واستولوا عليها سنة ١٤٦٨ واحتلوا أصيلة سنة ١٤٧١ وامتدت أطماعهم إلى المغرب الأوسط فاقاموا مؤسسة تجارية فى وهران سنة ١٤٨٣ - ١٤٨٧ وحاولوا فرض معاهدة على تلمسان وامتد نفوذهم إلى مدينة مراكش كما اسسوا مدينة فرغان على الساحل، وفى نهاية القرن الخامس عشر عقدت الملكة ايزابيلا معاهدة مع البرتغال قسمت بمقتضاها المغرب الى منطقتين الأولى تقع شرق حجر باريس ويتولى الاسبان فيها مهمة احتلالها والثانية تقع غرب هذه النقطة وقد تركت للبرتغال .

وكان الاسبان يحكمون آنذاك ميناءى سبته ومليلة فاتجهوا شرقا إلى ساحل الجزائر حتى طرابلس ومما يذكر فى هذا الصدد لتوضيح هدف البرتغالين والاسبان على السواء من تلك الحروب التى تعدت حدود الاندلس الى المغرب ان الملكة ايزابيلا تركت وصية قبل وفاتها سنة ١٥٠٤ قالت فيها «اننى أرجو من الأميرة ابنتى والأمير زوجها وآمرهما بطاعة وصايا الكنيسة امنا المقدسة فعليهما أن يقوما

بحمايتها والا يكفان عن متابعة فتح افريقيا ومحاربة الكفار» .

وقامت حكومة مدريد بمحاولة تنفيذ هذه الوصية - ففى عام ١٥٠٥ أى بعد موت الملكة بعام واحد قامت أسبانيا بارسال حملة إلى ميناء المرسى الكبير فى غرب الجزائر واتسع نطاق تلك الحملة سنة ١٥٠٨ فاستولى الاسبان على حجر باريس واستولوا عام ١٥٠٩ على وهران وبجاية، ودمروا ميناء طرابلس سنة ١٥١٠ - واستمرت تلك الحملات الصليبية واستمرت حالة التدهور الى أن جاءت جيوش العثمانيين الاسلامية إلى شمال افريقيا فاوقفت هذا الانهيار ووحدوا بلاد المغرب العربى من جديد. فمنذ (١٥١٠م) جاء الاسطول العثمانى بقيادة عروج وخير الدين وكان هذا الاسطول يضم العرب والبربر وترك الأوروبيين الذين اعتنقوا الاسلام. واستطاع عروج أن يسترد ميناء بجاية من الأسبان وبدأ أهل المغرب يلتفون حوله، واستطاع بمعاونة الأهالى أن يصد هجوما اسبانيا على ميناء الجزائر (١٥١٦م) وأكمل خير الدين تلك الجهود واستطاع ان يوحد بلاد المغرب وأن ينشىء قوة بحرية اسلامية عظيمة سيطر بها على الملاحة فى البحر المتوسط وخافته جميع دول أوروبا حتى اشتهر عندها باسم بربروس أى الرجل ذى اللحية الحمراء.

وبالطبع ماكانت أسبانيا الصليبية الا ان تحاول من جديد اخضاع المغرب العربى والقضاء على القوة البحرية التى سيطرت باسم الاسلام على البحر المتوسط - وهكذا وفى سنة ١٥٣٥ خرجت من برشلونه الحملة البحرية الكبرى وكانت تضم ٤٠٠ سفينة و٢٨٠٠٠رجل. وتمكن شارل الخامس بتلك الحملة احتلال تونس - ولكن خير الدين شن غارة مفاجئة على جزر البليار وعاد من هناك بحوالى ٦٠٠٠ أسير ثم عاد الى الجزائر ليستأنف الجهاد ضد القوى الأوروبية الصليبية وبعد مضى زمن قليل من تلك الحوادث حاول شارل الخامس أن يعيد الكرة على المغرب الاسلامى واختار الجزائر لانزال حملته فجمع فى سنة ١٥٤١ نحو ٣٦٠٠٠ جندى للقيام بالحملة - الا أن القوات الاسلامية فى الجزائر قد أبادت تلك الحملة عن آخرها وهكذا سجلت نيابة الجزائر الاسلامية العثمانية صفحة مجيدة فى تاريخ المغرب

حيث تمكنت من انزال الهزيمة باكبر دول اوروبا فى ذلك الوقت وهى مملكة شارل الخامس - وقد كف الأسبان فترة طويلة بعد هذه الحوادث عن التفكير فى معاودة الكرة بمهاجمة الجزائر - وانتقل الصراع بين القوى العثمانية المغربية والبحرية الأسبانية إلى تونس ففى سنة ١٥٥٦ استطاع درغوث باشا أن يحررميناء قفصة التونسى وأن يتوغل فى الداخل حتى القيروان حتى حررها سنة ١٥٥٨ ثم اكملت نيابة الجزائر هذا المجهود وحررت باقى تونس ثم بدأ التفكير فى تحرير الاندلس ذاتها واعادتها الى الحكم الاسلامى فقد اتفق حاكم تونس العثمانى (العلج على) مع الثوار المسلمين الذين اعتصموا فى جبال الاندلس ونجح فعلا فى انزال الاسلحة وبعض المتطوعين الى الساحل الاسبانى فى أوائل سنة ١٥٦٩ وفى هذه الاثناء سمع باستعداد دون جوان امير النمسا لغزو الجزائر فعدل عن هذه الخطة مؤقتا .

ونظرا لتصاعد خطورة الحكم العثمانى فى المغرب دعا البابا لتأليف حلف مسيحى هدفه الاحتفاظ لأوروبا بمراكزها الامامية على الساحل الافريقى - مما تمخض عن توحيد تلك القوى المسيحية ونجاحها فى هزيمة الاسطول العثمانى فى معركة "ليبانتو" سنة ١٥٧١م وقد ترتب على هذه المعركة توقف النفوذ العثمانى فى الحوض العربى للمتوسط واحتفاظ الأسبان ببعض الجيوب الساحلية فى شمال افريقيا - وقد شجع هذا النصر أسبانيا على معاودة الهجوم على تونس ١٥٧٣ ولكن العثمانيين عادوا بعد عام واحد أى فى ١٥٧٤ فطردوا الاسبان وعملاءهم وأقاموا النيابة الثالثة فى شمال افريقيا .

وفى الواقع ان بلاد المغرب العربى تحت حكم النيابات الثلاث استطاعت أن تحرر بلادها من الأسبان والبرتغاليين وأن تصمد فى وجه كل المحاولات الصليبية وأن تفرض سيطرتها البحرية الكاملة على البحر الابيض المتوسط - وقد فرضت تلك النيابات على دول اوروبا المسيحية أن تحصل على ترخيص أو تصريح قبل ممارسة الملاحة فى البحر المتوسط بل وامتد أحيانا الى بحار الشمال فى القرنين السادس عشر والسابع عشر .

ومما يدل على السيطرة المطلقة للبحرية الاسلامية فى المغرب العربى فى البحر المتوسط فى ذلك الوقت أن كل الدول الأوروبية ظلت تدفع اتاوات لحكام النيابات وخاصة فى الجزائر فى مقابل السماح لها بالملاحة فى البحر المتوسط - وقد استمرت بعض تلك الدول تدفع تلك الاتاوات حتى تدهورت قوة الجزائر البحرية قبيل الغزو الفرنسى (١٨٣٠) .

وفيما يلى صورة عن هذه الاتاوات نقلا عن صاحب كتاب تحفة الجزائر :

إنجلترا	تؤدى ٦ آلاف جنيه .
فرنسا	تقدم هدايا كلما تغير القنصل .
الدانمارك	تقدم ٤ آلاف ريال .
هولندا	تقدم ٦٠٠٠ ليرة .
مملكة نابولى	تؤدى ٢٤ ألف ليرة .
الولايات المتحدة الأمريكية	تؤدى ١٤ ألف دولار .
سردينيا	تؤدى ٦ آلاف ليرة .
النرويج وأمارتى هانوفر وبريم	تؤدى ٦٠٠ ليرة سنويا .

وحسب إحصاء الضابط الانجليزى جاكسون فيقدرها سنة ١٨٠٢ كالتالى :

إنجلترا	١٨٠ ألف قرش .
فرنسا	٢٣٥ ألف قرش .
الدانمارك	١١٢ ألف قرش .
هولندا	١٧٥ ألف قرش .
نابولى	١٨٧,٥ ألف قرش .

البرتغال سفينة + ٦٧٤ ألف قرش + ١٢٠٠ ألف قرش أخرى ويقدر مجموع ماحصلت عليه الجزائر فى عام ١٨٠٢ بحوالى ٤٥٠ الف جنيه إنجليزى حسب تقدير جاكسون .

*****

ولم يكن التحدى الذى واجهه أهل المغرب فى ذلك الوقت قاصرا على أسبانيا والبرتغال بل إن فرنسا ذاتها دخلت الحلبة سنة ١٦٦٤م فحاولت تدمير قوة الجزائر والسيطرة عليها. فسير لويس الرابع عشر حملة فاشلة الى الجزائر - ثم عاود لويس الرابع عشر تلك الحملات سنة ١٦٨٣م ثم مرة أخرى ١٦٨٨ ولكنها فشلت جميعا بفضل صلابة المقاومة الجزائرية - بل إن الجزائريين قاموا بغارات على سواحل فرنسا الجنوبية وخاصة فى مقاطعات بروفانس ولانجدوك تمكنوا خلالها من النزول الى الأرض واختطاف عدد من السكان وحملهم أسرى إلى الجزائر . وبفشل الغزوات والحملات الفرنسية على الجزائر توقفت تلك الحملات الى أن عادت من جديد فى أوائل القرن التاسع عشر . حيث قام نابليون بارسال بعثة لدراسة غزو مراكش والجزائر معا سنة ١٨٠٧ ووضع مشروعا ضخما لضم النيابات الثلاث الجزائر - تونس - مراكش إلى فرنسا وذلك على أثر صلح ترست ١٨٠٧ م.

*****

وبالاضافة إلى أسبانيا والبرتغال وفرنسا واجه اهل المغرب التحديات الصليبية من ايطاليا والولايات المتحدة وغيرها - فايطاليا أرسلت حملاتها فى ١٧٨٤ إلى صفاقص وسوسه وحلق الوادى ثم بنزرت بعدها بعام واحد كما حاولت الو لايات المتحدة هى الأخرى إرسال حملات بحرية كان أهمها حملة ١٨٠٢م وحملة سنة ١٨١٥ .

وهكذا كان على شعب المغرب العربى فى الجزائر وتونس أن يواجه هجمات صليبية مستمرة لم تهدأ لحظة شارك فيها الاسبان والبرتغاليون والفرنسيون بل والولايات المتحدة الامريكية وايطاليا .

*****

وإذا كان النفوذ العثمانى الذى امتد إلى تونس والجزائر قد نجح فى دعم صمود تلك النيابات وتحقيق سيطرتها لفترة طويلة على الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط . فإن استمرار مراكش فى حالة استقلال عن النفوذ العثمانى جعلها أقل صمودا فى

وجه الحملات الصليبية ولكن مع ذلك فان جهاد أهل مراكش استمر وتصاعد ضد الحملات الصليبية الأوروبية - ففى سنة ١٥٠٩م طالب أهل السوس محمد القائم بامر الله السعدى بأن يتولى قيادتهم فى حركة الجهاد للتخلص من الحاميات البرتغالية - ونجح ولداه محمد الشيخ واحمد الاعرج من بعده فى طرد البرتغاليين من آسفى وأزمور فى الجنوب فيما بين سنتى ١٥٣٩م، ١٥٤١م. وتم توحيد مراكش تحت قيادة محمد السعدى الملقب بالمهدى فعمل على تحرير الموانى الشمالية من البرتغاليين كما فعل فى الجنوب من قبل واسترد أصيلة والقصر الصغير سنة ١٥٤٩ - ١٥٥٠ ولم يبق لدى البرتغاليين بعد ذلك سوى طنجة وسبته وفرغان، وقد حاولت البرتغال السيطرة على مراكش فارسلت حملة سنة ١٥٧٨ الا انها هزمت شر هزيمة على يد القوات المراكشية وتم قتل ٢٦ الفا من البرتغاليين وسقط فيها ملك البرتغال سباتيان كما استشهد حاكم مراكش عبد المتوكل وقد حدثت هذه المعركة فى وادى المخازن شمال فاس .

وبعد سقوط الدولة السعدية وظهور دولة الاشراف العلويين فى مراكش . اتجه امراء العلويين للقضاء على باقى الجيوب الاسبانية فى الساحل فاسترد موانى المعمورة سنة ١٦٨١ - العرائس ١٦٨٩ ولكنه فشل امام سبته ومليلة وهكذا لم يبق فى عهده من الجيوب الاوروبية سوى ميناءى سبته ومليلة بيد الاسبان والمزغان بيد البرتغاليين . ولكن صفيره مولاى محمد نجح فى استرداد ميناء مزغان سنة ١٧٦٦م .

ولكن فرنسا التى كانت تتطلع الى احتلال المغرب العربى أرسلت عددا من البعثات الاستكشافية فى عهد نابليون الى مراكش مثل بعثة دى مانجو باديا وبعثة بوريل سنة ١٨٠٧م - ١٨٠٨م .

*****

احتلال بلاد المغرب

إذن فقد تبين لنا من السرد التاريخي السابق - أن الحروب الصليبية ضد بلاد المغرب لم تتوقف أبدا ولم تهدأ لحظة - وإذا كانت الحروب الصليبية في الشرق العربي قد بدأت في عام ١٠٩٥ واستمرت لمدة قرنين ثم توقفت لفترة إلى أن عادت من جديد بقدم الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ ثم حملة فريزر - على مصر أيضا ١٨٠٧ إلى أن انتهت باحتلال بلاد المشرق العربي ومصر - فإن تلك الحروب ضد بلاد المغرب لم تتوقف اطلاقا منذ أن بدأت وشاركت فيها كل من أسبانيا والبرتغال وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية ذاتها . وهكذا فإن بلاد المغرب العربي قد وقع عليها العبء الأكبر في مواجهة تلك الحملات الصليبية الحاقدة - وتمخضت تلك الحملات في النهاية عن سقوط الجزائر والمغرب وتونس في قبضة الاحتلال الفرنسي الصليبي الحاقد . على كل حال فقد بدأت تلك المرحلة من حياة المغرب العربي وصراعه مع الاستعمار الصليبي الحاقد في عام ١٨١٦ عندما أرسلت بريطانيا حملة بحرية كبيرة ضد الجزائر وتونس وساعدها في ذلك الأسطول الهولندي أيضا . ثم عادت نفس الحملة بعد ٤ شهور الى سواحل الشمال الأفريقي بعد أن تعززت بعدد آخر من السفن فوصل عددها إلى ٤٢ سفينة حربية كبيرة بقيادة السماوث - واضطر الداي عمر داي الجزائر على توقيع معاهدة صلح وتسليم بالشروط الأوروبية - ولكن الجند صفقوا عليه لخضوعه للتهديد الأوروبي فقرروا تغييره بداي آخر يستطيع الصمود أمام أوروبا ووقع اختيارهم على الداي حسين - وقامت البحرية الجزائرية ضد الاسطول البريطاني الهولندي بل وقامت بتتبع السفن الحربية الأوروبية الصغيرة في عرض المتوسط وحتى بحر البلطيق . ثم ظهرت الاساطيل الفرنسية والانجليزية مرة أخرى أمام ساحل الجزائر سنة ١٨١٩م في مظاهرة بحرية ثم ظهر الأسطول الانجليزي وحده في ١٨٢٤م مرة أخرى .

إلا أن فرنسا أخذت زمام المبادرة في عهد شارل العاشر ١٨٢٤م - ١٨٣٠م وكان معروفا بتأييده المطلق للكنيسة . وفي سنة ١٨٢٨ قام الاسطول الفرنسي بغزو الجزائر. وقد قال كليرمون دي تونير وزير الحربية الفرنسي في ذلك الوقت لتبرير تلك العمليات الحربية "لقد أرادت العناية الالهية أن يقوم جلالتكم - يقصد شارل العاشر - بتأديب أعداء المسيحية - يقصد الجزائر - ولعله لم يكن

من باب الصدفة أن يدعى ابن لويس التقى لكى ينتقم للدين والانسانية وربما يسعدنا الحظ بهذه المناسبة لننشر المدنية بين السكان الاصليين وندخلهم فى النصرانية" ، وعندما أقام بورمون قائد الحملة صلاة الشكر فى فناء القصبة بمناسبة الانتصار بعث بوصف لهذا الاحتفال قال فى نهايته "مولاى . لقد فتحت بهذا العمل بابا للمسيحية على شاطئ أفريقيا ورجاؤنا أن يكون هذا العمل بداية لازدهار الحضارة التى اندثرت فى تلك البلاد" ولم يخف المؤرخون المعاصرون هذه الحقيقة فوصف ادوارد دريو المؤرخ الفرنسى المعروف بدراساته عن الشرق حادث الاستيلاء على الجزائر "بأنه كان أول اسفين دق فى ظهر الاسلام" . إذن فقد تم حصار الجزائر بالأسطول الفرنسى منذ يونيو سنة ١٨٢٧ إلى أوائل سنة ١٨٣٠ ولكن الداى ظل مصرا على المقاومة - وفى ٣٠ يناير ١٨٣٠ اتخذ مجلس الوزراء الفرنسى قرارا بارسال حملة برية لاحتلال الجزائر - وقد تحمست الدول الأوروبية لتلك الحملة حتى أن أسبانيا سمحت باستخدام جزر البليار كمحطة للحملة الفرنسية وساهمت بعدد من السفن التجارية الأسبانية لتعضيد الحملة - وكان بوليناك رئيس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت قد وزع منشورا على الدول الأوروبية قال فيه "إن الوضع الجديد الذى يمكن إقامته فى الجزائر هو لخير المسيحية جمعاء" . خرجت الحملة من قاعدة طولون البحرية فى ٢٥ مايو سنة ١٨٣٠ وقد منحت ٣٧ ألف مقاتل علاوة على ٢٠ ألف بحار وكان الاسطول يتكون من أكثر من مائة سفينة حربية بالاضافة إلى عدد اكبر من السفن التى تم استئجارها للمساعدة - ووصلت الحملة فى ١٢ يونيو الى خليج سيدى فرج الواقع على بعد ٢٥ كيلو مترا غربى مدينة الجزائر . وصمم الداى على المقاومة - وأظهرت الجزائر فى الأزمة تضامنا كاملا فأرسل حكام الاقاليم الثلاثة ما استطاعوا جمعه من الجند - وساهمت القبائل بارسال ابنائها للجهاد حتى تجمع لدى الداى ٦٠ الف مقاتل وخرج بعض المتطوعين من طرابلس ولكن الداى ارتكب عدة أخطاء فى تنظيم الدفاع فانتهت المعارك بسقوط مدينة الجزائر فى ٥ يوليو سنة ١٨٣٠ وانتهاء حكم النيابة العثمانية التى عاشت نحو ثلاثة قرون فى جهاد متصل فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط . وبسقوط الجزائر فى يد الفرنسيين - عمل هؤلاء على تدعيم سلطتهم فى بلاد الجزائر كما عملوا فى نفس الوقت على

التسلل الى تونس عن طريق النفوذ المالى والقروض وفرض القوانين والأوضاع السياسية التى تخدم الاجانب عموما والفرنسيين خصوصا . وتعمد الأوروبيون فى تلك الفترةدفع الأمور فى تونس باتجاه إضعاف صلات تونس بالدولة العثمانية ولو بالقوة مثلما حدث إبان تجمع الاساطيل الانجليزية والفرنسية والايطالية لمنع انزال الجنود العثمانيين فى تونس ١٨٦٤م . واستمر تزايد النفوذ المالى والسياسى الفرنسى فى تونس إلى أن انتهى باحتلال تونس على يد القوات الفرنسية فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٨١م ثم اعلان الحماية الفرنسية على تونس فى ١٢ مايو سنة ١٨٨١م .

وكان من الطبيعى أن تكمل فرنسا - التى احتلت الجزائر سنة ١٨٣٠ - الحلقة وتحاول السيطرة على مراكش فقام القائد الفرنسى بيجو باحتلال مدينة وجده ثم الحق الهزيمة بجيش مولاى عبد الرحمن الذى شارك مع الأمير عبد القادر فى القتال ضد الفرنسيين عام ١٨٤٤ فى معركة وادى اسلى ثم بالتسلل الى الواحات الجنوبية الواقعة فى الصحراء الكبرى مثل واحة فجيج سنة ١٨٧٠ وعين صلاح ١٨٩٩ وتوات ١٩٠٠ وكذلك بالتسلل عن طريق الامتيازات الاجنبية التى فرضتها الدول الأوروبية عموما على مراكش ثم التفاهم بين فرنسا وأسبانيا وتقسيم مناطق النفوذ فى المغرب بينهما وأيضا الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ الذى أطلق يد فرنسا فى مراكش ثم اخيرا مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ الذى تم الاتفاق فيه بين فرنسا والمانيا على إطلاق يد فرنسا فى مراكش وأخيرا اتخذت فرنسا ذريعة قتل أحد الاطباء الفرنسيين بمدينة مراكش سنة ١٩٠٧ وقاموا باحتلال مدينة وجده ثم استغلال حادث آخر لاحتلال الدار البيضاء فى نفس العام ، وفى نفس الوقت قامت أسبانيا بتوسيع مناطق وجودها فى مراكش وانتهى الأمر باعلان الحماية الفرنسية على مراكش سنة ١٩١٢ وبذلك أصبحت مراكش خاضعة للفرنسيين مع بعض الوجود الاسبانى فى مناطق محددة مثل الصحراء الغربية وسبته ومليلة وغيرها .

وبهذا تكون فرنسا قد وضعت يدها على المغرب العربى - الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس ١٨٨١ ومراكش ١٩١٢ . ولكن كانت روح المقاومة مازالت موجودة وكان لابد لها أن تظهر من تحت الرماد .

حركات المقاومة ضد الاستعمار
فى تونس والمغرب

حركة المقاومة فى تونس

كان من الطبيعى أن تكافح بلاد المغرب - ذات التاريخ الجهادى الطويل - ضد الاستعمار الفرنسى للتخلص منه - وكان من الطبيعى أيضا أن تختلف أساليب المقاومة فى كل من تونس والمغرب والجزائر وإن كان التنسيق بينها ظل قائما فى أشكال كثيرة - وإذا كانت حركة المقاومة فى الجزائر نشأت مبكرا لأن احتلالها أيضا كان قبل احتلال تونس والمغرب - ولكن لأن هذه الدراسة المقصود بها دراسة حرب التحرير الجزائرية فاننا سنتكلم عن المقاومة فى تونس والمغرب أولا . تعد تونس أكثر بلاد المغرب العربى تأثرا بفكر جمال الدين الأفغانى - باعث نهضة الأمة الاسلامية فى العصر الحديث والذى تواكب ظهوره فى ذلك الوقت - وكثير من قادة المقاومة والكفاح التونسى كانوا تلاميذا للأفغانى وبالتالى فإن "المصادر الأساسية للحركة الوطنية فى تونس هى أصول اسلامية بحتة"(١). على كل حال فإن عدم مقاومة حاكم تونس للغزو الفرنسى لم يكن حائلا دون قيام حركة مقاومة تونسية - فقد اندلعت الثورة فى القسم الجنوبى من تونس وخاصة فى القيروان تلك المدينة المشهورة بمكانتها الدينية والتاريخية ، ومن القيروان امتدت الثورة إلى الساحل الجنوبى فاحتل الثوار ميناء صفاقس وطردوا منه نائب الباى الذى أصبح فى نظرهم خائنا بقبول التوقيع على معاهدة الحماية ونادوا بأحد رؤساء القبائل أميرا عليهم "على بن خليفة" وفى شهر يونيو ١٨٨١ أصبحوا يسيطرون على الساحل الجنوبى الممتد من صفاقس حتى حدود طرابلس بما فى ذلك جزيرة جربه وخليج فارس - وقد حاولت القوات الفرنسية استعادة ميناء صفاقس فوجه الأسطول الفرنسى ضرباته إلى ذلك الميناء فى أوائل يوليو ١٨٨١ ولكن الثوار نجحوا فى صد الهجوم واحتاج الفرنسيون إلى حشد ستة مدرعات بحرية حتى يتغلبوا على هذا الميناء الصغير ومع ذلك لم يتمكن الفرنسيون من إنزال قواتهم الا بعد تدمير المدينة تدميرا كاملا واتجه الأسطول بعد ذلك إلى مراكز المقاومة الأخرى فى قابس وجربه ، وقد استطاع الثوار أن يستردوا قابس - الا أن الفرنسيين حشدوا أكثر من ٥٠ ألف جندى أرسلوا إلى تونس فى أواخر سبتمبر تحت قيادة الجنرال سوسييه واستطاعت تلك القوات أن تدخل القيروان عاصمة الثورة فى ٢٧ أكتوبر ١٨٨١ بعد أن أخلاها

---

(١) د. صلاح العقاد المغرب العربى- دراسة فى تاريخه الحديث- مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٩.

الثوار واعتصموا بالواحات الجنوبية . ولا شك أن تلك المقاومة المبكرة التى استندت إلى أسس اسلامية واضحة قد أحدثت أثرها فى استمرار جذوة المقاومة فيما بعد - وهذا شأن كل حركات المقاومة - فحتى لو هزمت تلك المقاومة فيكفى أنها حافظت على شعلة النضال متقدة - إذ لولا حركات المقاومة تلك رغم هزيمتها لكان من الممكن تحقيق أهداف الاستعمار بسرعة اكبر وتكاليف أقل وربما كان الوجود المميز للبلاد المستعمرة قد أصبح نفسه محل شك -فكان من الممكن لولا حركات المقاومة ان يكون مصير بلادنا مثل مصير الهنود الحمر أو جنوب افريقيا فى أحسن الظروف . بدأت الحلقة الثانية من الحركة الشعبية فى تونس على يد الشيخ يكى بن عزوز. عبد العزيز الثعالبى - بشير صفر - وعلى باش جمعة وكلهم من خريجى المعاهد الدينية فى الزيتونة أو المدرسة الصادقية التى أسسها خير الدين التونسى سنة ١٨٧٥ لتدرس العلوم الدينية والعلمية فى إطار عربى . وقد تشابهت الحركة الشعبية فى تونس فى ذلك الوقت تشابها كبيرا مع حركة الحزب الوطنى فى مصر نظرا لأن تأثير الأفغانى عليهما كان كبيرا . وكان كل من الحركتين يتطلع إلى الاستقلال ودعم الترابط بين المسلمين والتعاطف مع الخلافة العثمانية .

وفى سنة ١٩٠٥ كان جماعة من الطلبة خريجى المعهد الصادقى مثل السيد على أبو شوشة صاحب جريدة الحاضرة - وبشير صفر - عمر أبو حاجب وعلى البقلانى - وعبد العزيز الثعالبى قد بدأوا يتجمعون ويوجهون الانتقاد لسياسة الحاكم الموالى لأوروبا وذلك من خلال جريدة الحاضرة حتى أصبحوا يعرفون باسم جماعة الحاضرة . وبرز من هؤلاء الشيخ عبد العزيز الثعالبى الذى درس فى جامعة الزيتونة ثم فى المدرسة الخلدونية ثم الأزهر وعاد إلى تونس سنة ١٩٠٤ وأسس حزب تونس الفتاة سنة ١٩٠٨ وكان حزبا يسير على المبادئ الاسلامية مثل الحزب الوطنى فى مصر وعمل الشيخ الثعالبى رئيسا لتحرير صحيفة الحزب بينما أصبح على باش جمعة رئيسا للحزب ، وقد لعب هذا الحزب دورا هاما فى حادثة احتلال ايطاليا لليبيا سنة ١٩١١ - فقام هذا الحزب بتسهيل الاتصال بين الدولة العثمانية والمقاومة فى طرابلس - كما ساعد فى تسلل الضباط والمتطوعين العثمانيين والمسلمين عموما إلى طرابلس ، ونجح حزب تونس الفتاة فى اضطرام نار الكفاح بين الشعب التونسى فنظم الحزب المظاهرات وحث العمال على الاضراب ومقاطعة المؤسسات التجارية الأوروبية ، وبالطبع لم يرق هذا النشاط للاحتلال الفرنسى فقام

بطرد زعماء الحزب من تونس مثل على باش جمعة وعبد العزيز الثعالبى وعددا آخر من العلماء فاختاروا الاقامة فى الاستانة حيث استطاعوا أن يستمروا فى مكافحة الحكم الفرنسى فى شمال أفريقيا عموما بمعونة الحكومة العثمانية . وفى الأستانة اتصل على باش جمعة بكثير من قادة العالم العربى والاسلامى اللاجئين اليها أمثال شكيب أرسلان ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش والبارونى وأحمد أغايف من زعماء المسلمين فى روسيا وكان هذا الوسط يمثل نزعة خاصة من نزعات الانبعاث الاسلامى . وفى هذه الاثناء تكونت فى الاستانة هيئة لغزو شمال افريقيا وتحريرها من الأوروبيين واستطاعت هذه الهيئة أن تقوم بدور فعال فى طرابلس بصفة خاصة حيث لقيت من السنوسية عونا كبيرا كما امتدت آثارها الى رجال الطوارق فى الصحراء الكبرى . كما تم تنظيم فرقة بقيادة على باش جمعة وكان مقررا أن يتم انزالها فى شمال أفريقيا عن طريق الغواصات ليتم تحريرها من الاستعمار المسيحى ولكن لم يقدر لهذا العمل أن يكتمل . وبينما كان على باش جمعة يواصل جهوده من الاستانة - كان الشيخ عبدالعزيز الثعالبى قد استطاع أن يعود إلى تونس بعد الحرب العالمية الأولى واتجه الى الرأى العام التونسى وأصدر كتابا بعنوان "تونس الشهيدة" ودعا فيه إلى تحرير تونس من الاستعمار وأنها قادرة على حكم نفسها بنفسها . وأرادت فرنسا أن تطوق حركة الشيخ الثعالبى - فشجعت قيام حركة شبيهة بحركة حزب الامة فى مصر أى الدعوة الى الاصلاح قبل المطالبة بالاستقلال أو التعاون مع الفرنسيين أو غيرها وسميت تلك الحركة الحزب الدستورى ، وفى نفس الوقت (١٩٢٠) تم اعتقال الشيخ الثعالبى ليخلو الجو فى تونس لهؤلاء . ولكن ما أن خرج الشيخ الثعالبى من السجن حتى استطاع ان يشكل عددا من الخلايا الحزبية فى البلاد وأن يسيطر على قيادة الحزب الدستورى نفسه متجاهلا ومبعدا العناصر التحريضية والمهادنة. وأصبح الشيخ الثعالبى رئيسا للحزب والاستاذ أحمد الصافى أمينا عاما له. الا أن السلطات الفرنسية أبعدت الثعالبى مرة أخرى خارج البلاد ومهدت لانقلاب داخل الحزب تولى بعده المهادنون للاحتلال قيادة الحزب الدستورى وبرز منهم الحبيب بورقيبة واتخذ الحزب منذ ذلك الوقت أسلوبا مهادنا والدعوة إلى الاستقلال على مراحل فى إطار التعاون مع فرنسا وبالطبع استمر الكفاح الشعبى المستند إلى الوجدان الاسلامى والداعى إلى مقاومة الاحتلال وعدم التعاون معه وانتهى الصراع بين الفريقين إلى نجاح

الفريق المهادن فى إزاحة الفريق المكافح فى مارس ١٩٣٤ حيث تم انتخاب الحبيب بورقيبة أمينا عاما للحزب وأصبح الحزب يعرف باسم الحزب الدستورى الجديد الذى دعا صراحة الى أن وضع تونس الجغرافى يحتم تعاونها مع فرنسا !! وقبول مبدأ السيادة المزدوجة . وفى سنة ١٩٣٧ حاول قادة الكفاح الوطنى إعادة تشكيل حزب لهم استنادا الى نفس المبادئ التى أرساها الثعالبى الا أن السلطات الفرنسية لم تسمح بذلك - فاستمر هؤلاء فى اذكاء حركات الاضرابات العمالية والوطنية ضد المستعمرين الفرنسيين والأوروبيين - كما مالوا الى المحور اثناء الحرب العالمية الثانية بأمل التخلص من الاستعمار الفرنسى - ولكن مجموعة بورقيبة والحزب الدستورى الجديد أيدت فرنسا فى تلك الحرب ودعا الشعب التونسي إلى التعاون مع الحلفاء ضد المحور !! . واستمر فى التفاوض مع الفرنسيين الذين كانوا قد ادركوا أن عصر الاستعمار القديم قد انتهى وأنه لابد من تسليم السلطة فى تونس إلى العناصر الموالين لهم بدلا من سقوطها فى يد المتطرفين من رجال الثعالبى وتلاميذه الذين بدأو فى خوض غمار المقاومة المسلحة تحت قيادة عدد من المجاهدين التونسيين الذين تدربوا فى حرب فلسطين - وقد بدأت تلك المقاومة المسلحة فى الجنوب حول مدينة سوسة ومنها انتشرت إلى الغرب حتى حدود الجزائر سنة ١٩٥٤ كما قام الوطنيون باغتيال الخونة من التونسيين والهجوم على المستوطنين الأوروبيين . وتصاعدت المقاومة فى عام ١٩٥٥ ولجأت فرنسا الى تشكيل حكومة تونسية جديدة أدخلت فيها الحزب الدستورى وذلك فى محاولة لدفع العناصر الموالية بدلا من المتطرفين لاستلام السلطة ودعا بورقيبة إلى القاء السلاح وأصدر تصريحا مشتركا مع ادجار فور رئيس الوزراء الفرنسى فى ٣١ يوليو ١٩٥٥ ينص على الحكم الذاتى لتونس مع النص على احتفاظ فرنسا بشئون الخارجية والدفاع ولكن استمرار ضغط المجاهدين وانحياز عدد كبير من عناصر الحزب الدستورى الشريفة إليهم جعلت بورقيبة يهرع الى الفرنسيين فى محاولة إقناعهم بتعديل اتفاق ١٩٥٥ فتم توقيع اتفاق ٢٠ مارس ١٩٥٦ الذى حصلت فرنسا بمقتضاه أيضا على بعض الامتيازات فى مجال الدفاع والعلاقات الخارجية .

وهكذا تلاقت ارادة فرنسا وبورقيبة على تطويق حركة الكفاح الشعبى المسلح الطامحة إلى الاستقلال الكامل - فتم استقلال تونس بصورة منقوصة وفقا لاتفاق ٢٠ مارس ١٩٥٦ وفى إطار علاقات متميزة مع فرنسا - أى أن فرنسا احتفظت

ببعض المميزات بمقتضى الاتفاقية وفى نفس الوقت ضمنت وصول اصدقائها الى السلطة وإزاحة العناصر المكافحة المعادية للتوجه الأوروبى والفرنسى فى تونس وهو تصرف استعمارى ذكى - وهو استمرار النفوذ عن طريق حكومة محلية بدلا من جيش الاحتلال .

حركة المقاومة فى مراكش

وصف جيوم - وكان ضابطا صغيرا تحت قيادة ليوتى والذى أصبح مقيما عاما فيما بعد كفاح المراكشين بقوله "لم تستسلم أية قبيلة دون مقاومة - بل إن بعضها لم يلق سلاحه حتى استنفد كل وسائل المقاومة ولم تقدم أية قبيلة ولاءها الا بعد ان هزمناها بأسلحتنا واتسمت كل مرحلة من مراحل تقدمنا بالقتال - وكلما توقفنا انشأ المراكشيون جبهة جديدة احتفظوا بها بواسطة سلسلة من التحصينات أرغمت قواتنا سنوات طويلة أن تقف موقف اليقظة والحذر معرضة للأخطار" . وإذا كان الفرنسيون قد دخلوا فاس سنة ١٩١١ واعلنوا الحماية على المغرب بعد ذلك فانه فى عام ١٩١٢ وبعد إعلان الحماية بعدة أيام - اندلعت الثورة فى فاس وانتشرت فى المناطق المحيطة ثم تواترت اخبارها الى جميع الاقاليم فاحتشدت عدة قبائل من الاطلس واتحدت مع سكان الشاويه وشددوا الحصار على الفرنسيين فى فاس واستمر هذا الحصار من أبريل الى يونيو حتى أتت الإمدادات الفرنسية بقيادة الجنرال ليوتى واستطاع ان يفك الحصار عن الفرنسيين فى فاس . واستمرت المقاومة متقدة فى جبال الاطلس الوسيط وفى الجنوب حيث حمل هبة الله بن ماء العينين دعوة الجهاد والتف حوله أهل السوس وفى أغسطس سنة ١٩١٢ تمكن هبة الله من دخول مراكش عاصمة الجنوب وأرسل القائد الفرنسى ليوتى قوة كبيرة من الفرنسيين بقيادة الجنرال مانجان للسيطرة على مراكش ودخل فى معارك مع المجاهدين - فاضطر هبة الله الى الانسحاب إلى موريتانيا حيث قواعده الأصلية - إلا ان معظم الجنوب ظل فى حالة مقاومة ولم يتم استيلاء الفرنسيين على السوس إلا فى عام ١٩٣٤م وفى جبال الاطلس الوسيط استمرت مقاومة القبائل وصمودها حتى عام ١٩٣٣م. وفى منطقة تادلة حاصر المجاهدون الفرنسيين فى قلعة تاول واخذت قبائل الشاوية تشن الغارات على مراكز الاحتلال فى الشاوية طوال الحرب العالمية الأولى- وفى منطقة التاخيلالت فى الجنوب الشرقى من مراكش ظهرت حركة مقاومة بقيادة السيد الحلالى استمرت حتى عام ١٩٣١.

ولم يقتصر الجهاد فى ذلك الوقت على قتال الفرنسيين بل شمل أيضا القتال ضد الاسبان الذين كانوا يسيطرون على منطقتى الريف والجبالة وفقا لاتفاقية ١٩٠٤ ، وحمل لواء الجهاد ضد الاسبان فى تلك المنطقة الزعيم المغربى احمد بن محمد الرسولى الذى صمد فى القتال منذ عام ١٩١١ حتى عام ١٩٢١ وخاصة فى منطقة الجبالة .

وفى عام ١٩٢١ ظهر فى منطقة الريف الزعيم محمد عبد الكريم الخطابى - وهو خريج جامعة القروين الاسلامية فى المغرب . وبدأ الامير محمد عبد الكريم يخوض المعارك الناجحة ضد الأسبان - ففى شهر مايو ١٩٢١ انتصر الامير على القوات الاسبانية عند ايران ثم واصل الامير هجومه ضد الاسبان فحاصر إجرين ثم أوقع هزيمة ساحقة بالقوات الاسبانية فى معركة الأنوال حيث أباد الأمير الحملة الاسبانية باسرها بما فيها القائد سلفستر ومنذ ذلك الوقت ذاعت شهرة الامير وسلمت له قبائل الريف الاخرى بالزعامة ، وعلى أثر ذيوع انباء تلك المعركة هبت قبائل الريف لمحاصرة المراكز الاسبانية المبعثرة فى أنحاء المنطقة وفى مدى خمسة أيام كانت بلاد الريف قد طهرت تقريبا منها ووصلت طلائعهم إلى ضواحى مليله وأسر المراكشيون عددا كبيرا من الأسبان وأصبح وجود الاسبان قاصرا على مدينة تطوان والموانى وبعض الحصون فى الجبالة واستطاع الامير الخطابى أن يؤسس ادارة منظمة للمنطقة التى يسيطر عليها وحكمها حكما شبيها بالحكم الجمهورى الرئاسى والف مجلسا من رؤساء القبائل وجعل الوزراء مسئولين أمامها - وأعلن الخطابى عن أهداف حكومته بأنها طرد الاسبان والفرنسيين من البلاد .

واستمر الأمير الخطابى يضغط على القوات الاسبانية وأصبحت أسبانيا عاجزة عن النيل من دولته الفتية .. وفى نفس الوقت بدأ يحرض القبائل على العصيان والتمرد فى منطقة النفوذ الفرنسى بدءا من عام ١٩٢٥ وبدأت الصدامات المتوالية تقع بين الامير والقوات الفرنسية وتحمل الفرنسيون خسائر فادحة فى هذه الصدامات الاولى بالرغم أنهم لم يعترفوا رسميا الا بخسارة عدة آلاف من القتلى.

● كان من الطبيعى إزاء تلك القوة الصاعدة التى تمتلك قائدا كفأ ورجالا شجعانا أن تتجمع كل القوى ضدها . فتم عقد مؤتمر بين اسبانيا وفرنسا فى مدريد سنة ١٩٢٥ لتنسيق الاعمال الحربية بينهما ضد الامير الخطابى .. وبدأت القوات الاسبانية والفرنسية تتدفق على المغرب فى محاولة للقضاء على دولة الريف الفتية واستمر الامير يقاتل ببسالة وشجاعة إلى أن سقط فى الأسر وانتهى به الأمر فى القاهرة حيث استمر فى الكفاح من أجل استقلال المغرب العربى عموما ومراكش خصوصا من خلال لجنة المغرب العربى التى تشكلت فى القاهرة برئاسة الأمير .

وإذا حاولنا أن نحلل حركة الامير عبد الكريم الخطابى - وتجربته فى جمهورية الريف نجد .

● أن الأمير كان ينطلق من دوافع جهادية إسلامية واضحة . وأنه كان يؤمن بدور الجماهير فى الكفاح المسلح ضد الاستعمار - وأنه لم يكن يؤمن الا بأسلوب واحد لمواجهة الاستعمار وهو القتال المسلح وليس غيره .

● أن الأمير كان يؤمن بالشورى وأقام نظام حكومته على أساس قريب من النظام الجمهورى الرئاسى - ولعل هذا يؤكد ضرورة اعتبار تجربة الامير فى الريف نموذجا متقدما للاجتهاد الاسلامى فى هذا الاطار .

● أن صمود دولة الريف الصغيرة سنة كاملة من مايو ١٩٢٥ - إلى مايو ١٩٢٦ أمام دولتين أوروبيتين يعتبر حالة فذة فى تاريخ الحروب مع الاستعمار لا فى شمال أفريقيا وحدها بل فى قارتى أفريقيا وآسيا عموما . ويكفى الأمير أنه واجه ثلاثة من الماريشالات هم ليوفى - بنيان - بريمودى ريفيرا وأربعين جنرالا والقوات الأساسية لدولتين أوروبيتين بل لقد استقدمت هاتان الدولتان بعض المرتزقة من الطيارين الأمريكيين حتى تستخدم احدث وسائل الطيران وقاذفات القنابل فى الحرب ضد تلك الدولة الصغيرة .

ولم تكن حرب الريف مجرد مواجهة جهادية بين الأهالى وإحدى الحملات الاستعمارية بل حربا شاملة بين تلك الدولة الصغيرة وبين دولتى فرنسا وأسبانيا

بكامل قواتهما بل إن رؤساء تلك الدول حضروا إلى مراكش للاشراف على القتال بأنفسهم.

● إننا لايمكن أن نقارن بين صمود جمهورية الريف وصمود فيتنام مثلا فى مواجهة أمريكا - لأن فيتنام كانت تعتمد على مساعدة كبيرة ودعم هائل فى حربها من الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية عموما - بعكس جمهورية الريف التى لم تكن تعتمد الا على نفسها فقط - بل إن سلاطين الاسرة العلوية الحاكمة فى المغرب فى ذلك الوقت قد خذلوا الأمير وتعاونوا مع الفرنسيين ضده .

● أن تجربة جمهورية الريف - تؤكد أن المسلمين قادرون على الصمود أمام التحديات اذا ماسنحت لهم الظروف وتوفر لهم عنصر قيادى يمتلك الشجاعة والذكاء وسعة الأفق السياسى والعسكرى .

● أن الأمير عبد الكريم الخطابى - لم يكن يهدف بحركته تلك الى مجرد تحرير مراكش فقط أو حتى بلاد المغرب العربى كلها أو شمال أفريقيا - بل كان يتطلع لعمل حركة تحرير اسلامية شاملة فى كل أنحاء العالم الاسلامى ضد السيطرة الأوروبية .

****

على ان إنتهاء جمهورية الريف لم يكن نهاية لحركة المقاومة المسلحة فى مراكش ضد الوجود الفرنسى - فاستمرت تلك المقاومة فى العمل - كما ان الحركات الشعبية المجاهدة قد بدأت فى الظهور وكانت هذه الحركة وتلك تستمد طاقاتها الحيوية من الاسلام وفى ذلك يقول د. صلاح العقاد "أن الاسلام قد لعب دورا أساسيا فى بعث الحركة الوطنية فى كل من تونس والجزائر والمغرب". ويضيف د. صلاح العقاد "لم يقتصر دور الحركة الاسلامية فى كفاح الاستعمار على مراكش فهى حركة متصلة الحلقات مثلها جمال الدين الأفغانى فى أقصى المشرق الاسلامى كما مثلها أبو شعيب الدكالى ومحمد بن العربى فى المغرب الاقصى ، ويعتبر علال

د . صلاح العقاد . مرجع سابق .

الفاسى زعيم حزب الاستقلال نفسه نتاجا لهذه الحركة وأن الأمير شكيب أرسلان الذى ينتمى إلى جبل لبنان قد لعب دورا هاما فى دعم حركة الاستقلال فى المغرب وذلك بدافع اسلامى طبعا لأنه هو نفسه لم يكن مغربيا" .

بدأت إذن حركة الاستقلال فى المغرب على يد الجمعيات الدينية والشباب الذين تعلموا فى الجامعات الاسلامية المختلفة وكون هؤلاء كتلة العمل المراكشى سنة ١٩٣٠ وبسبب نشاط عناصر تلك الكتلة بدأت التظاهرات فى مدن مراكش ضد الاحتلال الفرنسى مما أدى إلى اعتقال زعماء تلك الكتلة عدة مرات واستطاعت الكتلة فى سنة ١٩٣٢ أن تصدر أول مجلة بأسمها فى كل من مراكش وباريس الى أن تم حل الكتلة رسميا سنة ١٩٣٧ بسبب نشاطها المعادى للفرنسيين - ولكن علال الفاسى وصحبه أعادوا تكوين منظمتهم تحت اسم جديد هو الحزب الوطنى وقد استطاع الحزب بعد جهود متواصلة أن يظفر باعتراف رسمى وأن يعلن برنامجه الذى ينص على الاستقلال والتمسك بالشريعة الاسلامية ومكافحة التبشير - كما خصص الحزب إحدى لجانه للدفاع عن قضية فلسطين مما يؤكد الوحدة العضوية لكل حركات المقاومة الاسلامية فى الشرق والغرب .

وبديهى أن السلطات الفرنسية مالبثت أن حلت الحزب بعد عدة شهور من تأسيسه واعتقلت زعماءه وشردتهم وكان نصيب علال الفاسى الاعتقال فى الجابون لمدة ٩ سنوات "١٩٣٧م - ١٩٤٦م" .

وفى عام ١٩٣٩ قام من تبقى من زعماء كتلة العمل والحزب الوطنى بتشكيل أحزاب جديدة على نفس المبادئ وهى الاستقلال والارتباط بالاسلام . فظهر حزب الاصلاح بقيادة عبد الخالق الطريسى وحزب الوحدة المغربية برئاسة المكى الناصرى ولم يكن هناك خلاف فى المبادئ الاساسية للحزبين ، فهما ينحدران من نفس المصدر.

وفى عام ١٩٤٤ تم تجميع كل القوى الوطنية المنادية بالاستقلال والشريعة الاسلامية وتشكل منها حزب الاستقلال وقد ضم الحزب كل روافد كتلة العمل -

والحزب الوطنى وجمعيات المدرسين فى كل مدن مراكش وكبار الموظفين واساتذة جامعة القرويين وطلبة الجامعات الدينية وخريجيها وظهر احمد بلا فريج كمحور لهذا النشاط أثناء غياب الفاسى الذى كان مايزال معتقلا .

وشهدت المغرب فى الأيام التالية لتشكيل حزب الاستقلال العديد من المظاهرات الضخمة التى تطالب بالاستقلال الكامل مما أدى إلي اعتقال زعماء الحزب الا أن ذلك لم يؤثر فى استمرار نمو الحزب وامتداد فروعه حتى إلى المناطق البربرية وأصبحت كلمة الحزب تعنى عند المراكشيين حزب الاستقلال وبفضل نشاط الحزب ودعايته اندلعت الثورة فى أرجاء مراكش فى الفترة من ١ - ١٠ فبراير ١٩٤٧ وتعرض الأهالى للقمع البوليسى الشديد الا أنهم صمدوا كما رأينا من ١ - ١٠ فبراير أى عشرة أيام - وتم اعتقال خمسة آلاف شخص ودخل الحزب فى مرحلة جديدة منذ ١٩٥٤ حيث بدأت عمليات الكفاح المسلح من جديد - وكذلك الاغتيالات المتكررة لكل من يتعاون مع الاحتلال كما أمكن عمل مقاطعة شعبية كاملة للبضائع الفرنسية بصورة أثرت تأثيرا كبيرا فى مصالح الفرنسيين - ولقيت الحركة الشعبية دعما كبيرا من رجال القبائل - واعتمادا على هذه القبائل اعد زعماء المقاومة عدتهم وزحفوا فى ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ إلى المدن الصغيرة الواقعة داخل الاطلس الوسيط مثل خنيفره وفى شرق مراكش مثل وجده وعجزت القوات الفرنسية عن حماية تلك المدن تماما - وكانت الجاليات الأوروبية فى هذه المدن هى الهدف الرئيسى لهجوم القبائل فوقعت خسائر فادحة فى المستوطنين الأوروبيين، ولوحظ أن النساء اشتركن للمرة الأولى فى الثورة المراكشية مما ساعد على إلهاب الحماس بين الجماهير - وكان القادة المراكشيين قد نسقوا مع الثوار الجزائريين فقام الجزائريون فى نفس اليوم بهجمات واسعة النطاق على الجاليات الأوروبية .

وبفضل تلك الجهود المستمرة للمجاهدين فى مراكش من رجال القبائل أو حزب الاستقلال اضطرت فرنسا إلى الاعتراف باستقلال المغرب فى ٢ مارس ١٩٥٦ - ولكن هل حقق النظام الملكى الجديد الذى استلم السلطة من الفرنسيين أهداف حركة

التحرير الشعبية التى قدمت الضحايا والدماء بغزارة؟! ... وبالطبع كان هناك بونا شاسعا بين طموح المجاهدين وبين ماتحقق بالفعل او قل مافعلته فرنسا لتطويق حركة الجهاد فى مراكش وقطع الطريق عليها - ولعل هذه هى مأساة كل حركات الجهاد الاسلامى ضد الاستعمار - حيث كان الامر ينتهى عادة باعادة تشكيل سلطة وطنية لاتلبى ولاتؤمن بطموحات حركة الجهاد بل ربما تكون أقرب الى حكومات الاستعمار منها إلى شعبها الذى دفع الدم والعرق فى سبيل الحصول على الاستقلال ، وإذا كان هذا ماحدث بصورة مباشرة فى تونس وبصورة غير مباشرة فى المغرب فإن ماحدث فى الجزائر كان يدمى قلب كل مخلص لبلاده وللاسلام .

إذن فهى لعبة تقليدية قد أجادها الاستعمار ونفذها - فإذا كانت أوضاع الحركة الجهادية فى بلد من البلدان قد وصلت إلى حالة لايمكن معها قمعها او اسقاطها أو القضاء عليها . يسارع الاستعمار بمنح هذا البلد الاستقلال وفقا لشروط وظروف تمنع من وصول تلك الحركات الى السلطة وتحقق له فى نفس الوقت استمرار مصالحه ونفوذه - وعلى حسب قوة الحركة المجاهدة فى بلد ما تكون شكل الحكومة المنتظرة والتى أعدها الاستعمار أو قبل بها . فإذا كانت الحركة لم تصل إلى الذروة كما فى حالة تونس - فالحكومة المنتظرة حكومة عميلة وخاضعة - إما إذا كانت الحركة شديدة القوة كما فى حالة المغرب فلا مانع من قبول نظام وطنى ولكن غير مجاهد وغير شعبى أما إذا كانت الحركة متقدة كما فى حالة الجزائر فلا مانع من قيام حكومة ترفع شعارات براقة مثل الاشتراكية وغيرها والهدف الثابت هو منع القوى المجاهدة القادرة على توحيد العالم العربى أو الاسلامى أو حتى المناطق المرتبطة جغرافيا مثل بلاد المغرب العربى - والقادرة على حشد الشعب وتفجير طاقاته - والقادرة على النهوض بأعباء التحديات التى تواجهها شعوبنا - منع تلك القوى المجاهدة من الامساك بزمام السلطة وغالبا مايتم مطاردتها وقمعها على يد الحكومات المحلية فيما بعد . اليست هذه مأساة ؟!!.

الجزائر المجاهدة تحت حكم الصليب

كان احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ هو خاتمة المطاف لصراع طويل وصمود مذهل لأبناء الجزائر في وجه عشرات المحاولات التى لم تنقطع يوما والتى استهدفت دائما الإسلام فى المغرب العربى عامة وفى الجزائر خاصة ، وإذا كانت الحروب الصليبية على الشرق (فلسطين والشام ومصر) قد بدأت سنة ١٠٩٥ وانتهت ١٢٩٤ أى استمرت قرنين من الزمان ثم سكنت خمسة قرون كاملة منذ ١٢٩٤ وحتى ١٧٩٨ "تاريخ مجئ الحملة الفرنسية إلى مصر" - فإن الحروب الصليبية التى استهدفت المغرب العربى عموما والجزائر خصوصا بدأت قبل الحملات الصليبية على الشرق واستمرت أثناءها ثم تواصلت بعدها بدون انقطاع اطلاقا - وواجهت فيها بلاد المغرب العربى عامة والجزائر خاصة جميع ألوان وأشكال وأجناس وأساليب الحروب الصليبية وحظيت الجزائر فيها بالنصيب الأكبر - على مستوى كم الحملات ونوعها وعلى مستوى صمودها المذهل والطويل والفذ ، والجزائر وحدها تعرضت لعدد من المحاولات الأوروبية عامة والأسبانية خاصة فى الثلاثمائة عام الأخيرة قبل احتلالها تعد بالعشرات فهناك الحملة الأسبانية على بجاية ثم الصراع على تلك المدينة ثم تحريرها من الأسبان سنة ١٥٥٨ثم القتال فى مدينة مستقانم سنة ١٥٥٨ إلى أن تم تحريرها من الأسبان وهزيمتهم فيها سنة ١٥٦٠ - ثم مساندة الاسطول الجزائرى لثورة المسلمين فى الأندلس سنة ١٥٦٩، ثم قيام الأسطول الجزائرى سنة ١٥٧٨ بغزو أسبانيا ذاتها فى شواطئها الشرقية والجنوبية فدمر منشأتها وأسر وسبى الحاميات الأسبانية فيها ثم الهجوم فى نفس العام على جزر البليار وتدمير منشأتها . ثم نزول الجنود الجزائريين فى برشلونة سنة ١٥٨٢م ثم جزر البليار مرة أخرى ثم تعرض الجزائر للأعمال العدوانية الانجليزية سنة ١٦٢٠م . ثم عدوان فرنسا سنة ١٦٦٤م، ١٦٨٢م ثم قتال الاسبانيين فى مدينة وهران لمدة ثلاث سنوات من ١٧٠٥م إلى أن تم تحريرها سنة ١٧٠٨ - ثم التعرض للحملة الأسبانية الكبيرة ١٧٣٢م ثم تدمير اكبر حملة أسبانية على الجزائر سنة ١٧٧٥م ثم تحرير وهران من الأسبان وانتصار الاسبانيين نهائيا سنة ١٧٩١م ، وبالطبع تخلل ذلك عشرات العمليات البحرية وظهر عدد المجاهدين الكبار مثل عروج وخير الدين بربروس - ثم حسان خير الدين ومحمد صالح رايس الذين تركوا بصماتهم على ذلك الصراع

الدموى الطويل . إذن فاحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ لم يكن الا آخر حلقة من حلقات الصراع مع الصليبيين على أرض الجزائر المجاهدة .

وإذا حاولنا أن نرسم صورة للجزائر قبيل الاحتلال الفرنسى . لنعرف ماذا فعل بها هذا الاحتلال البغيض نجد أن جزائر ماقبل ١٨٣٠ كانت قد بلغت تطورا اجتماعيا واقتصاديا وعسكريا كبيرا . فالجزائر كانت تمتلك قوة عسكرية تقدر بـ ٣٠ ألف بحار من أكفأ رجال البحر وكان الاسطول الجزائرى يتكون من ٧٢ قطعة حربية كبيرة و١٤٠ سفينة متوسطة الحجم وكان لها الهيمنة الكاملة على حوض البحر المتوسط ولم تكن أية قوة بحرية أخرى تملك أن تبحر أو تتجول فى ذلك البحر الا بعد دفع الاتاوة للجزائر والا فالعقاب ينتظرها . ولم يستثن من هذا الأمر أحد حتى أولئك الذين أخذوا إذنا بذلك من الخلافة العثمانية مثل فرنسا لم تكن الجزائر تعترف به وكانت كل من انجلترا وفرنسا والدانمارك وهولندا وسردينيا والبرتغال والسويد والنرويج وهانوفر وأسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية تخضع لهذا التقليد ، وكان عدد سكان الجزائر فى ذلك الوقت عشرة ملايين نسمة وسكان العاصمة ٥٠ ألف نسمة وكان هناك تقدما زراعيا وصناعيا وتعدينيا مشهودا فى الجزائر - وكان كل جزائرى يعرف القراءة والكتابة وبعضهم يحفظ القرآن أو يتخصص فى العلوم الاسلامية أو الدنيوية عن طريق آلاف المدارس والمعاهد المنتشرة والتى كانت تدار بأموال الأوقاف وكانت جميع مراحل التعليم مجانية (الابتدائى .. الثانوى العالى) على نفقة الأوقاف - وكان أغنياء الجزائر وفقراءها يتبارون فى وقف الأموال على التعليم - ويكفى أن تعرف أن قسطنطينة كانت تضم ٨٦ مدرسة ابتدائية سنة ١٨١٠م ، وعلى المستوى الاقتصادى يكفى أن تعرف أن معظم الدول الأوروبية كانت مدينة للجزائر - بل وفرنسا ذاتها كانت مدينة للجزائر بـ ٧ مليون فرنك سنة ١٧٩٨ .

ما أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر المجاهدة سنة ١٨٣٠ حتى عملوا كل ما يستطيعون من أجل القضاء النهائى على تلك الأمة المجاهدة التى صمدت وقاومت وحاربت اكثر من الف عام متصلة بلا انقطاع ضد أوروبا الصليبية - وكان الفرنسيون يعرفون عناصر القوة فى تلك الأمة المجاهدة فراحوا يضربونها ويحاولون

اجتثاثها من جذورها بلا هوادة ولا رحمة - بل بفظاعة وقسوة منعدمة النظير .

كان فى مدينة الجزائر وحدها سنة ١٨٣٠ أى سنة الاحتلال الصليبى الفرنسى مائة وستة مساجد - وعندما حرر المسلمون الجزائريون بلادهم سنة ١٩٦٢ لم يكن فى عاصمة الجزائر اكثر من ثمانية مساجد فقط - أى أنه اختفى ٩٨ مسجدا من التى كانت موجودة ومنع أيضا بناء مساجد جديدة .

فى سنة ١٨٣٢ صرح "روفيفو" الحاكم الفرنسى للجزائر «أنه يلزمنى أجمل مسجد فى المدينة لنجعل منه كنيسة للمسيحيين» وخاطب رجاله قائلا : «عجلوا بذلك فجامع كتشاوة - كيجاده - وهو أجمل مسجد فى المدينة وأكبرهما . يجب أن يتحول إلى كنيسة .

وعلم المسلمون الجزائريون بنية الاحتلال . فاعتصم منهم أربعة آلاف بالمسجد لحمايته بأجسامهم - وأقفلوا الباب عليهم - وفى ١٨ ديسمبر ١٨٣٢ حضرت قوات من المدفعية والمشاة الفرنسيين وأحاطوا بالمسجد - وقامت فرقة من حاملى الفؤوس الفرنسيين - بكسر أبواب المسجد - وقامت أيضا القوات الفرنسية باقتحام المسجد واطلاق النار بوحشية على الأهالى الآمنين فى مسجدهم - وقتل جميع من فى المسجد من المسلمين - وطلى الجامع بدمائهم - وجاء القساوسة وقاموا بتلاوة أناشيد الغفران على أشلاء المسلمين الممزقة - وتم تحويل المسجد الى كنيسة عرفت باسم "كنيسة سان فيليب" .

وحدث الشئ نفسه فى كل المدن الجزائرية . وتحولت المساجد الى كنائس أو اصطبلات للخيل أو ثكنات للجيش والشرطة .

وإذا كان المسجد هو محور الحياة الاسلامية . وهو النواة الطبيعية التى تلتف حولها عمليات المقاومة أو الصمود . فإن الاستعمار الفرنسى الصليبى كان يدرك أهمية تدمير ذلك المحور وتلك النواة حتى يدمر حيوية شعب الجزائر المجاهد . الصامد ويلغى من تكوينه النفسى كل ملامح الصمود وبوادر المقاومة .

وكان الشق الثانى فى عملية التدمير البشعة هو قتل وإبادة الشعب الجزائرى أو ما أمكن منه عقابا له على أكثر من ألف عام من الجهاد ضد الصليبيين ولزرع الخوف والرعب فى قلوب هذا الشعب .

لنقرأ ذلك فى التقارير الفرنسية نفسها والتى نقلها الاستاذ بسام العسيلى فى سلسلته الرائعة عن جهاد شعب الجزائر فى أحد تلك التقارير الرسمية الفرنسية - "بناء على تعليمات القيادة الفرنسية خرجت قوة من الجنود فى مدينة الجزائر - وانقضت قبل الفجر على أفراد القبيلة وهم نيام فى خيامهم - فذبحتهم جميعا دون أن يستطيع أحد الدفاع عن نفسه - وقد لقى الجميع حتفهم دونما تمييز بين رجل وامرأة أو طفل وعاد الفرنسيون من هذه الحملة وهم يحملون رؤوس القتلى على أسنة الرماح . وجاء فى تقرير فرنسى آخر "بيعت كل الماشية إلى قنصل الدانمارك - وعرضت بقية الغنائم للبيع فى سوق باب عزون فى عاصمة الجزائر ذاتها ، ووزع ثمنها على ذابحى أصحابها ، وفى ليل ذلك اليوم أصدرت الشرطة الفرنسية أمرها إلى أهل المدينة باضاءة الأنوار فى الحوانيت علامة على الابتهاج" .

وجاء فى تقرير إحدى اللجان الرسمية الفرنسية .

«لقد ذبحنا أناسا كانوا يحملون أجازات بالتنقل - كما قضينا على مناطق بأكملها اتضح فيما بعد أن ضحايانا فيها أبرياء ، رجالا عرفوا بالقداسة بين عشيرتهم وآخرون لا تنقصهم صفة الاحترام بين ذوى قرابتهم لمجرد أنهم مثلوا أمامنا سائلين الرحمة بزملائهم - وقد وجدنا قضاة ليحكموا عليهم ورجالا متمرنين لشنقهم» . وكتب الماريشال سانت ارنو الى أهله .

«إن بلاد الجزائر بلاد بديعة . وهى من أجمل مارأيت - وقراها متقاربة وأهلها متحابون - لقد أحرقنا كل شئ فيها ولم نترك شيئا لم ندمره - لقد ذهبت إلى أفراد قبيلة "التبراز" فاحرقتهم جميعا ونشرت حولهم الخراب - وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشئ نفسه ولكن على نطاق أوسع" .

وكتب مونتيناك فى كتاب له أسماه - رسائل جندى .

«لقد كانت مذبحة شنيعة حقا - كانت المساكن والخيام فى الميادين والشوارع والأفنية التى انتشرت عليها الجثث فى كل مكان . وقد أحصيناهم فى جو هادئ بعد الاستيلاء على المدينة - فكان عدد القتلى من النساء والأطفال الفين وثلاثمائة أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر - لسبب بسيط - هو أننا قتلنا جرحاهم أيضا».

وكتب القائد الفرنسى - الكونت هيريسون :

«فظائع لا مثيل لها - أوامر بالشنق تصدر عن نفوس كالصخر - يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر. وكنا نقوم برمى الأهالى بالرصاص - أو نقتلهم بالسيف وذلك بدون جريره فعلوها، إن الميل الى سفك الدماء- وحب التعذيب - وإزهاق الأرواح جملة- وإبادة القرى والقبائل- واحراق البيوت- والتمثيل بالموتى والاجهاز على الجرحى.. والفتك بالأطفال والشيوخ والنساء- والاتجار باعضائهم المبتورة- وحليهم ومتاعهم الغارق فى دمائهم- هذا الميل وتلك القسوة لم تكن تشبع أو ترضى. لقد تفننا فى ابتكار وسائل أخرى لم يعرفها تاريخ البشرية على كثرة ماحفل به هذا التاريخ من الفظائع والآثام - لقد اهتدينا إلى طريقة جديدة سميناها جهنم وخلاصة هذه الطريقة - أن يسد الجنود الفرنسيون باب الكهف أو المغارة التى يلجأ اليها الجزائريون بنسائهم وأطفالهم ومواشيهم فرارا من الموت والقتل والاحراق، ثم يشعلوا فى بابها نارا حامية - فيختنق القطيع البشرى داخل المغارة مع قطعان الماشية - فإذا انبلج الفجر ذهب الفرنسيون لمشاهدة هياكل الثيران والحمير والخرفان ويظهر أنها اندفعت بغريزتها نحو مخرج الكهف بحثا عن الهواء الذى انعدم فى الداخل فتكدست بعضها فوق بعض وتكومت جثث الرجال والنساء والأطفال بين هذه الحيوانات ومن تحتها، وشوهد رجل ميت وهو جاث على ركبتيه وقد أمسكت يداه قرن محترق وبجواره امرأة ميتة تحتضن بين ذراعيها طفلها الميت، مما يدل على أن هذا الرجل قد اختنق وهو يدافع عن امرأته وطفله اللذين اختنقا أيضا إثر هجوم الثور عليهما».

ويصف أحد الجنود الفرنسيين فى الجزائر ماحدث قائلا: «أنها لم تكن عملية استعمارية بل هى حرب إبادة شاملة لشعب بأسره».

بل إن «بيجو» الاستعمارى الفرنسى المشهور لم يتورع عن القول «إن عملية إحتلال الجزائر كانت أشبه بمرور قوافل الرحالة الذين يهجمون على بلد ما فيقتلون ويذبحون وينهبون كل شئ».

وفى كتاب مونتانياك - رسائل جندى - يقول على لسان احد الجنود الفرنسيين واصفا مافعله بأحد الجزائريين «لقد قطعت رأسه - وقبضته اليسرى - وقدمت إلى المعسكر شاكا رأسه على حربه معلقا يده على قضيب بندقية ثم أرسلناهما إلى

الجنرال باراقاى ديلليار – الذى كان فى المعسكر القريب منا ، وكم كان الجنرال شديد الفرح والسرور» .

أما كريستيان صاحب كتاب «أفريقيا الفرنسية» فانه يقول فى إحدى فقرات الكتاب : "وفى اليوم التالى نزلت الحملة إلى "البليدة" وأحرقت كل شئ فى طريقها وهدمت هذه القرية الجميلة – وكان خط النيران المشتعلة فى الجبل هو المرشد الى طريق سير الحملة» .

ويقول الاستاذ بسام العسيلى – فى كتابه الرائع – جهاد شعب الجزائر – الجزء السابع «لم تقف جهود فرنسا الحضارية عند حدود أعمال الابادة المباشرة للجزائريين إنما تعدتها إلى أعمال الابادة غير المباشرة وفى طليعتها إهمال الناحية الصحية – ونقل الامراض والأوبئة الى الجزائر ومنها أمراض السل والأمراض التناسلية – ومعروف أن الجزائر – لم تكن تعرف مثل هذه الأمراض والأوبئة قبل الاحتلال الفرنسى – ولم يأت بهذه الأمراض الفتاكة غير جنود الحملة المكونين من السجناء واللقطاء والمرتزقة – وهكذا فقد رافقت الحملة الفرنسية حملة من الأوبئة المخيفة التى صدرها المجتمع الفرنسى القذر» .

وبالطبع لم تقتصر أعمال الحملة الفرنسية على تحطيم محور المقاومة "المسجد" – وعنصر المقاومة الانسان بل تعدت ذلك إلى تدمير البيئة الاقتصادية الجزائرية – وتغيير أشكال الحياة الاقتصادية وعلاقات الانتاج السائدة بصورة تضمن لها ابادة الوجود والمستقبل لشعب الجزائر – إبادة اقتصاد الجزائر الخاص بحيث يساعد ذلك فى تدمير الجزائر حضاريا وسكانيا وإنسانيا ، ولذا تم تطبيق مخطط اجرامى لإحراق الغابات والمزارع والحقول والبساتين وتخريب القرى والمدن وردم العيون والآبار – بحيث أنه لم يمر أقل من أربعين عاما على الاحتلال الا وبدأت المجاعات تنتاب الجزائر – وكان أولها فى سنة ١٨٦٧ – تلك المجاعة الرهيبة التى حرمت كل شعب الجزائر من لقمة العيش . فأصبح الجزائرى يهيم على وجهه جوعا – مع العلم أن المجاعات هى من الأشياء التى لم يعرفها الجزائر قط بسبب وفرة انتاجه وكثرة الخيرات الطبيعية فيه . فانظر كيف تحول شعب الجزائر الذى كان يقرض أوروبا الأموال ويصدر لها الغلال بحيث كانت فرنسا ذاتها مدينة له بـ ٧ ملايين فرنك قبل

الاحتلال وهى ثمن غلال ومواد غذائية - أنظر كيف أصبح جائعا بعد ٣٨ عاما من الاحتلال .

وتتابعت الوسائل الفرنسية لتدمير كل ما من شأنه زيادة تماسك أو صمود أو استمرار الشعب الجزائرى . فامتدت يد التدمير للأوقاف الاسلامية - تلك الأوقاف التى كانت تبلغ ٦٦٪ من مجموع الأملاك العقارية والزراعية فى الجزائر قبيل الاحتلال - وهذه النسبة العالية من الممتلكات الموقوفة ترجع إلى شغف الجزائريين بحبس أموالهم على المساجد والمدارس وطلبة العلم والفقراء والمحتاجين حتى أنها كانت تحقق الكفاية التامة لكل محتاج أو فقير أو طالب علم . وبسبب هذه الأوقاف لم يكن المجتمع الجزائرى يعرف يوما قبل الاحتلال الفقر أو الحاجة أو الجوع كما أن أموال تلك الأوقاف كانت تشكل رافدا ضخما يدعم مسيرة العلم والعلماء . أى أنها كانت تحقق للجزائر التماسك الاجتماعى والتقدم العلمى فى نفس الوقت ، وهكذا كان من الطبيعى أن تمتد إليها يد التدمير الفرنسية أليست فرنسا تريد تدمير كل عوامل بقاء وتماسك الجزائر .

وإذا كانت الشريعة الاسلامية هى إحدى العوامل الهامة فى توحيد شعب الجزائر - وإذا كان القضاء الاسلامى يحقق الاستقرار الاجتماعى بعدالته ومثله العليا - وإذا كان ذلك من الأمور التى تدعم التميز فى الهوية والانتماء وتحقق نوعا من الصمود أمام جحافل الاستعمار فلابد من القضاء على الشريعة الاسلامية وضرب القضاء الاسلامى فتم استبدال القضاء الاسلامى بالقضاء الفرنسى والشريعة الإسلامية أزيحت لتحل محلها شريعة فرنسا . والهدف واضح هو ضرب جذور الشعب واجتثاثها وضرب التماسك الاجتماعى وتحقيق نوع من الغربة الاجتماعية لشعب الجزائر أو مابقى من شعب الجزائر .

وإذا كان التعليم هو محور الحياة الاسلامية لشعب الجزائر وإذا كانت اللغة العربية هى عصب التواجد الاسلامى للشعب الجزائرى . فكان لابد من ضرب التعليم عموما وضرب اللغة العربية خصوصا . فكان من الطبيعى فى سبيل القضاء على شعب الجزائر ودينه وحضارته ولغته وكل مقوماته أن يتم ضرب التعليم فى الجزائر . فتم اغلاق اكثر من ٢٠٠٠ مدرسة فى الجزائر . بل وقتل

واعتقال معظم المعلمين والاساتذة والطلبة اذا لزم . ثم تحريم فتح المدارس الا من خلال ارساليات التبشير المسيحى التى تزايدت فى ذلك الوقت ووجدت مرتعا خصبا لها فى ظل حكم الاستعمار . وإذا كان ضرب الأوقاف الاسلامية قد حرم التعليم من رافد التمويل الاساسى فإن الاجراءات التعسفية من الادارة الفرنسية قد تكفلت باستكمال عملية ضرب التعليم بلا هوادة . بل وصدور القوانين التى تحرم اللغة العربية - والتى تحرم أيضا تفسير القرآن الكريم وخاصة آيات الجهاد وكذلك تحريم تدريس تاريخ الجزائر وتاريخ العرب وجغرافية الجزائر والبلاد العربية والاسلامية . وتحريم تدريس الأدب العربى بجميع علومه وتحريم تعليم العلوم التجريبية كالعلوم والكيمياء والطبيعة والرياضيات ، ولم يسمح سوى بفتح المدارس الفرنسية وتعليم اللغة الفرنسية أى إعداد شعب الجزائر أو مابقى منه ليكونوا خدما فى البيوت الفرنسية أى يعرفون مايزيد قدرتهم على تلك الخدمة ويلبى حاجات الاسياد . ولك أن تتصور إلى أى مستوى وصل هذا الأمر اذا عرفت أنه فى ٨ مارس عام ١٨٣٨ صدر قرار صريح يقول "يمنع تعليم اللغة العربية فى الجزائر - وأن اللغة العربية لغة أجنبية محظورة" .

وإذا تأملنا كل تلك الاجراءات الفرنسية نجد أن الهدف كان محددا وواضحا وهو إبادة شعب الجزائر - وحضارته ودينه ولغته . إبادته بابادة كل ما من شأنه أن يكون عاملا للصمود أو التميز . ابادة المساجد باعتبارها محور الحياة الاجتماعية والسياسية للشعب ونواة المقاومة - وابادة الاوقاف الاسلامية لحرمان العلم من موارده وزيادة رقعة الجوع والفقر - إبادة الشريعة الاسلامية والقضاء الشرعى . إبادة شعب الجزائر عن طريق المذابح والتعذيب ونشر الأوبئة والأمراض - تدمير البنية الاقتصادية ليتحول مابقى من الشعب إلى جياع عراة . تحريم التعليم عامة واللغة العربية خاصة ليتحول مابقى من شعب الجزائر إلى جهلة ومغتربين وخدما لدوائر الاستعمار ليس إلا .

أى المحصلة تدمير الجزائر كشعب وكحضارة وكدين وكلغة - فإذا بقى شئ من شعب الجزائر متمسكا بأهداف الحياة رغم المذابح والجوع فليكن مابقى من شعب الجزائر مجرد أفراد لا رابط بينها من دين أو لغة أو قضاء أو قانون - وليكونوا

أيضا جهلاء جياع - فإذا ماتحقق كل هذا وأصبح من بقى من شعب الجزائر هدف سهل تقوم إرساليات التنصير المسيحى بالتقاطه باكثر من وسيلة وأكثر من أسلوب منها القاء الفتات لهؤلاء الجياع أو اصطيادهم فى المدارس الفرنسية ليصبحوا متفرنسين وليس فرنسيين أى يصبحوا قادرين على اداء دور الخدم فى قاع المجتمع الفرنسى .

وفى الحقيقة فإن العلاقة بين الاستعمار والكنيسة علاقة حيوية بل هما شئ واحد فى الحقيقة . أنظر مثلا إلى إرساليات التبشير المسيحى التى نزلت الى الجزائر مع الحملة الفرنسية تلتقط الجياع وتخيرهم بين الإسلام مع الموت جوعا أو المسيحية مع الطعام . ويحكى الاستاذ بسام العسيلى - فى سلسلته جهاد الجزائر حكاية لها مغزاها فى هذا الصدد "وذات يوم وقف أحد الجزائريين الجياع أمام باب احدى الكنائس التبشيرية فى وهران وطلب إعطائه كسرة من الخبز تحفظ له مابقى من الحياة - وكان الرجل فى حالة تثير الرثاء فى أقسى القلوب المتحجرة . واستقبله المبشر المحترم !! ورحب به وأدخله المعبد وأخذ يعرض عليه أنواع الطعام الشهية واصفا لذائذها وفوائدها . ولم يتمكن الرجل من ايقاف لعابه السائل . فهم عبر يده ليحظى بشئ من الطعام - ولكن المبشر المحترم !! منعه من ذلك . وقال له بصراحة "لن يأكل هذا الطعام الشهى الا من دخل الدين المسيحى - وانتابت الرجل رجفة ولم يلبث أن أدار ظهره للطعام وأخذ يسحب رجليه المنهكتان سحبا حتى إذا ما ابتعد عن باب الكنيسة خر على الأرض فاقدا الحياة .

ليس هذا فحسب - بل إن الكنائس كانت تنتظر نتائج المذابح لتذهب وتأخذ من نجى من الأطفال لتدخلهم فى الكنيسة وتقطع صلتهم بالاسلام والعروبة وتنشئهم على المسيحية والفرنسية فى ملاجئ للأيتام تم تجهيزها لهذا الغرض وحده مثل دار ابن عكنون وبوزريعة فى مدينة الجزائر ودار بطيوه بالقرب من مدينة أرزيو . بل إن القادة العسكريين كانوا أنفسهم يجمعون الأطفال لهذا الغرض - فها هو الجنرال بيجو يذهب إلى الأب "بريمو" ويسلمه دفعة من الأطفال قائلا : "حاول ياأبت أن تجعلهم مسيحيين" إن بيجو نفسه كان صريحا حين أعلن "أن أيام الاسلام الاخيرة فى الجزائر قد ماتت ولن يكون فى الجزائر كلها بعد عشرين عاما من اله يعبد سوى

المسيح – وإذا ما ارتبنا أن هذه الأرض ستبقى لفرنسا فمن الجلى على الأقل – أن الاسلام قد فقدها – إن العرب لن يكونوا لفرنسا الا حينما يصبحون مسيحيين".

إن الكنيسة الغربية كانت ومازالت فى خدمة الاستعمار أو قل ان الاستعمار كان ومازال فى خدمة الكنيسة – وأن ارساليات التنصير كانت طلائع الاستعمار الأولى تمهد له الجو بالدسائس ونشر الافكار الهدامة بل ونشر الرذيلة وتسهيل الانحلال الخلقى وبالتجسس أيضا فها هو الأب فوكو إمام أئمة الكنيسة الكاثوليكية يذهب إلى الصحراء ليجمع المعلومات ويرسم الخرائط ويعود بها ليقدمها إلى حكام فرنسا لتسهيل غزو الجزائر حتى لقد قيل فى فرنسا "أنه لولا خريطة الأب فوكو ووثائقه عن المغرب التى قدمها للحكومة الفرنسية لكان احتلال فرنسا للمغرب العربى من الصعوبة بمكان" .

وبالطبع لم تجحد فرنسا فضل الأب فوكو فصنعت له تمثالا ونصبته فى حديقة ليبوتى بالدار البيضاء سنة ١٩٢٢ .

أى أن الكنيسة فى حالة الجزائر – وكما يقول الاستاذ بسام العسيلى "لم تقنع بالدعوات الضارعة– أو مباركة المحاربين – بل سارت فى ركاب الاحتلال .وتلاحمت معه جسما وروحا وباركت اعماله اللا أخلاقية من الألف الى الياء".

والكاردينال لانيجورى يلخص لنا الأمر كله بقوله "علينا أن نخلص هذا الشعب وأن نحرره من القرآن وعلينا أن ننشئ أطفالهم على مبادئ غير التى نشأ عليها أجدادهم – إن واجب فرنسا تعليمهم الانجيل أو إبادتهم" .

الكنيسة هذه المرة فى حالة الجزائر – لم تبارك الغزو الصليبى أودعت اليد أو غمست سيوف المحاربين فى الماء المقدس كما كانت تفعل فى المشرق أيام الحروب الصليبية فحسب – بل هى ذاتها حملت السيف وأغمدته فى قلوب الجزائريين وشاركت فى حرب الإبادة . وحرق الغابات والاشجار وشاركت فى عمليات التجويع ومولت المشاريع الاستعمارية .

ومع كل هذا وبرغم كل هذا صمد شعب الجزائر وتمسك شعب الجزائر بالإسلام وبالقرآن حتى ولو كان الثمن الإبادة والجوع، ورفض الصليب مع الطعام . ولعل مقاومة شعب الجزائر وصموده تمثل أعظم ملحمة فى تاريخ العالم .

جاءت الغزوة الصليبية إذن على الجزائر بعد حصار بحرى لها استمر أكثر من عامين ولعل كلمات كليمونت تونير وزير الحربية الفرنسية تبين لنا الاهداف الحقيقية لتلك الحملة يقول وزير الحربية الفرنسى "إن الحملة على الجزائر هى حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لينقذها الملك الفرنسى الذى اختاره الله للثأر من أعداء الدين" .

ونزلت القوات الفرنسية التى بلغت ٦٠ الف جندي إلى منطقة سيدى فريج يوم ١٤ يونيو ١٨٣٠ . وقاومت الجزائر تحت قيادة الداى حسين - وخاض الداى أكثر من معركة مع قوات الاحتلال - ولكن نظرا لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين وسوء إدارة المعارك من طرف الداى حسين ورجاله - انتهى الأمر بهزيمة الجيش الجزائرى ودخول الفرنسيين لعاصمة الجزائر فى ٥ يوليو ١٨٣٠ . وتم نفى الداى الى الخارج . وبدأت القوات الفرنسية على الفور فى عمليات النهب والقتل التقليدية التى تميزت بها الحملات الاستعمارية الصليبية .

ولكن هل وقف شعب الجزائر ساكتا ؟ بالطبع لا لأن هذا لايتفق مع روحه ومع رجولته - وبدأت منذ اللحظة الأولى لدخول الفرنسيين الجزائر عمليات المقاومة الشعبية الباسلة ففى سهل المتيجة بدأت سلسلة من الصدامات بين أهالى المنطقة وبين قوات الاحتلال الفرنسى - وتحولت تلك الصدامات الى ثورة شاملة ضمت اثنتى عشرة قبيلة وهم كل سكان ذلك السهل ، وفى منطقة البليدة قام ابن زعمون بالثورة وقاد رجال القبائل للقتال ضد الاحتلال - بل ونجحت تلك الحركة فى استعادة مدينة البليدة من أيدى الفرنسيين وإنزال خسائر ضخمة بالقوات الفرنسية فى تلك المنطقة وتعززت قوة ابن زعمون بانضمام الحاج سيدى السعدى اليه وانخرط فى الجهاد عدد كبير من أهالى الجزائر تحت قيادة ابن زعمون - وتمت مهاجمة المراكز الفرنسية الأمامية سنة ١٨٣١ وأضرم المهاجمون النار فى المزارع الفرنسية فى منطقة وادى الحراش وتطورت أعمال المجاهدين حتى باتت تهدد الفرنسيين فى الجزائر العاصمة ذاتها ، وفى خريف سنة ١٨٣١ خاض المجاهدون معركة كبيرة ضد الفرنسيين فى منطقة بوفريك، وفى نفس الوقت كان احمد بوفراق ينظم المقاومة فى الجانب الايسر لوادى الحراش وبعد أن تمزقت قوات ابن زعمون حمل الحاج سيدى

السعدى راية الجهاد فدعا القبائل إلى الجهاد واستمر يقاتل الفرنسيين حتى عام ١٨٣٢ - كما انضم الاغا محيى الدين الى الأهالى ودعم الثورة والجهاد ضد الفرنسيين .

ونظمت مدينة وهران حركة جهاد ومقاومة كبيرة ضد الاحتلال الفرنسى - بل واستعانت بقوات من مراكش الشقيقة - وتم عقد القيادة للحاج محيى الدين الذى خاض القتال ضد قوات الاحتلال .

فى قسطنطينة قام الحاج أحمد باى قسطنطينة باستكمال عمليات المقاومة بعد انهيار مقاومة الداى حسين - واستطاع ان يجمع فلول الجيش وأن يدخل عددا من المعارك مع الفرنسيين مثل موقعة "عقبة المشارى" سنة ١٨٣٦م بل انتصر على الفرنسيين عندما حاولوا حصار واحتلال قسطنطينة سنة ١٨٣٦ - وتلقى الحاج أحمد مساعدات من استانبول عام ١٨٣٧ إلا أن موقف باى تونس حال دون وصول ذلك الدعم إلى الحاج أحمد فى قسطنطينة - واستطاع الحاج أحمد ان يحشد ٥ آلاف فارس والفين من المشاه بالإضافة إلى جيشه النظامى وانطلق من قسطنينة واشتبك مع الفرنسيين فى موقعة "مجاز عمار" ولكن كثرة عدد القوات الفرنسية أدى إلى هزيمة جيش الباى أحمد فرجع الى قسطنطينة وقاتل مع أهلها من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع ، وحتى بعد سقوط قسطنطينة بيد الفرنسيين رفض الحاج أحمد عرض الامان الفرنسى وانسحب الى خارج المدينة وأخذ ينظم غارات متواصلة على خطوط مواصلات الفرنسيين بين عنابة وقسطنطينة ، واستمر الحاج احمد يجاهد متنقلا من قرية إلى قرية ومن جبل إلى سهل حتى استسلم عام ١٨٤٨م وقامت السلطات الفرنسية بإيداعه السجن فمات مسجونا سنة ١٨٥٠م .

الأمير عبد القادر الجزائرى

ظهر الامير عبد القادر الجزائرى ليقود شعب الجزائر المجاهد ضد الفرنسيين منذ عام ١٨٣٢ - عندما اجتمعت كلمة شيوخ المجاهدين على ضرورة توحيد راية الجهاد تحت قائد واحد ، وتم اختيار الامير عبد القادر لهذه المهمة الصعبة بعد أن رشحه أبوه "محيى الدين" ليكون ذلك القائد المنتظر الذى تعهد بأن يكون قانونه

ومرشده القرآن فى مقابل طاعة القبائل له وحشدها لأبنائها فى الجهاد ضد الاحتلال تحت قيادة عبد القادر ذلك الرجل الذى ينحدر من آل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وسليل أسرة مجاهدة من أسر المرابطين الذين حملوا راية الجهاد الاسلامى فى الجزائر طويلا .

بدأ الأمير عبد القادر فى توحيد المناطق التى لم يصل اليها الاحتلال الفرنسى - كما انضم اليه عدد من زعماء الجهاد فى مختلف انحاء الجزائر - وبدأ فى تنظيم إدارة حكومية لتنظيم أمور الحياة فى تلك المناطق وتعبئتها وحشد طاقاتها للجهاد ضد الاحتلال الصليبى الفرنسى - واعتمد الامير عبد القادر على الفقه المالكى كمصدر للتشريع كما أقام مجلسا للشورى يضم مندوبا عن كل منطقة من المناطق الإحدى عشرة التابعة له وكان لايبرم أمرا الا بعد الرجوع إلى هذا المجلس - مما جعل تلك التجربة بمثابة تجربة هامة للحكم الشورى غير الاستبدادى - وبدأ الامير يبث الدعاه فى مختلف بلاد الجزائر للدعوة الى الجهاد فى سبيل الله ، واستطاع الامير عبد القادر أن يشكل جيشا نظاميا بلغ قوامه ١٦ الف جندى بالاضافة إلى قوات المتطوعين من القبائل الذين بلغ عددهم ١٥٠ الفا ، واعتمد فى كل هذا على أساليب وشعارات اسلامية واضحة ، واعتمد الامير فى تسليحه على اقامة عدد من معامل السلاح فى المناطق التى يسيطر عليها مثل مصنع صهر المدافع فى تلمسان الذى كان ينتج يوميا ثمانية عشر مدفعا - ومصنع للبنادق فى مدينة مليانة وآخر لانتاج البارود وعدد آخر من مصانع السلاح والذخيرة فى تلمسان والمعسكر ومليانة والمدية وتاقداوت كما نشطت صناعة التعدين وخاصة تعدين ملح البارود - الكبريت - الحديد والنحاس كما عمل الامير على شراء السلاح من اكثر من مكان وبوسائل متعددة ، والشئ المثير للإعجاب والتقدير أن الأمير عبد القادر رغم أعباء الجهاد والتوحيد الضخمة لم ينس أن يؤسس المدن الجديدة وأن ينظم الادارة الحكومية تنظيما دقيقا وأن يرفع المظالم عن الاهالى ويرسى علاقات من الود بين الشعب والحاكم قائمة على الثقة المتبادلة بل وأنشأ المكتبات العامة واستجلب لها الكتب من مختلف بلاد العالم وفتح العديد من المدارس واهتم بتعليم الأطفال والتلاميذ وخصص لطلاب العلم مرتبات شهرية ، ونظم القضاء الإسلامى بحيث

يعتمد على المذهب المالكى وهو مذهب أهل الجزائر والمغرب العربى عموما ، ونستطيع أن نقول أن الدولة التى بناها الامير عبد القادر كانت دولة اسلامية تتمتع بكل ميزات الحكم الإسلامى المثالى المرتبط بقيم القرآن وتعاليم الاسلام- حتى أنه فى ذلك العهد امتنعت أعمال السرقة والسطو تماما كما امتنعت تجارة المخدرات والخمور والدعارة والميسر واعتمد الامير عبد القادر فى كل ذلك على القدوة- فكان هو نفسه مثالا يحتذى من حيث بساطة الملابس والمأكل واسلوب الحياة .

بدأ الامير ورجاله المجاهدون عملياتهم القتالية ضد الفرنسيين سنة ١٨٣٣ أى بعد ظهوره بعام واحد . وقاد الامير رجاله فى اتجاه وهران واصطدم مع القوات الفرنسية بقيادة "دو ميشيل" واستطاع أن يلحق به خسائر ضخمة واضطر دوميشيل إلى سحب قواته بعد قتال يوم واحد ولكن الأمير لم يلبث بعد عدة أيام أن عاود نشاطه عن طريق عمليات الكمائن والغارات المفاجئة على الوحدات الفرنسية الأمامية واستطاع الامير أن يمزق عددا من الكتائب الفرنسية وأن يأسر الكثير من الفرنسيين فى تلك الكمائن والهجمات وبعد عدة أشهر حاول "دوميشيل" أن يهاجم أرزيو ومستغانم وتقدم الامير عبد القادر لانقاذ تلك المناطق ونجح فى ابادة القوات الفرنسية تماما بعد أن حاصرها وأضرم النار فى المناطق التى تحتلها - وأثبت الأمير عبد القادر فى تلك المعركة أنه يمتلك مقومات قيادية ممتازة استطاع بفضلها : أن يبطل كل تكتيكات "دوميشيل" وأن يتغلب عليها وأن يذيق دوميشيل مرارة الهزيمة والمطاردة والسحق .

وفى سنة ١٨٣٥ تجددت الاشتباكات بين الأمير وبين القوات الفرنسية واستطاع الامير بفضل خفة حركته وذكاء تخطيطه الحربى أن يلحق هزيمة كبيرة بالقوات الفرنسية فى مضيق "الهبرة" وأن يحول القوات الفرنسية إلى فلول ممزقة بعضها قتل على يد رجال الامير والبعض الآخر مات فى محاولة الهرب من المعركة بحيث تحولت جثث الفرنسيين فى تلك المعركة إلى تل كبير .

أدت تلك المعركة إلى هياج كبير فى فرنسا - وتم تغيير القائد الفرنسى - كما تم تدعيم القوات الفرنسية فى الجزائر بعدد كبير من الجنود ، ومن ناحية الامير استمر فى ضغطه على القوات الفرنسية - فقام قائد مليانه التابع للأمير بالزحف

الى الجزائر العاصمة وتدمير القوات الفرنسية التى فى طريقه كما قام قائد تلمسان التابع للأمير بحصار القوات الفرنسية فى وهران ولكن القائد الفرنسى كلو زول كان يستعد فى نفس الوقت لشن معركة كبرى ضد الامير حشد لها ١٢ ألف مقاتل فرنسى واستطاع أن ينزل بالامير الهزيمة وأن يستولى على مدينة معسكر الا أنه انسحب منها بعد ثلاثة أيام - ورجع إليها الامير عبد القادر وقاد جيشه وهاجم الجيش الفرنسى فى أكثر من مكان بالغرب من تلمسان الا أن الجيش الفرنسى استطاع احتلال تلمسان سنة ١٨٣٦ . وعلى مقربة من تلك المدينة حدثت معركة "فم تافنة" التى انتصر فيها الامير عبد القادر على القوات الفرنسية نصرا كبيرا اضطر بعده القائد الفرنسى كلوزول إلى الانسحاب الى تلمسان ثم انسحب منها بعد مطاردة الامير له - ولكن الامير استمر يطارده وينزل به الخسائر لمدة شهرين متواليين الى ان اضطر إلى الهرب عن طريق البحر إلى وهران، ولم يضيع الامير وقتا فاستمر يتحرك بجيشه ويصطدم بالقوات الفرنسية لمدة عام كامل وينزل بها أشد الخسائر - مما اضطر الحكومة الفرنسية الى ارسال مدد عاجل الى الجزائر بقيادة الجنرال "بيجو" وانتهى الامر بعزل الجنرال كلوزول وتعيين بيجو بدلا منه بعد أن هزم كلوزول فى قسنطينة على يد حاكمها التركى الباى أحمد - واستغل الامير عبدالقادر الموقف وشن عددا من الغارات الناجحة على المراكز الفرنسية واستطاع ان يسيطر على عدد كبير منها واصبح وجود الفرنسيين فى منطقة وهران شبه معدوم فى ذلك الوقت بعد أن نجح أحد قواد الامير عبد القادر فى تحرير وهران نفسها - واستطاع قائد آخر من قواد الامير عبد القادر من محاصرة الجزائر ذاتها وفى نفس الوقت دخل الامير عبد القادر مدينة تلمسان - وهكذا أصبح الوجود الفرنسى فى الجزائر فى عام ١٨٣٧ فى خطر كبير ، وللأسف الشديد فبدلا من ان يستفيد الامير عبد القادر من ذلك ويضرب ضربته الكبرى لازاحة الوجود الفرنسى من الجزائر وقع فى الخطأ التاريخى وعقد هدنة مع الجنرال "بيجو" استطاع الاخير بها ان يلتقط أنفاسه وينظم قواته ويطلب المدد من فرنسا . وصحيح أن الأمير عبد القادر استفاد هو الآخر من الهدنة فى توحيد الجزائر كلها تحت رايته ولكن النظرة الاستراتيجية تؤكد أن الفرصة التى ضاعت سنة ١٨٣٧ لتحرير كل الجزائر من

القوات الفرنسية كانت فرصة لاتتكرر بسهولة.

على كل حال استغل الامير عبد القادر فترة الهدنة واتصل بسلطان المغرب لتوحيد الجهود فى سبيل تحرير الجزائر خاصة أن المعارك المقبلة ستكون صعبة وتحتاج لكل جهود المسلمين وكذلك اتصل بالسلطان العثمانى ولكن المخاطر التى كانت تواجه دولة الخلافة وقتذاك حالت دون دعم الامير عبد القادر كانت الخلافة فى ذلك الوقت فى حالة حرب مع روسيا وجيوش محمد على فى نفس الوقت" .

تجددت المعارك بين الامير والقوات الفرنسية - وما أن علم الجزائريون بذلك حتى تدفقت أفواج المجاهدين من كل صوب . وزحفت تلك الجحافل فدمرت فى طريقها كل المؤسسات والمراكز الفرنسية - وأصبحت الجزائر العاصمة نفسها تحت حصار المجاهدين . الا أن فرنسا أرسلت مددا كبيرا من الجنود والعتاد ووصل عدد القوات الفرنسية الى ٣٠ ألف جندى تحت قيادة المارشال فالى الذى بدأ الصدام المرير مع الامير عبد القادر بدءا من عام ١٨٤٠ . وقد استخدم الامير فى ذلك الوقت تكتيك عدم الدخول فى المعارك النظامية نظرا لتفوق التسليح الفرنسى بل استخدام عمليات الاغارة والكمائن وقطع طرق الامداد ونجحت تلك الوسيلة فى منع تقدم القوات الفرنسية طوال عام ١٨٤٠ مما اضطر الحكومة الفرنسية أن ترسل الجنرال بيجو مرة أخرى إلى الجزائر مزودا بـ ٨٠ الف جندى فرنسى لاخضاع الامير عبدالقادر الذى أقض مضاجع الفرنسيين طوال تلك المدة . ووجد الامير عبد القادر أن القوت الفرنسية زاد عددها وتسليحها الى درجة كبيرة - فقرر استخدام تكتيك حرب العصابات تماما وتخلى عن اسلوب المعارك الكبيرة - واستطاع أن ينظم القبائل وان ينشئ سلسلة محكمة من الكمائن فى كل مناطق تحركات الفرنسيين - وكان رجال الامير يظهرون فجأة لينفذوا عملياتهم ثم يختفون أيضا فجأة . وظهرت عبقرية الامير فى استخدام مدينة متنقلة كاملة سميت الزمالة . تضم الجيش والحرفيين والنساء والأطفال . والأسواق وتظهر فى مكان من الصحراء ثم تختفى بعد أن تؤدى مهمتها . لقد كانت مدينة حربية متكاملة تضم كل مقومات المدينة بل حتى أسر المحاربين . وظلت تلك الزمالة تعمل - تظهر وتختفى طوال سنوات ١٨٤١ - ١٨٤٢ ، ١٨٤٣ ولم ينجح الفرنسيون فى اصطيادها إلى أن نجحت

القوات الفرنسية فى تدمير الزمالة بمساعدة أحد الخونة من العرب سنة ١٨٤٣ ، ولكن ذلك لم يفت فى عضد الأمير فاستمر يقاتل بعدد من الفرسان ولجأ إلى حدود المغرب سنة ١٨٤٥ واتخذ منها قاعدة لغزواته - وحدثت عقب تلك الصدامات بين القوات الفرنسية والقوات المراكشية - الأمر الذى جعل الحكومة الفرنسية ترسل اساطيلها لقصف الموانى المغربية لمنع السلطان عبد الرحمن سلطان المغرب من ايواء الامير عبد القادر الذى فضل اللجوء إلى جوف الصحراء بعيدا .

وفى نفس ذلك الوقت انطلقت الثورة من جديد فى بلاد الجزائر برغم ابتعاد الامير عبد القادر الى جوف الصحراء . فقام محمد ابن عبد الله الشهير بأبى معزه برفع لواء الجهاد فى منطقة الظهرة وسهل الشلف - وبالرغم من أن قوات بومعزه لم تتجاوز المئات .. فان شرارته قد اشعلت السهل اذا اندلعت المقاومة فى كل مكان باسم ابو معزة وأفاد الامير من هذا الموقف فقاد قواته التى بقيت معه إلى سهل تاونة فدمر الحامية الفرنسية فى سيدى مخلصة واستسلمت له كتيبة كاملة من ٦٠٠ جندى فى "تموشنت" وشعرت فرنسا بالخطر فأرسلت على الفور الجنرال بيجو مرة أخرى إلى الجزائر مع قوات فرنسية جديدة ليبلغ عدد القوات الفرنسية فى الجزائر الـ ١٢٠ ألف جندى - أى ١٤ فرقة كاملة وطبق الجنرال بيجو أسلوب الطابور الجهنمى . الذى يعتمد على الابادة للسكان وحرق الأرض والمزارع والقرى . وخاض الأمير عبد القادر صراعا مريرا ضد الجنرال بيجو وأنزل به عددا من الهزائم القاسية واستمر فى القتال عامين كاملين إلى أن انتهى كفاحه الطويل والقاسى ضد الاحتلال الفرنسى سنة ١٨٤٧ وبذلك استراحت فرنسا وسحبت ١٠٠ ألف جندى من الجزائر ولكن إلى حين .

****

وإذا كان كل من الباى أحمد حاكم قسطنطينة . والأمير عبد القادر الجزائرى قد قادا جهاد شعب الجزائر ضد الاحتلال الفرنسى الصليبى فى أوائل سنوات الاحتلال منذ ١٨٣٠ حتى سنة ١٨٤٧ - فإن الشعوب الاسلامية لم تكن قادرة على مساعدة شعب الجزائر فى ذلك الوقت . فالسلطان فى المغرب الاقصى حاول قدر استطاعته مساعدة شعب الجزائر . ولكن فرنسا هددته بأساطيلها فاضطر للسكوت.

وحاكم تونس اختار الطريق السهل وآثر السلامة منذ البداية ومحمد على فى مصر كان قد غرق إلى أذنيه فى الصدام مع الخلافة العثمانية بعد أن وقع فى الفخ الاستعمارى الذى نصبته له أوروبا الصليبية - فاستنفد قوته الضخمة فى إضعاف الخلافة واضعاف نفسه أيضا ، فلما أدى دوره فى اضعاف الخلافة العثمانية تجمعت الدول الاوروبية الصليبية وأجهزت على ماتبقى من قوته . والخلافة العثمانية تلك الدولة العظيمة التى طالما هبت لنجدة الاسلام والمسلمين فى كل مكان والتى طالما دافعت عن الجزائر بالتحديد كانت هى الأخرى تواجه تحديات من كل حدب وصوب من روسيا القيصرية . ومن اليونانيين المدعومين بالنمسا وروسيا وانجلترا وفرنسا وكل اوروبا . ومن جيوش محمد على التى باتت تهدد عاصمة الخلافة ذاتها وهكذا وجدت نفسها فى حالة شلل تام أمام احتلال الجزائر فاكتفت بالاحتجاج الدبلوماسى والتحرك السياسى .

وبعد فشل التحرك السياسى حركت الدولة العثمانية اسطولها الى طرابلس الغرب سنة ١٨٣٥ ولكن الدول الأوروبية تجمعت من جديد لدعم فرنسا واضطر الأسطول العثمانى إلى مغادرة طرابلس بعد ظهور الاسطول الفرنسى فى المنطقة .

وهكذا وقع العبء الكامل على شعب الجزائر المجاهد فى كفاحه ضد الاحتلال الفرنسى الصليبى . وكان شعب الجزائر كعادته دائما فاضطلع باعباء الكفاح وحده ولم يتوقف عن الجهاد لحظة ، فما انتهت مقاومة الامير عبد القادر سنة ١٨٤٧ وتبعه بعد عدة شهور الباى أحمد حاكم قسطنطينة حتى استطاعت قوات الاحتلال الصليبى أن تنشر نفوذها فى منطقة كبيرة من الجزائر . ولم يجد المجاهدون بدا من التوجه إلى المناطق الجبلية الممتدة بين سهل متوجه غربا والتل شرقا ليتخذوا منها قاعدة للانطلاق واستئناف عمليات المقاومة .

وبرغم الظروف الصعبة التى واجهها الجزائريون . وبرغم الضراوة والوحشية التى اتسمت بها تصرفات قوات الاحتلال. فإن عمليات المقاومة استمرت ولم تنقطع يوما -ففى منطقة سور الغزلان أعلن محمد بن عبد المالك وهو معلم قرآن الثورة على الاحتلال عام ١٨٥١ . وانضم اليه الحاج عمر شيخ زاوية محمد بن عبد الرحمن الرحمانية واتباعه الذين امتدت حركتهم إلى معظم مناطق جبال جرجرة والبيبان

والبابور وحوض الصومام. وحدثت مجموعة من الصدامات العسكرية مع سلطات الاحتلال منذ عام ١٨٥١ . ١٨٥٤ حيث انتهت حركة "محمد بن عبد المالك" غير أن الثورة استمرت فى «ذراع الميزان» بقيادة الحاج عمر والاخوان الرحمانيين حتى عام ١٨٥٦.

وفى عام ١٨٥٧ خاض المجاهدون عددا من المعارك مع القوات الفرنسية مثل معركة "ايشر يضمن" التى وقعت فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٥٧ ولم تنته تلك الثورة الا بعد القبض على الحاج عمر يوم ٧ يوليو سنة ١٨٥٧ .

وفى جبل احمد خدون فى الأوراس حدثت الثورة فى عام ١٨٤٩، ثم اشتعلت مرة أخرى فى ١٨٥٨ - ١٨٥٩ بقيادة "سى الصادق بن الحاج" وفى منطقة الحضنة اندلعت الثورة بقيادة محمد بوخنتاش سنة ١٨٦٠ وانضم اليه سى العربى باش وسى احمد باى وامتدت الثورة إلى الجهات الشمالية وسطيف .

وفى سنة ١٨٦٤ اندلعت الثورة فى الجنوب الوهرانى بقيادة أولاد سيدى الشيخ ثم اندلعت مرة أخرى فى ١٨٧٠ .

وفى بلدة زمورة اندلعت الثورة سنة ١٨٥٩ بقيادة ابن خدومة - ثم اندلعت من جديد سنة ١٨٧٠ .

وفى منطقتى المليلة وتبسة اندلعت ثورة أولاد عيدون سنة ١٨٧١ وثورة أولاد خليفة فى نفس الوقت .

ثـــورة ١٨٧١

وإذا حاولنا أن نقيم الاحداث من سنة ١٨٤٧ أى تاريخ استسلام الامير عبدالقادر وسنة ١٨٧١ أى تاريخ اندلاع الثورة الكبيرة نجد أن شعب الجزائر المجاهد لم يستسلم ولم يسكت طوال هذه المدة. وحدثت مجموعة من الثورات والانتفاضات المتفرقة ولكنها كانت عموما ثورات وانتفاضات محدودة وغير شاملة. الامر الذى أعطى للفرنسيين الفرصة لالتقاط أنفاسهم وسحب عدد كبير من جنودهم من الجزائر توفيرا للنفقات وفى نفس الوقت استغلوا تلك الفترة فى دعم وجودهم الاستعمارى بعدد من التنظيمات الادارية والعسكرية. فعقدوا اتفاقيات مع يهود الجزائر وتحالفوا معهم ضد المسلمين. كما قاموا بتوسيع نفوذهم فى الجزائر. وتدمير البنية الاقتصادية للجزائر حيث قاموا بحرق المزارع وإبادة القرى وقطع الاشجار.

واستقدموا العديد من بعثات التنصير لتمارس عملها فى ظل سلطة الاحتلال. كما أنشأوا الكنائس- وأقاموا عددا كبيرا من المستعمرات ليستوطنها الفرنسيون والاورويبون المسيحيون. ومما يؤكد الروح الصليبية ضد الجزائر. أن المستوطنين الذى جاءوا من أوروبا للاقامة فى الجزائر واستغلال ثرواتها كانوا من جنسيات اوروبية مختلفة ولم يكونوا من الفرنسيين فقط بل من السويسريين والانجليز والايطاليين وغيرهم . وقام هؤلاء بانتزاع ملكية الأراضى الخصبة من الجزائريين وأقاموا بها مستعمراتهم ومستوطاناتهم ، وكانت الحكومة الفرنسية تشجعهم بل وتمولهم وتخصص لهم فى ميزانيتها المبالغ اللازمة لتحقيق هدفها النهائى وهو السيطرة الصليبية التامة على الجزائر واستعمارها وتحويلها الى دولة مسيحية تابعة لفرنسا والقضاء على أهلها بالابادة أو التجويع والأوبئة .

بدأت أحداث ثورة ١٨٧١ - بتجمع قوات الحاج محمد المقرانى فى مجانة يوم ١٥ مارس سنة ١٨٧١ . وجاء المجاهدون من كل صوب للمشاركة فى الثورة . فبلغ عدد المقاتلين ٦ آلاف مجاهد يوم ١٦ مارس ١٨٧١ أى بعد يوم واحد من إعلان الثورة . وسار المقرانى بقواته الى البرج فانضم اليهم الجزائريون العاملون ضمن قوات الحرس الفرنسى . وفرض المقرانى الحصار على المدينة لمدة أربعة أيام ثم اتجه بقواته إلى جبل مريسان شمال شرق مجانة وهناك انضم اليه الشيخ الحداد واتباعه . وخاض المجاهدون معركة كبيرة فى "ساقية الرحى" مع القوات الفرنسية التى جاءت للقضاء على الثورة ، وبعد تلك المعركة انضم عدد آخر من القبائل الى الثورة . فقد قام "أولاد تبان" و"الأربعاء" "وريفة" بقيادة محمد بن عده بالهجوم على المستوطنات الاوروبية فى منطقة العلمة بل والحقت الهزيمة بمفرزة فرنسية بقيادة النقيب ترانجان فى عين تاغروط . وفى ٢٠ ابريل ١٨٧١ اعترض الثوار سبيل القوات الفرنسية التى غادرت البرج متجهة الى سطيف . ثم خاض الثوار عددا من المعارك الناجحة ضد القوات الفرنسية فى جبل طافات وثنية مقسم والعيون .. ثم اصطدم المقرانى بقواته مع القوات الفرنسية فى منطقة وادى الرخام فى ٥ مايو ١٨٧١ واستشهد فى تلك المعركة ، وإذا كان المقرانى قد استشهد بعد ٥١ يوما فقط من بداية اندلاع الثورة فانه قد ترك جذوة الثورة متوهجة فى قبضة المجاهدين وبصورة خاصة الاخوان الرحمانيين .

والاخوان الرحمانيون هى طريقة صوفية مجاهدة تنتسب إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمن (١٧٢٨ - ١٧٩٤) وهو عالم أزهرى تلقى تعليمه على يد استاذه الشيخ محمد بن سالم الحفناوى فى الأزهر ثم عاد إلى الجزائر وأسس مدرسة دينية مالبثت أن انتشرت فى عدد كبير من مدن وقرى الجزائر حيث أصبح له تلاميذ ودعاه وزوايا "مدارس تعليمية" وقد شارك الاخوان الرحمانيون فى مناهضة الغزو الفرنسى وكان لهم دورهم فى ثورة الامير عبد القادر وثورة الشريف بونبله (١٨٥٦) - كما قاد الحاج عمر مقدم الرحمانيين. زوج لا لا فاطمة المجاهدة الشجاعة . بنفسه عمليات المقاومة ضد الجيش الفرنسى فى جبال جرجرة .

وبمجرد اندلاع ثورة المقرانى فى ١٦ مارس ١٨٧١ انضم الاخوان الرحمانيون الى الثورة واستطاعوا نشرها فى كل الجزائر بفضل تنظيمهم الدقيق واعتمادهم على الطبقات الفقيرة وانتشار مراكزهم العلمية فى كل مكان . وفى الحقيقة فإن الإخوان الرحمانيين كانوا قد شرعوا فى الإعداد للثورة قبل ذلك ففى يناير ١٨٧١ كانت راية الجهاد قد رفعت . ووجه شيخ الرحمانيين نداء إلى شعب الجزائر بالجهاد . وتلقى الاخوان الرحمانيون نداء شيخهم "الشيخ محمد الحداد" وأسرعوا لحمل السلاح . واندلع لهيب الثورة فى كل مكان ليشمل كل القبائل الكبرى فى التل وحتى الحدود الشرقية للجزائر بحيث بلغ عدد المجاهدين ٦٠٠ ألف مقاتل وأمكن ضم ٢٥٠ قبيلة إلى الثورة مما أعطاها طابع الثورة الشاملة واستمرت تلك الثورة متأججة على موجات متتالية عاما كاملا كانت المساجد والزوايا خلاله هى قلاع الثورة وقواعد الصمود . وقد خاضت الثورة خلال هذا العام عددا من المعارك الهامة فى وادى الصومام وتيرياهنت وبوشامة وتيزى وجبل طافات والبابور والعلمة والوديسة وعين عبيسة وثنية الماجن وعين الكحلة وعموشة ووادى البرد وثنية الغنم وقرية كاسة والحمام وجبل منتانو وقرية سلمة . وجيجل وكدية البيضاء وكالة وزران وغيرها من المعارك التى أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا وسقط منهم الكثير من الشهداء . ويمكننا أن ندرك مدى خطورة تلك المعارك إذا علمنا أن القوات البرية الفرنسية لم تكن قادرة على قمع الثورة وأنها كانت تستعين بنيران البحرية الفرنسية من البحر وخاصة البوارج .

وإذا كان كل من المقرانى والحداد قد قادا الثورة إلى أن استشهد الأول واعتقل الثانى "وحوكم وأعدم فيما بعد" فإن احمد بو مزراق شقيق المقرانى قد قام بدوره هو الآخر فى قيادة الثورة فى منطقة سور الغزلان وونوغة . ودخل فى عدد كبير من المعارك مع القوات الفرنسية فى برج الاصنام وجبل موقرنين وأولاد زيان ولما علم باستشهاد اخيه قرر الاستمرار فى الجهاد ونسق مع الشيخ الحداد فى حصار بجاية والهجوم عليها ثم عاد الى جبل البابور واشترك فى المعارك الدائرة هناك ضد الفرنسيين . وبعد اعتقال الشيخ الحداد وانتكاس الثورة . استمر بومزراق يتابع جهاده واشتبك مع القوات الفرنسية فى ١٢ يوليو ١٨٧١ ثم معركة "يوم تاخراط" فى ٢٠ يوليو ١٨٧١ واستمر بومزراق فى الدعوة إلى الثورة وتحريض الاهالى عليها والاشتباك مع القوات الفرنسية فى عدد من المواقع مثل سهل مجانة يوم ٢٦ أغسطس ١٨٧١ وفى عجيبة وقبوس يوم ٩ سبتمبر - وأولاد سيدى ابراهيم بوبكر يوم ٢٥ سبتمبر ثم استمر فى القتال إلى أن سقط اسيرا فى ٢٠ يناير ١٨٧٢ .

والحديث عن ثورة ١٨٧١ لابد أن يذكر فيه جهود رجال آخرين شاركوا فى قيادة تلك الثورة فبالاضافة إلى المقرانى وأخيه بومزراق والشيخ الحداد لابد من ذكر السعيد بن بو داوود الذى قاد الثورة فى جبال الحضنة وبو سعادة وسى عزيز نجل الشيخ الحداد الذى قاد المجاهدين فى كثير من المعارك .

وكذلك بوشوشة الذى أعلن الثورة فى الشمال واتصل بنجل الامير عبد القادر الحاج محيى الدين الذى استطاع أن يتسلل من دمشق . رغم معارضة ابيه الذى كان يقيم فى المنفى فى دمشق . وأن يصل إلى الجزائر عن طريق طرابلس مدعوما بتأييد السلطان العثمانى واتصل ببعض القبائل واستطاع ان يشارك فى أعمال الثورة ولكن حركته لم يكتب لها النجاح فعاد الي دمشق .

كان من الطبيعى بعد أن انتهت الثورة ان يتم محاكمة قادتها ونفيهم من البلاد وأن يتم فى الوقت نفسه القضاء على مراكز الثورة ومعاقلها وهى المساجد والزوايا وأن تصدر القوانين التى تمنع تحفيظ القرآن أو إنشاء المراكز التعليمية "الزوايا" على

اعتبار ان الثورة وجدت مددا كبيرا من رجال الزوايا وخاصة المنتمين إلى الطريقة الرحمانية الذين نشروا لواء الثورة فى كل مكان وكانوا دعاتها وجنودها فى نفس الوقت . وكان من الطبيعي أيضا أن تستغل قوات الاحتلال الفرنسى الصليبى فرصة تصفية الثورة لغرض الغرامات على الأهالى التى بلغت ٣٦,٥ مليون فرنك أى امتصاص الموارد الجزائرية حتى آخر نقطة واستخدام تلك الغرامات فى توطين المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين . وكان من الطبيعي أيضا مصادرة الأراضى لصالح المستوطنين . وكان من الطبيعى اجراء عمليات قتل جماعى وابادة . كان كل ذلك طبيعيا من سلطة احتلال استعمارى صليبى يكره الاسلام والمسلمين الى درجة الحقد والتشفى .

وإذا كانت الثورة هى أمر طبيعى أيضا . فليس من الطبيعى السكوت على الاحتلال الاجنبى - وليس من الطبيعى السكوت على ممارسات الاستعمار التى تستهدف استئصال شأفة الشعب والدين والحضارة . وليس من الطبيعى البحث عن أسباب خاصة للثورة ، فإن تلك الثورة رغم فشلها قد ساهمت فى تعطيل مشروعات الاستعمار ووطدت دعائم الدين والتشبث بالأرض فى نفوس الجزائريين مما كان له أبلغ الأثر في حماية كيان الجزائر الذى كان مهددا بالفناء . أو الذوبان الحضارى . وإذا كانت الثورة قد أدت إلى استشهاد الآلاف . ودفع الغرامات التى وصلت إلى ٣٦,٥ مليون فرنك ومصادرة أراضى بلغت جملتها ٦٦٦ الف هكتار فإن كل ذلك كان ثمنا للمستقبل وثمنا لاستمرار حياة الجزائر المسلمة شعبا وحضارة.

لقد كانت ثورة ١٨٧١ منارة على الطريق .

****

عقب ثورة ١٨٧١ تدفقت اعداد اخرى من المستوطنين الأوروبيين . وشجعت فرنسا هجرة الفرنسيين بالذات من أبناء الالزاس واللورين اللذين وقعتا فى قبضة بروسيا بعد الحرب بين بروسيا وفرنسا . وشهدت الجزائر موجة من الهجرة الأوروبية من كل من فرنسا "١٣٠ الف مهاجر" وأسبانيا وإيطاليا والمانيا ومالطا وسويسرا

"١١٥ ألف مهاجر" . وكان هؤلاء المهاجرون يرون ضرورة ابادة الشعب الجزائرى ومصادرة كل املاكه وتحويل ماتبقى منه إلى خدم لهم وينقل "جوان غيلسبى" فى كتابه الجزائر الثائرة عن احد الكتاب الفرنسيين رأيه فى استعمار الجزائر كالتالى "يجب أن تكون البلاد ملكا للذين يعرفون كيف يستثمرونها . ويجب أن يفهم كل فرنسى أن الكفاح الذى يخوضه الفرنسيون فى الجزائر إنما هو كفاح هدفه الدفاع عن الوطن الأب المشترك ، وحماية الحضارة المسيحية . بكل ماتعنيه هذه الكلمة من شمول ومن عمق فى المضمون على تربة افريقيا . ولقد كانت فكرة الحضارة المسيحية هى سبب وجود فرنسا والحافز لعظمتها ، ولهذا فإن اضعاف هذه الفكرة عن طريق الخطر الكبير الذى تتعرض له فرنسا فى الجزائر سيعرض فرنسا ذاتها لخطر الزوال" .

****

وإذا كان الشأن الثابت للاستعمار الصليبى عموما والاستعمار الفرنسى خصوصا هو محاولة زرع بذور العرقية والطائفية فى كل مجتمع يدخله . وإذا كانت النعرات الطائفية قد أنشئت إنشاء على يد الاستعمار وكذلك النعرات العرقية مثل القومية العربية فى الشرق فإن الاستعمار الفرنسى وجد من الملائم اثاره نعرة القومية البربرية فى الجزائر وجند لذلك عددا من النصابين تحت اسم علماء الاجناس لوضع نظرية عرقية للبربر بهدف فصلهم عن الحضارة الاسلامية والتفريق بينهم وبين العرب . وبالطبع لم يصمد هذا التزييف امام الحقائق التاريخية . فمن المعروف أن الجيش الاسلامى الذى فتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد ضم أعدادا ضخمة من البربر . بل كان طارق بن زياد أحد هؤلاء البربر . وكانت جيوش المرابطين والموحدين تعتمد على البربر أساساكما ان البربر تحملوا العبء الأكبر فى الدفاع عن الجزائر أمام الحملات الصليبية المتكررة من الأسبانيين والانجليز والفرنسيين والبرتغاليين . وحتى بعد الاحتلال كان البربر فى طليعة حركات المقاومة تحت قيادة الامير عبدالقادر أو الباى أحمد أو ثورة المقرانيين والرحمانيين أى أن البربر منذ أن دخلوا فى الاسلام أصبحوا جزءا لايتجزأ من أمة الاسلام ولم يعرف عنهم يوما خيانة

قضية الاسلام .

استخدمت فرنسا كل جهودها من أجل تنصير البربر واخراجهم من الاسلام ومنعت تعليم اللغة العربية لهم . كما منعت الصلاة فى جماعة أو انشاء المساجد وحاربت كل جهد تعليمى إسلامى فى مناطق البربر . وعلى الجانب الآخر أغرقت مناطق البربر ببعثات التبشير . ونشرت قدر استطاعتها الخرافات حول أصل البربر وعاداتهم الاجتماعية وغيرها من الوسائل الخبيثة التى تنطوى على التلفيق والتزوير والنصب بل واستخدام القوة فى فرض تلك الخرافات ، ولكن البربر صمدوا . وتماسكوا وشكلوا جزءاً لا يتجزأ من حركة المقاومة الاسلامية لشعب الجزائر ضد الاحتلال .

وفى رسالة أرسلها الجنرال ليوتى الى حكومته فى باريس يقول "أعتقد أنه يجب علينا بعث العادات والمؤسسات البربرية ذلك لأن خصوصية الخيال تشكل افضل وسيلة لابراز التناقض او التضاد مع الاسلام" . وفى تعميم أصدره الجنرال ليوتى إلى الضباط الفرنسيين يقول "يجب أن تسير السياسة البربرية فى الاتجاه المضاد . وعلينا تجنب تعليم اللغة العربية للسكان والتى تربطهم بماضيهم دائما . إن العروبة هى عامل من عوامل انتشار الاسلام ذلك لأن اللغة العربية هى اللغة التى يعلمها القرآن ، وتفرض علينا مصلحتنا تطوير البربر بعيدا عن الاسلام . وعلينا من الناحية اللغوية نقل البربر مباشرة إلى الفرنسية ومن أجل ذلك فنحن فى حاجة إلى مدرسين من البربر كما يجب فتح مدارس فرنسية بربرية يتم فيها تعليم اللغة الفرنسية إلى أطفال البربر وعلينا بعد ذلك التدخل بحذر فى المخططات الدينية وذلك بهدف إبعاد الاسلام تماما عن البربر". ووفقا لذلك المخطط الخبيث تم إنشاء مدارس فرنسية بربرية . وتنظيم قضاء مدنى بربرى واختراع مايسمى بالثقافة البربرية وعزل البربر تماما عن العروبة وعن الاسلام .

****

استمرت جذوة الجهاد متقدة تحت السطح . وعبرت عن نفسها بصورة أو بأخرى برغم ليل الاستعمار الكئيب . وظهر ذلك فى عدد من الثورات والإنتفاضات

القصيرة مثل انتفاضة ١٩٠٧ ، وانتفاضة ١٩١١ . وتمكنت القوات الفرنسية من قمعها بالقوة وفى نفس الوقت وكنتيجة للمخطط الاستعمارى بدأت بعض الأصوات وبعض التجمعات الحزبية تعمل من أجل تحسين أوضاع الجزائر بين المسلمين من خلال الاعتراف لفرنسا بالسيادة والعمل من داخل مظلة الولاء لفرنسا وظهر فى هذا الاطار حزب الجزائر الفتاة . وكذلك أنشطة الامير خالد الهاشمى الجزائرى وإذا كانت مطالب هؤلاء قد اصطدمت دائما بالتصلب من جانب الحكم العسكرى الاستعمارى فى الجزائر . فانها لم تؤد الا إلى المزيد من تكريس الوضع الاستعمارى والابتعاد بالقضية الجزائرية عن مسارها الصحيح وهو مسار الكفاح المسلح والتحرير الشامل. على أن تلك التجمعات المتفرنسة وجدت من يقوض نفوذها السياسى على أرض الجزائر مثل جمعية المسلمين لاستقلال الجزائر وتونس سنة ١٩١٦ ثم جمعية العلماء المسلمين فيما بعد وشيوخ الزوايا فى كل وقت .

على أى حال تجددت أعمال المقاومة المسلحة سنة ١٩١٤ فى منطقة المخزن وهى المنطقة الصحراوية الجبلية من مناطق القبائل الممتدة بين مراكش والجنوب الجزائرى . ففى شهر نوفمبر ١٩١٤ تصدى المجاهدون فى خنيفرة لرتل من القوات الفرنسية وقتلوا من أفراده ٦١٣ جنديا وجرحوا ١١٨٧١ آخرين .

وإذا حاولنا أن نعطى صورة حقيقية للموقف فى الجزائر طول السنوات الثلاثين الأولى من القرن العشرين . نستطيع أن نقول أن الجزائر المجاهدة المسلمة كانت كامنة تحت السطح فى أعماق الصحراء والجبال وأحياء الفقراء فى المدن ومن خلال الزوايا والمساجد وعلماء الاسلام وهؤلاء الذين غاب صوتهم فى تلك الفترة كانوا يعملون العمل الصحيح والقادر على حماية كيان الجزائر المسلمة . كان هؤلاء يتشبثون بقوة بدينهم وبلغتهم ويحفظون القرآن الكريم ويستعدون ليوم الثورة الكبرى وقد أداروا ظهورهم لكل شئ . لأن ما كان مطروحا على الساحة لايمثلهم ولايعنيهم . إن لهم طريقا واحدا يعرفونه جيدا وهو أنهم فى حرب صليبية شاملة عسكرية وثقافية وحضارية مع الاحتلال الفرنسى ولن يحسم تلك الحرب سوى القتال تحت راية القرآن .

وعلى الجانب الآخر كان هناك نخبة قليلة أعلنت ولاءها لفرنسا ولم تتورع من الانخراط فى صفوف الجيش الفرنسى والقتال معه على كل الجبهات داخل الجزائر وخارج الجزائر . وأعلنوا ربط مستقبل الجزائر بفرنسا . ولم يرفضوا الأوسمة الفرنسية حتى ولو كانت تحمل الصليب . وكان منتهى مطمح هؤلاء هو أن تقبل فرنسا أن يصبح الجزائريون مواطنون فرنسيون وهو الأمر الذى لم تقبله فرنسا أبدا وظل هؤلاء يمارسون نشاطهم السياسى من أجل تحقيق بعض الاصلاحات الجزئية فى إطار الولاء لفرنسا وكان على رأس هؤلاء حزب الجزائر الفتاة الذى كان يضم الجزائريين والفرنسيين واليهود وغيرهم . وكان الأمير خالد الهاشمى هو زعيم تلك النخبة ونستطيع أن ندرك كم كانت تلك النخبة محدودة لو علمنا أن الذين كانوا يمثلون قاعدة تلك النخبة كان عددهم فى سنة ١٩٢١ (١٨٨٠) وهم المقيدون فى جداول الانتخاب فى ذلك العام . بل ولم يدل بأصواته من هؤلاء فى تلك الانتخابات سوى ٨٦٦ ناخبا . وبديهى أن دهاقنة الاستعمار كانوا يتسامحون مع هذه المجموعة بهدف توسيع قاعدتها وإن كانوا لن يلبوا مطالبها فى يوم من الأيام ولعل كلمات الحاكم العام الفرنسى للجزائر سنة ١٩٢٢ توضح لنا حقيقة الأمر لقد قال الحاكم العام للجزائر "يجب أن ننظر إلى مطالب الامير خالد على أنها علامة إيجابية على التعلق بفرنسا . مما يثير الاعجاب بمؤهلاته ومواقفه" فماذا كانت مطالب الأمير خالد ؟ كانت مطالبه تنحصر فى السماح للجزائريين بالجنسية الفرنسية . عدم تزييف الانتخابات ، تخفيض الضرائب فى مقابل أن يخوض الجزائريون معارك فرنسا ويصبحون جزءا منها .

على كل حال . فإن تلك النخبة المحدودة التى لم تضم الا بعض المثقفين ثقافة فرنسية او الارستقراطية الجزائرية والذين لم يتعد عددهم ١٨٨٠ فردا هم كل الهيئة الانتخابية لهؤلاء سنة ١٩٢٠ كانوا قصيرى النظر فلا هم انحازوا لمجموع الامة المتمسك بالتحرير الشامل والحضارة الاسلامية والرافض فى عناد للاندماج فى فرنسا والذين كانوا كل شعب الجزائر المسلم ولاهم حصلوا على فتات الموائد الفرنسية ، ولا يعنى هذا أن هؤلاء كانوا عملاء – ولكن العملاء كانوا واضحين

ومعروفين وأثرهم فى الحياة الاجتماعية للجزائر كان بلا قيمة وهم فى النهاية ملفوظين من الأهالى ومن الادارة الاستعمارية التى يعملون لصالحها .

انشغل الشعب فى ذلك الوقت بالاعداد للثورة . وانشغل دعاة الاندماج بلعبة الانتخابات والمؤتمرات والمعارك الصحفية فى باريس وراهنوا على اليمين الفرنسى تارة واليسار تارة أخرى ولكن اليمين خذلهم واليسار خذلهم فلا يمين ويسار أمام قضايا العالم الاسلامى فالجميع هنا يتحرك بروح صليبية متغلغلة حتى ولو كان ملحدا .

وفى الحقيقة فإن اسلوب النخبة فى العمل السياسى فى الجزائر فى ذلك الوقت وعلى رأسهم ممارسات الامير خالد لم يكن أسلوبا قاصرا على الجزائر وحدها وإنما ظهرت حركات سياسية وأحزاب سارت على نفس الطريق واتبعت نفس الوسائل ولم تصل هى أيضا إلى شئ وبقى الكفاح المسلح - والكفاح المسلح وحده هو الطريق الوحيد للتحرر وهو الطريق الوحيد لمواجهة الاستعمار وحسم المعارك لصالح الشعوب . وقد ظهر العديد من الآراء التى تدافع عن سلوك الامير خالد فى ذلك الوقت على اعتبار أن الظروف المحلية والدولية لم تكن تسمح بغير ذلك . فالخلافة الاسلامية قد سقطت والمد الاستعماري الصليبى قد وصل إلى اقصى قوته كما أن الممارسات الاستعمارية كانت قد نجحت فى تدمير البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشعوب المحتلة بطريقة قد حرمتها من امكانية الاستمرار فى المقاومة وعلى أى حال فإذا كان كل ذلك صحيحا . فانه لم يكن من الحتمى اسقاط نهج الكفاح المسلح ولو امتلك امثال الامير خالد شيئا من حكمة التاريخ وتفاؤل المستقبل لأمكن لهم تجاوز يأس الحاضر ولكانوا قد عرفوا أن الشعب المسلم كان يمتلك حكمة التاريخ وتفاؤل المستقبل وكان ينتظر تحت الرماد ليخرج فى اللحظة المناسبة كنار عملاقة . والمحصلة النهائية لكل هذا ان الامير خالد لم يكن خائنا ولا عميلا وأنه قد عمل كل ما فى وسعه لتحسين ظروف المسلمين فى الجزائر ولكنه فى كل ذلك كان واقعا تحت تأثير يأس اللحظة والهزيمة النفسية وعدم الثقة لا فى الماضى ولا فى المستقبل.

التمهيد لثورة التحرير
وابن باديس

فى نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات من هذا القرن . كانت الاوضاع فى الجزائر قد وصلت إلى حالة يرثى لها ، كان الاستعمار قد جثم على صدر الجزائر لمدة قرن كامل . وكانت مخططاته الشيطانية تسير على قدم وساق . فالمذابح تتكرر وعمليات الابادة تشتد . وانتزاع الاراضى من الاهالى لصالح المستوطنين الأوروبيين يزداد كل يوم . والمهاجرون المستوطنون من أوروبا عامة وفرنسا خاصة يتدفقون على الجزائر . والبعثات التنصيرية تعمل بهمة ونشاط وتستغل الأوضاع السيئة التى أصبح عليها شعب الجزائر - والمجاعات تتكرر من فترة لأخرى والأوبئة تنتشر . وعدد السكان يتناقص باستمرار . والادارة الاستعمارية تبذل جهودها فى القضاء على الدين الاسلامى والمساجد والزوايا وتمنع تعليم اللغة العربية . وتبذل كل مافى طاقتها لفصل العرب عن البربر . وتقوم بعملية تغريب حضارى وثقافى شامل عن طريق تعليم اللغة الفرنسية وتدمير كل المؤسسات الوطنية واستبدالها بمؤسسات استعمارية . بل ونجحت تلك الادارة فى إفساد بعض الطرق الدينية التى كان لها نصيب كبير من عمليات الكفاح ضد الاستعمار فحولتها إلى طرق صوفية تنشر الخرافة بدلا من العلم الاسلامى الصحيح . وعلى سبيل المثال فإن الطريقة الرحمانية التى اضطلعت بأعباء الكفاح المسلح وخاصة فى ثورة ١٨٧١ قد أصبحت طريقة خربة تنشر الخرافة والتواكل وذلك عن طريق إفسادها من الداخل ووضع بعض العملاء على رأسها مثل أحمد عليوه .

وفى المقابل . فإننا نجد أن شعب الجزائر فى تلك الفترة قد انقسم إلى ثلاث مجموعات هى مجموعة العملاء والمتعاونين مع الاحتلال . وبعض هؤلاء العملاء قد تخلى عن دينه وتنصر . ولكن على أى حال فإن هذه المجموعة لاقيمة لها لأنها ملفوظة تماما من الشعب بل ومن سلطة الاحتلال ذاتها ، والمجموعة الثانية هى مجموعة النخبة الارستقراطية وبعض المثقفين وهؤلاء قد فقدوا الثقة فى امكانية تحرير الجزائر عن طريق الثورة وانغمسوا فى اللعبة السياسية فى إطار الاستعمار مثل لعبة الانتخابات أو المطالبة بتحسين أوضاع الجزائريين وتخفيض الضرائب

والسماح للجزائريين بالحصول على الجنسية الفرنسية دون أن يفقدوا دينهم أو قوانين الاحوال الشخصية . أى أن تلك المجموعة كانت تعلن ولاءها لفرنسا وتدعوا لدمج الجزائر بفرنسا واعتبارها مقاطعة فرنسية بشرط حصول أهلها على حق التجنس والانتخابات والتمثيل فى الجمعية الوطنية الفرنسية دون اشتراط تخليهم عن دينهم أو قوانين الأحوال الشخصية الخاصة بهم وعلى كل حال فإن تلك المجموعة كانت محدودة جدا . حيث بلغ عددها فى مدينة الجزائر أقل من ٢٠٠٠ وهم المسموح لهم بالمشاركة فى الانتخابات وفى كل الجزائر أقل من ٤٣ ألف .

والمجموعة الثالثة هى كل شعب الجزائر المسلم المجاهد الصامد . وهؤلاء كانوا يعبرون عن رفضهم للاندماج بأية شروط ويتمسكون بتحرير الجزائر تماما من الاحتلال الفرنسى ويتمسكون بدينهم وقيمهم وعقائدهم وكانوا يتواجدون فى كل الجزائر . فى الجبال والسهول والصحراء وفى الأحياء الفقيرة فى المدن . كانوا يحفظون القرآن الكريم على اعتبار انه الطريقة الوحيدة للمحافظة على كيانهم المتميز حتى لقد بلغ عدد الذين يحفظون القرآن فى الجزائر حوالى ٦٠٪ من أهلها وهذا دليل على حيوية مذهلة فى مواجهة عمليات المطاردة التى يتعرض لها محفظوا القرآن وعلماء الدين عموما ، كان هؤلاء كالنار تحت الرماد ينتظرون اللحظة المناسبة .

ومن هؤلاء خرج الشيخ عبد الحميد بن باديس - من مدينة قسنطينة المجاهدة واتخذ الشيخ عبد الحميد من مسجد قسنطين مركزا له فبدأ يدعو إلى الاسلام وإلى التمسك باللغة العربية ونقض الخرافات عن الدين الاسلامى الحنيف . ويدعو فى الوقت نفسه إلى رفض الفرنسية والاندماج مع فرنسا ويمهد التربة للثورة كان الشيخ عبد الحميد يعرف أن معركة التحرير هى معركة الاسلام واللغة العربية وهى معركة التميز الثقافى والحضارى عن ثقافة وحضارة المحتل ، وكان من الطبيعى أن تجد دعوة الشيخ عبد الحميد صدى قويا فى قلوب أهل الجزائر وبدأت دروسه تكتظ بالمستمعين ليس من قسطنطينة وحدها بل من مختلف انحاء الجزائر ، وأنشأ الشيخ

عبد الحميد مجلتى المنقذ والشهاب سنة ١٩٢٤ وبث فيهما أفكاره الجريئة عن التحرر والاسلام والعروبة وكان من الطبيعى أن تثمر عملية الوعى عن انتفاضات . فحدث فى مدينة قسطنطينة سنة ١٩٣٤ انتفاضة شعبية كبيرة ضد عملاء فرنسا وخاصة من اليهود الذين ارتبطوا بالاستعمار وتجنسوا بالجنسية الفرنسية ومارسوا أقبح الأدوار ضد الشعب الجزائرى الصامد .

وخاض الشيخ ابن باديس معاركه الفكرية دفاعا عن الاسلام . فدخل فى حوار فكرى مع المستوطن الفرنسى "آشيل" الذى تهجم على الاسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم واستطاع بن باديس أن يفحم هذا الكافر . ولم يكن ذلك الحوار نوعا من الترف الفكرى . بل كان من صميم معركة التحرير حيث أن الاستعمار كان يحاول دائما أن يبث أفكارا مغلوطة عن الاسلام بهدف تشكيك المسلمين فى دينهم وصرفهم عنه . لأن الاستعمار كان يدرك ان الاسلام هو الطاقة الكبرى التى تؤجج الكفاح ضده فى أفريقيا وآسيا على وجه الخصوص .

كان الشيخ ابن باديس يمتلك وعيا مبكرا وفذا . وبرغم الظروف القاسية التى كان يعيشها شعب الجزائر فى ذلك الوقت - فإن ذلك لم يمنع ابن باديس من الاهتمام بالقضية الفلسطينية والتنبيه المبكر للخطر الصهيونى - يقول ابن باديس فى سنة ١٩٣٨ "تزاوج الاستعمار الانكليزى الغاشم مع الصهيونية الشرهة فانجبا لقسم كبير من اليهود الطمع الاعمى - وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيما لايطاق وجرحوا قلب الاسلام والعرب جرحا لايندمل - جاء الزوجان المشئومان الصهيونية والاستعمار- فكانا بلاء على فلسطين . وليست الخصومة بين عرب فلسطين واليهود فحسب - بل بين الاسلام كله والصهيونية والاستعمار كله ، وكل مسلم مسئول أعظم المسئولية عند الله تعالى ان لم يعمل على رفع الظلم عن فلسطين بما استطاع" .

ولم يكن هذا الاهتمام بالقضية الفلسطينية الا تأكيد لوحدة المصير الاسلامى فى كل مكان وتأكيدا فى الوقت نفسه أن الجزائر المسلمة مازالت جزء من الاسلام

ومن الحضارة الاسلامية رغم ليل الاستعمار الطويل .

جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر

تكللت مجهودات الشيخ عبد الحميد بن باديس بانشاء جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر سنة ١٩٣١ وضمت الجمعية ١٢٠ عالما من علماء الجزائر الذين اشتهروا باستقامتهم وإخلاصهم لعقيدتهم الاسلامية وللجزائر المسلمة فى نفس الوقت - وقد اختارت الجمعية الشيخ عبد الحميد رئيسا لها وكان شعار الجمعية "الاسلام ديننا - العروبة لغتنا - الجزائر وطننا" .

ومنذ اليوم الأول للجمعية قامت بمهمتها التاريخية فى تأكيد إسلامية الجزائر وغيرها ورفضها للخضوع أو الاندماج فى فرنسا . فقام الشيخ احمد توفيق المدنى بتأليف ونشر كتاب عن تاريخ الجزائر سنة ١٩٣١ ليكون أداة بيد الجزائريين تؤكد أصالتهم وتميزهم - كما قام ابن باديس وعلماء الجمعية وتلاميذها بالتصدى لدعاة الفرنسة أو الدعوات العرقية واستطاعوا أن يفسدوا تدبير المستعمر فى الوقيعة بين العرب والبربر - بل وينبرى البربر أنفسهم للتأكيد على إسلامية الجزائر وعروبتها . وفى نفس الوقت انبث علماء الجمعية وتلاميذها فى كل مكان من الجزائر ينشئون المدارس التعليمية والمساجد واهتموا بتعليم الاطفال والكبار على السواء اللغة العربية وآدابها . والاحكام الاسلامية فى العقيدة والفقه على السواء. وكذلك تعليم تاريخ الجزائر وملحمتها الجهادية ضد الحملات الصليبية .

ويعد موقف جمعية العلماء فى ابان الحرب العالمية الثانية من أروع مواقفها وأجلها - فقد رفض الشيخ ابن باديس وعلماء الجمعية أن يعلنوا تأييدهم لفرنسا - وقال الشيخ ابن باديس كلمته التاريخية " كيف نكون مع فرنسا وهى التى لم تقم لنا وزنا - ولم تعترف لنا بحق وأمعنت فى إهانتنا واحتقارنا ، فكيف تجدنا ساعة الخطر أعوانا وأنصارا ؟ يجب علينا أن نسكت عنها إطلاقا ولانقول لها كلمة" .

وتعرضت الجمعية بسبب مواقفها وتصرفاتها للكيد الاستعمارى التقليدى - فراحت الادارة الفرنسية تستخدم بعض عملائها فى الطرق الصوفية فى الهجوم على

الجمعية - بل وتدبير حوادث الاغتيال لزعماء الجمعية - وتعرض علماء الجمعية للمطاردات البوليسية والاعتقال .

كان موقف الجمعية واضحا لا لبس فيه ولاغموض إنها مع اسلامية الجزائر وعروبته مع تحرير الجزائر تحريرا كاملا عن الاستعمار الفرنسى . ليس هناك أية أرضية للقاء مع الاستعمار . فالصراع صراع حضارى وثقافى وعسكرى عتيد فى التاريخ والجغرافيا .

انظر إلى باديس يقول : "والله لو قال الاستعماريون لى قل لا إله إلا الله محمد رسول الله - ماقلتها" . ثم يقول : والله لن أوقع تأييدا لفرنسا ولو قطعوا رأسى" .

وعلى نفس المنهج سار باقى علماء الجمعية - فها هو الشيخ العربى التبسى يرفض أن يعلن تأييده لفرنسا فى حربها مع الألمان برغم ضغوط السلطات الفرنسية وتلويحها بالقتل أو الاعتقال إذا لم يفعل ذلك .

وتوفى الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم ١٦ فبراير ١٩٤٠ - ولكن تلاميذه واخوانه اكملوا مسيرة الكفاح ولم تسقط الراية من أيديهم ، فها هو الشيخ محمد الابراهيمى الذى كان قد اعتقل فى بداية الحرب العالمية الثانية لأنه رفض تأييد فرنسا . يقود الجمعية من بعد ابن باديس بل لقد تم اختياره رئيسا للجمعية وهو بعد مايزال مسجونا . وبمجرد خروجه من السجن اندفع بحماس لانشاء المزيد من المدارس العربية لتعليم البنين والبنات حتى لقد بلغت المدارس التابعة للجمعية فى ذلك الوقت ١٧٠ مدرسة عربية حرة تعلم الدين الصحيح والتاريخ الاسلامى والعلوم العصرية وبلغ عدد تلاميذها مايزيد على الخمسين ألفا بين ذكور واناث . يقوم بتعليمهم أكثر من ٩٠٠ معلم معظمهم من خريجى الأزهر الشريف فى مصر أو جامعة الزيتونة الاسلامية بتونس .

ثم قامت الجمعية بانشاء عدد من المدارس الثانوية وشكلت الجمعية لجنة خاصة للتعليم بل وأوفدت عددا من الطلبة لاستكمال الدراسة فى المعاهد العليا بمصر وتونس وفى سنة ١٩٥٣ كان عدد المدارس التابعة للجمعية ٣٠٠ مدرسة تضم اكثر

من ٧٠ ألف طالب - ولتحقيق المزيد من التميز والاستقلال كانت الجمعية تمنح الشهادات العلمية باسم الشعب الجزائرى وبدون موافقة الادارة الفرنسية الاستعمارية.

ومن ناحية أخرى اهتمت الجمعية باصدار المجلات مثل البصائر وغيرها لتخوض من خلالها معاركها من أجل التحرر والاسلام والعروبة "أغلقت مجلة البصائر بأوامر من سلطات الاحتلال سنة ١٩٥٦" .

ولم تقتصر جهود العلماء على الاهتمام بقضايا الشعب المسلم فى الجزائر بل اهتمت بأوضاع المسلمين عامة فى مشارق الأرض ومغاربها - وخاصة قضية فلسطين فقد قامت الجمعية بالدعوة إلى إنشاء "لجنة اعانة فلسطين" وترأس تلك اللجنة الشيخ احمد ابراهيمى رئيس الجمعية بنفسه" واستطاع الابراهيمى أن يوسع قاعدة تلك اللجنة وأن يقوم من خلالها بالاتصال بالجامعة العربية لتدعيم ومساندة الشعب الفلسطينى سنة ١٩٤٨ . ودعا الشيخ الابراهيمى من خلال تلك اللجنة جميع مسلمى العالم بالكفاح ضد الامبريالية والصهيونية وأن تقدم الاحتجاجات على ماحدث فى فلسطين إلى الهيئات الدولية . وبالطبع لم يقتصر نشاط اللجنة على ذلك . بل قامت بارسال عدد من المجاهدين الجزائريين إلى فلسطين للمشاركة فى القتال ضد الصهيونية . وكذلك تم إرسال مبلغ أربعة ملايين فرنك ثم ثلاثة ملايين فرنك أخرى لدعم الجهاد الفلسطينى .

ومن أقوال الشيخ الابراهيمى فى الدفاع عن القضية الفلسطينية .

"أيها العرب - أيها المسلمون - إن فلسطين وديعة محمد عندنا - وأمانة عمر فى ذمتنا - وعهد الاسلام فى أعناقنا -فلئن أخذها اليهود منا - ونحن عصبة - إذا نحن خاسرون" .

ويقول أيضا "أيها الظانون أن الجزائر بعراقتها فى الاسلام والعروبة تنسى فلسطين أو تضعها فى غير منزلتها التى وضعها الاسلام من نفسها - لا والله ويأبى لها ذلك شرف الاسلام ومجد العروبة ووشائج القربى - إن الاستعمار يريد أن

يباعد بين أجزاء الاسلام لكيلا تلتئم - وهيهات لما يروم" .

ووصلت جمعية العلماء الى ذروة نضالها عندما وقف الشيخ أحمد توفيق المدنى فى أبريل سنة ١٩٥٦ ليعلن تأييد الثورة وانخراط المجاهدين من أتباع الجمعية فى صفوفها.

وإذا أردنا أن نعطى تقييما لنشاط جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر - فانه يجب أن نأخذ فى الاعتبار عدداً من العوامل :

- أن ظهور الجمعية فى ١٩٣١ - جاء بعد أكثر من مائة عام من ليل الاستعمار الطويل - وأن المخططات الاستعمارية فى ابادة شعب الجزائر حضاريا وثقافيا - وعمليات الفرنسة - وتخريب المؤسسات الوطنية واقامة المؤسسات الاستعمارية . وتخريب بعض الحركات الدينية المجاهدة من الداخل مثل الطريقة الرحمانية . وعمليات التجويع ونشر الأوبئة وتجنيد طبقة من العملاء دعاة الفرنسة والذوبان فى فرنسا الأم وغيرها من المخططات كانت قد أوشكت على تحقيق أهدافها - ولولا جهود الجمعية - لكان وجود الامة الجزائرية المسلمة برمته محل شك كبير.

- أن الجمعية قد مهدت الأرض لانطلاق الثورة . وذلك بجهودها فى التعليم ونشر اللغة العربية -وإيقاظ الجزائريين فى كل مكان والتصدى بحزم لكل ما من شأنه تدمير الوجود المستقل للجزائر - ويكفى أن نقول فى هذا الصدد أن ٧٠ ألف طالب كانوا يتخرجون من مدارس الجمعية- وقد كانوا هم بالتحديد قيادات الثورة وعناصرها النشيطة .

- أن الثورة الجزائرية لم تكن لتظهر - لولا التأكيد على خصوصية شعب الجزائر المتمثلة فى الاسلام والعروبة - ولولا تأكيد الاسلام والعروبة فى ضمير الجزائريين لما كان للثورة أن تظهر أو تنتصر - وإذا كانت الجزائر المجاهدة قد خاضت المعارك ضد الاستعمار الصليبى الفرنسى منذ ١٨٣٠ تحت قيادة الباى أحمد ، عبد القادر الجزائرى المقرانى - الحداد وغيرهم . فإنه مع بداية القرن العشرين كانت الحركة الوطنية فى الجزائر على شفا الهاوية بعد أن اتخذت من شعار الولاء لفرنسا

والمطالبة بالحقوق الجزائرية فى إطار فرنسا الأم . ولولا جهود الجمعية لاستمر وتزايد هذا النهج الذى كان سيؤدى حتما إلى ضياع الجزائر - أى أنه لولا المعارك التى خاضتها جمعية العلماء على أكثر من مستوى من أجل تأكيد طريقها فى تحرير الجزائر فى إطار اسلاميتها وعروبتها والتمسك بخط الكفاح المسلح ووصل ما انقطع منه . لما وجدت الثورة الجزائرية أرضية للانطلاق منها .

- أن جمعية العلماء باهتمامها بقضايا العالم الاسلامى وخاصة القضية الفلسطينية كانت تؤكد انتماء الجزائر الاسلامى . وأن المعركة هى معركة كل البلاد الاسلامية ضد الاستعمار وأنها معركة واحدة . وهذا كله ساهم فى زيادة وعى شعب الجزائر بعدم انتماءه الا إلى الاسلام والعروبة وليس فرنسا والحضارة الأوروبية .

- أن جمعية العلماء برفعها شعار إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم - قد وضعت يدها على الطريق الصحيح لتحرير الجزائر - اعتمادا على القدرات الذاتية للشعب الجزائرى .

ويمكننا أن نقول أن جمعية العلماء كانت هى الحلقة المتينة التى ربطت كفاح شعب الجزائر المسلم فى قتاله البطولى ضد الاستعمار تحت قيادة الباى أحمد - والأمير عبد القادر والمقرانى والحداد بالثورة الجزائرية التى اندلعت فى عام ١٩٥٤ . كانت الحلقة المتينة على مستوى تحديد المطالب والشعارات والاهداف والوسائل بل وقدمت من خلالها مؤسساتها التعليمية واهتمامها بالتاريخ ونشر القصائد الشعرية ورفع الشعارات وغيرها الارضية الصلبة لانطلاق الثورة الجزائرية سنة١٩٥٤ على اعتبار انها امتداد طبيعى للكفاح المسلح الذى خاضه شعب الجزائر ضد الاحتلال من أجل الاستقلال الكامل فى اطار الانتماء للاسلام والعروبة .

وعلى أساس هذا كله - فليس من العجيب أن يؤكد تلك الحقيقة - كل الباحثين التاريخيين بلا استثناء وكذلك كل قيادات الثورة الجزائرية حتى ولو كانوا من ذوى الاتجاهات غير الاسلامية يقول الاستاذ عبد الباقى على محمد - استاذ التاريخ بجامعة قسطنطينة "إن الدور الذى اضطلعت به جمعية العلماء فى الجزائر

كان هو الدعامة التى قامت من خلالها وفى اطارها الثورة الجزائرية الحديثة" .

ويقول الدكتور ابو الصفصاف عبد الكريم - فى رسالة للدكتوراه "إن جمعية العلماء هى التى أخرجت الجزائر من عزلتها الثقافية وأعادت ربطها بالأمة الاسلامية وحطمت المقولات التى خلقها الاستعمار وعمدت على احياء اللغة العربية والتاريخ الوطنى - وطهرت الاسلام من الشوائب التى علقت به ووحدت الشعب الجزائرى تحت راية الاسلام - واحبطت حركة الاندماجيين الرامية الى ربط الجزائر بفرنسا بواسطة جنسية المستعمر ولغته - وكونت الاطارات المخلصة التى فجرت ثورة ١٩٥٤ - وكانت الدعامة الاساسية لعملية التعريب بعد أن استردت الجزائر سيادتها الوطنية سنة ١٩٦٢ ويصف الدكتور محمود قاسم فى كتابه "الامام عبد الحميد بن باديس" بأنه الزعيم الروحى لحرب التحرير الجزائرية" .

ويقول محمد على ديوز "إن الثورة الجزائرية تأثرت بأفكار حركات الاصلاح الاسلامى التى قادها جمال الدين الافغانى فى مصر والمشرق العربى عن طريق جمعية العلماء الذين كانوا بدورهم تلاميذا للأفغانى ومتأثرين به وأن الجزائريين كانوا فى باكورة القرن العشرين يترقبون بشوق ملتهب وصول بريد المشرق العربى الذى كان يحمل لهم كتب علمائه ومجلاتهم التى تنشر مقالات وأفكار مصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وغيرهم" .

ويقول عباس فرحات رئيس حكومة الثورة الجزائرية فى المنفى "كان الجزائريون المتخرجون من جامعة الزيتونة فى تونس والأزهر فى القاهرة وهم الذين شكلوا جمعية العلماء - يجعلون من نهضة الاسلام والعروبة الشرط الأول للنهضة الجزائرية وكان أنصارهم من جماهير الفلاحين يشكلون اعدادا ضخمة فقد كان الشعب الجزائرى ينطوى على نفسه ويتمسك بقوة بعقيدته الدينية فى مواجهة القهر الاستعمارى والاستثمار العنصرى - وكان لابد لهذا التيار أن يؤثر بقوته على كل التيارات السياسية فى الجزائر باتجاه طريق الثورة" .

الدور السياسى لجمعية العلماء

يلخص أحد الشعراء الجزائريين الدور الهام الذى لعبته جمعية العلماء فى الجزائر بقوله : "إن شعب الجزائر بعد مائة عام من الاحتلال كان مثل من ينتظر مصيره فى غرفة الاعدام الا ان جهود جمعية العلماء قد أعادت بعث الحيوية والوحدة فى كيانه.

وإذا كان الفرنسيون قد نظموا احتفالات ضخمة فى الذكرى المئوية للاحتلال وأظهروا فيها اهداف هذا الاحتلال ووسائله . فإن جهود الجمعية فى نشر مبادئ الاسلام واللغة العربية وتحقيق نهضة تعليمية كان بحد ذاته ايقافا لعملية الالتهام الاستعمارية وتهيئة فى الوقت نفسه للأرضية الملائمة للثورة .

ففى الذكرى المئوية للاحتلال - قال الفرنسيون "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر. ولكنه احتفال بتشييع جنازة الاسلام فيها"[١].

وكتبت جريدة فرنسية سنة ١٩٢٦ تقول "لقد استسلم عبد الكريم الخطابى من غير شرط وخضع لحماية فرنسا - ذلك ماكنا نبغى - فالحادث مهم - فهو يضرب الاسلام فى الصميم وبوسعنا الآن أن نفتك بهذا الدين الفتك الذريع"[٢] ووقف أحد المستوطنين الفرنسيين فى ذكرى الاحتفال المئوى بالاحتلال يقول "إن عهد الهلال قد عبر وأن عهد الصليب قد بدأ وأنه سيستمر إلى الأبد"[٣] ويلخص الاستاذ ابو الصفصاف عبد الكريم[٤] الموقف كله قائلا "إن الفرنسيين كانوا يحتفلون افتخارا بانتصار المسيحية على الاسلام وغلبة الجيوش الفرنسية على الجزائر" .

إذن فإن قيام الجمعية فى حد ذاته وجمعها شمل العلماء الجزائريين هو عمل

---

(١) موسى الأحمدى - أعلام الجزائر - ١٩٧٨ .

(٢) La Depeche de Constantine28-5-1926

(٣) نقلا عن جريدة البصائر عدد ١٥٣ - سنة ١٩٣٩ .

(٤) أبو الصفصاف عبد الكريم - جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر ودورها فى تطور الحركة الوطنية الجزائرية - رسالة دكتوراه - ١٩٧٨ .

سياسى غير مباشر حيث أن دعم الاسلام فى الجزائر هو الشرط الأكبر لانطلاق الثورة واستمرارها .

كما أن نشر روح التعليم العربية كان وقود تلك الثورة وأرضيتها الكبيرة وكذلك جهاد الجمعية من أجل عزل الموالين لفرنسا من شيوخ الطرق الصوفية التى فسدت أو من النخب الثقافية التى اغتربت كل هذا جعل الحركة السياسية الوطنية فى الجزائر تحسم خياراتها وتنحاز الى الاستقلال الكامل وليس الاندماج ايا كان شكله.

وإذا كان الاسلام لايعرف الفصل بين الدين والسياسة عموما -فإن اتصال الاسلام بالسياسة والثورة والعمل الوطنى كان أمرا عضويا فى بلد مثل الجزائر وفى ظل ظروف مثل التى شهدتها تلك البلدة الصامدة . وهكذا فإن العمل التعليمى والثقافى والتربوى الذى مارسته جمعية العلماء كان فى صميمه عملا سياسيا من أجل تحرر الجزائر واستقلالها . ويلخص الاستاذ ابو الصفصاف ذلك كله بقوله "إن العلماء المصلحين العائدين من الشرق بنظريات وأفكار معادية للاستعمار باغتوا الفرنسيين من حيث لايشعرون وقاموا بثورة تعليمية وحركة صحفية ونهضة أدبية وأيقظوا المسلمين الجزائريين من غفلتهم"(١).

ويضيف الاستاذ ابو الصفصاف فى نفس المرجع "إن اسلوب الجمعية ماهو إلا غطاء رقيق للأهداف الحقيقية التى كانت فى جوهرها سياسية - وقد اتضح ذلك فى مواقف سياسية مختلفة - ويؤكد هذا الرأى الاضطهادات التى تعرض لها زعماء الجمعية كالزج بهم فى السجون والمحاكمات ومختلف الاتهامات" ويحدد الاستاذ ابو الصفصاف أهداف الجمعية فى قوله : "إن هدف الجمعية هو استرجاع استقلال الجزائر وتكوين دولة عربية وإسلامية - وأن تربية الشباب تربية عربية وإسلامية وتثقيف الشعب الجزائرى صغاره وكباره - ومحاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها والوقوف ضد محاولة فسخ الشخصية الجزائرية ومحو معالمها التاريخية ماهى الا وسائل لتحقيق الاستقلال"(٢).

---

(١) أبو الصفاصاف عبد الكريم - مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع .

وهذا فى الواقع وعى كبير من رجال الجمعية -يؤكده قول أحد قادة الاحتلال الذى أوصى جنوده قائلا لهم "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر - فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة" - وقول آخر "إننا جئنا إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا" إذن فاحياء القرآن وتعليم اللغة العربية هو فى صميم عملية التحرر والاستقلال .

ولم يكن عجيبا أن تفطن السلطة الاستعمارية للأهداف الحقيقية للجمعية فتقوم باعتقال اعضائها أو اغلاق مدارسها أو أنديتها أو حصونها الثقافية . فعلى سبيل المثال أغلقت سلطات الاحتلال دار الحديث بتلمسان . كما اعتقلت عمر دردور ممثل الجمعية فى باتنة- كما فصلت كل المتعاطفين مع الجمعية من وظائفهم مثل الشيخ عبد الحفيظ الجنان والشيخ حافظ السعيد وأصدرت قرارات بمنع علماء الجمعية من الخطابة فى المساجد واغلقت صحف الجمعية صحيفة بعد صحيفة بل وأغلقت المدارس والمساجد التابعة للجمعية- ودشنت سلطات الاحتلال كل ذلك بمنشور ميشال الذى الزم ادارة المخابرات الفرنسية بالجزائر بمراقبة علماء الجمعية «صدر المنشور فى ١٦ فبراير ١٩٣٣ - أى بعد قيام الجمعية بعامين» ليس هذا فحسب بل إن السلطات الفرنسية اعتقلت نائب رئيس الجمعية ورئيسها فيما بعد الشيخ الابراهيمى ونفته إلى خارج البلاد .

وفى شهر مارس ١٩٣٥ أصدر وزير الداخلية الفرنسى بنفسه قرارا يقضى بقمع الدعاية المضادة للسيادة الفرنسية فى الجزائر وخاصة عن طريق الصحافة والخطابة التى تقوم بها عناصر جمعية العلماء . وفى ٨ مارس ١٩٣٨ صدر قرار من الادارة الفرنسية بعدم جواز افتتاح المدارس العربية الحرة الا بترخيص من الادارة" وكان هذا القرار يقتضى عمليا اغلاق المدارس العربية التابعة للجمعية وقد وصف عباس فرحات هذا القرار "بأنه ضربة قاتلة للدين الاسلامى" .

وخلاصة الامر أن الشيخ ابن باديس وجمعية العلماء كانوا يعملون بهمة من أجل التمهيد للثورة وترسيخ قاعدتها لتحقيق استقلال الجزائر - وكانوا يحاولون

الاستفادة من كل ماهو متاح من أجل تحقيق ذلك وتحالف فى ذلك مع الاحزاب او الهيئات فى الداخل والخارج . وعلى الجانب الآخر فإن سلطات الاحتلال لم تترك وسيلة الا واتخذتها للقضاء على تلك الجمعية فمن ناحية حرضت عليها الشيوخ التابعين لها لاتهام الجمعية وعلمائها بكل نقيصة - كما قصرت وظائف الوعظ والإرشاد فى المساجد على علمائها - وفى سنة ١٩٣٣ أصدرت الادارة الاستعمارية قرارها بمراقبة متابعة اعضاء الجمعية - وفى سنة ١٩٣٨ أصدر الوالى العام فى الجزائر منشورا الى رؤساء الأقاليم يقضى بإلقاء القبض وسجن كل طالب ينتسب إلى جمعية العلماء او قيامه بالدعاية لافكارها" . كما قامت بتتبع اعضاء الجمعية ومعاقبة الاهالى الذين يستجيبون لدعوتها أو ينظمون الندوات لعلمائها وعلى سبيل المثال فانه فى يوم ١٨ أبريل ١٩٣٨ قامت السلطات الفرنسية بحصار سكان وادى سوف وألقت القبض على الشيخ عبد العزيز الهاشمى والشيخ على بن سعدو وعبد القادر الباجورى وعبد الكامل بن الحاج عبد الله وسيقوا جميعا إلى سجن الكديه بقسنطينة وزج بعدد آخر فى السجن هناك ثم حكم على عدد كبير آخر بالنفى أو بالسخرة واستمرت عملية الاضطهاد والعنف ضد الأهالى فى منطقة وادى سوف ثلاثة أسابيع ذاقوا فيها القهر والتنكيل . وفى ١٣ يونيو ١٩٣٨ أصدر وزير الداخلية الفرنسى قرار بحظر النوادى العربية الاسلامية فى الجزائر على اعتبار أنها كانت من أهم أدوات الجمعية فى الدعاية والتثقيف بين جماهير المدن بالذات . ولعل أخطر القرارات فى محاربة نشاط الجمعية كان قرار عرقلة التعليم العربى الحر الصادر فى ٨ مارس ١٩٣٨ وكذلك اعتقال المدرسين الذين يقومون بدورهم التعليمى فى تلك المدارس . وكذلك نفى واعتقال الشيخ الابراهيمى لرفضه تأييد فرنسا ضد الألمان فى الحرب العالمية الثانية وكذلك فرض الاقامة الجبرية على الشيخ ابن باديس نفسه لذات السبب كما سجن من زعماء الجمعية لنفس السبب الأمين العمودى وفرحات الدراجى -كما تم ايقاف جريدتى البصائر والشهاب سنة ١٩٣٩ وهما جريدتان تابعتان للجمعية - كما تم اغلاق نادى الاصلاح التابع للجمعية

وكذلك مدارس الجمعية فى قسنطينة ووهران كما أن المساجد التابعة للجمعية قد انتهكت مثل مسجد قنزات ودار الحديث بتلمسان وكذلك عطلت جريدة الشريعة والسنة المحمدية.

****

وما أن استطاعت الجمعية أن تشكل قاعدة ثقافية وتربوية وعلمية مناسبة حتى انطلقت إلى العمل السياسى المباشر - ويتمثل ذلك فى مطالبتها المستمرة باستقلال الجزائر ودعوة الجماهير الى الانفضاض من حول دعاة الاندماج والاستعداد ليوم الثورة والتأكيد على عدم جدوى مطالبة فرنسا بالحقوق الجزائرية لأن طريق التحرير لايؤخذ الا عنوة - كما قامت الجمعية بنشاط بارز فى أوساط العمال الجزائريين فى فرنسا نفسها بهدف حمايتهم من الانحراف الاخلاقى والاندماج فى المجتمع الفرنسى وضمهم إلى صفوف المطالبين بالاستقلال ، وبسبب نجاح الدعاية الضخمة لجمعية العلماء ضد الاندماج وتأكيد الجمعية على الاستقلال الكامل للجزائر قام حزب نجمة افريقيا بتبنى مطالب الجمعية وأصدر برنامجا مطولا سنة ١٩٣٣ يتضمن المطالبة باستقلال الجزائر - جلاء الجيش الفرنسى عنها - إنشاء جيش وطنى وغيرها من المطالب التى تعبر عن الروح التى سادت الجزائر بسبب نشاط الجمعية واعتمادا على الأرضية المتزايدة لدعاة الاسلام والعروبة - وبقيام هذا الحزب "نجمة أفريقيا" ثم حزب الشعب ١٩٣٧ . كانت حركة استقلال الجزائر قد اصبحت تمتلك جناحين هما جمعية العلماء وحزب الشعب.. الأولى تقوم بالدور التربوى والثقافى والثانى يقوم بالنضال السياسى ، وكان هدف الجمعية والحزب واحداً ولذلك كان من الطبيعى أن يكون هناك تنسيق بينهما- بل إن حزب الشعب نفسه كانت له صلات مع الأمير شكيب إرسلان وهو ينتمى إلى نفس المدرسة التى خرجت منها جمعية العلماء، وفى الواقع فإن جمعية العلماء كانت تتعاون مع اى حزب أو منظمة تعمل من أجل استقلال الجزائر أو حتى تعمل لتحسين الظروف الموضوعية لتحقيق ذلك الاستقلال - وبالتالى فإن تعاونها مع حزب الشعب كان تعاونا عضويا ووثيقا ونجد هذا

التعاون فى قيام حزب الشعب بتنظيم استقبال كبير لابن باديس فى باريس سنة ١٩٣٦- وكذلك فى تنظيم المظاهرات يوم ٨ أغسطس ١٩٣٦ احتجاجا على اعتقال الشيخ العقبى- وكذلك الاتصال بالأمير شكيب أرسلان والحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين- وعندما حكمت السلطات الفرنسية على مصالى الحاج زعيم حزب الشعب وبعض رفاقه بالسجن والتغريم فى شهر أغسطس ١٩٣٧ أثار القرار موجه من الاحتجاج والسخط فى صحافة جمعية العلماء وعلى لسان خطبائها. وكل ذلك أدى إلى اقتناع السلطة الفرنسية بأنهما جناحان لشئ واحد واتهمتهما معا بالعلاقة مع دول المحور .

****

كان على رأس أهداف الجمعية التأكيد على رفض الفرنسة والاندماج والتمسك باستقلال الجزائر وارتباطه بالحضارة الاسلامية والعروبة- وكان الواقع الجزائرى فى ذلك الوقت ينقسم إلى النخبة التى تؤمن بالارتباط بفرنسا والحصول على الحقوق من خلالها، والجماهير التى آمنت بأهداف جمعية العلماء فى الاستقلال والتميز وكان يمثل تلك الجماهير حزب الشعب، وقد تعرضت الجمعية للهجوم من قبل النخبة بسبب تمسكها بالاستقلال والتميز- ففى سنة ١٩٣٢ أعلنت جمعية قدماء التلاميذ "أن ابن باديس يشكل خطرا وأن جمعية العلماء رجعية تفتخر بالجامعات القديمة "يقصدون الجامعة الاسلامية والعربية" ويعلمون التعصب وأن قدماء التلاميذ سيحاربون بكل الوسائل التعصب وجميع من يقف فى طريق تطور الجزائر على أساس الطريقة الفرنسية" .

وفى سنة ١٩٣٣ حذر السيد ابن الحاج احد أعضاء النخبة "بألا يستمع الجزائريون للدعاية الشفوية أو المكتوبة التى يروجها الاصلاحيون من ذوى الاتجاه العربى الاسلامى للانفصال عن فرنسا" .

ولكن هذا الهجوم من قبل النخبة أو المطاردات والمضايقات والقرارات التى اتخذتها السلطة الفرنسية ضد الجمعية لم تزد الجمعية الا اصرارا على موقفها -

واتخذت الجمعية شعارا لها "الجزائر وطننا والاسلام ديننا والعربية لغتنا" وقام ابن باديس وغيره بصياغة شعارات تؤكد هذا المعنى مثل قول ابن باديس .

شعب الجزائر مسلم   وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله   أو قال مات فقد كذب
أورام إدماجا لـه   رام المحال من الطلب

وكان تلاميذ المدارس التابعة للجمعية يبدءون يومهم الدراسي بمثل هذا الشعار وتلك الاشعار .

وفى الحقيقـة فإن شعار الاستقلال والاسلام والعروبة كانت له الغلبة فحتى النخبة تخلت شيئا فشيئا عن مواقفها فيما بعد نتيجة الدعاية المكثفة لجمعية العلماء او للحاق بالركب والتعلق بذيل الثورة فقد جاءت حركة اصدقاء البيان والحرية سنة ١٩٤٥ كنتيجة لذلك وقد تبنت تلك الحركة فكرة الاستقلال ورفض أي مشروع يربط الجزائر بفرنسا بأى شكل من الأشكال - وقد شارك فى هذا البيان جمعية العلماء وحزب الشعب بل وبعض دعاة الاندماج السابقين الذين أصبحوا ينحازون الآن إلى فكرة الاستقلال مثل عباس فرحات . وقد أدت تلك الحركة الى وأد مشروع ديجول الذى كان يوسع شيئا ما من مشاركة الجزائريين فى السلطة فى إطار البقاء تحت هيمنة فرنسا وهو المشروع الذى نادى به ديجول فى ١٤ مارس سنة ١٩٤٤ والذى وصفه الشيخ الابراهيمى رئيس جمعية العلماء بأنه خطوة نحو الاندماج ولايرضى به الشعب الجزائرى بأى ثمن وقد كان مرسوم ديجول هذا هو الحافز الذى أدى إلى ظهور حركة أحباب البيان والحرية التى نادت بالاستقلال التام وضمت جمعية العلماء وحزب الشعب وعددا من عناصر النخبة وبديهى أن هذه الحركة تعرضت للتصفية ودخل زعماؤها السجون على يد السلطة الفرنسية الا أنها بعثت روحا من العزم والوحـدة فى صفوف الشعب الجزائرى بل إن بعض الوثائق الفرنسية ترى أن الثورة قد تم تخطيطها فى اللقاء الذى جمع أكبر قادة الحركة الثلاثة - الشيخ الابراهيمى - مصالى الحاج وعباس

فرحـات عام ١٩٤٥"[1].

على كل حال - فإن جماهير الشعب الجزائرى قد استقبلت حركة البيان بانتفاضة سلمية وتظاهرات تم قمعها بوحشية حيث تم إحراق ٤٠ ألف عربى وتدمير عدد كبير من القرى واحراقها بالنفط . وكانت تلك الوحشية التى تم بها قمع المظاهرات هى اللبنة الأولى فى صرح الثورة التى اندلعت عام ١٩٥٤ والتى استمدت وقودها الاساسى من حركة جمعية العلماء وعناصر حزب الشعب وجماهير الشعب الجزائرى فى كل مكان المؤمن باسلامه وعروبته ، على أننا نلمح ملامح تلك الثورة فى أقوال ابن باديس ذاته فهو الذى حدد فى وقت مبكر أنه لاطريق الا طريق الثورة ففى عام ١٩٣٧ قال ابن باديس "اننا سنحارب يوما ما المغتصبين والخونة" أى السلطات الفرنسية والمتعاونين معها . وقال أيضا فى خريف ١٩٣٧ إحتجاجا على اعتقال قادة حزب الشعب "لابد من الدفاع والنضال المكثف والوصول إلى معرفة كيف تهدى الحياة من أجل هزيمة العدو" .

حقا لقد كان ابن باديس وجمعية العلماء وكما وصفته التقارير الفرنسية بأنه اكبر عدو لفرنسا وأعوانها من الجزائريين - وأنه كان الأب الروحى لمسلمى الجزائر وحزب الشعب كما وصفه مصالى الحاج زعيم حزب الشعب .

وفى هذا الصدد كتب متصرف فج هزاله الى الادارة العامة فى الجزائر سنة ١٩٥٤ يقول "إن جمعية العلماء كانت ولاتزال تحفر هوة بين الحضارتين الاسلامية والفرنسية نظرا لما تقوم به من عمل فى تعميق الثقافة الاسلامية التعصبية - وعلى الرغم من أنها تدعى بأنها لاسياسية فانها نواة للأحزاب الوطنبة وقاعدة ثابتة ينمو فوقها الشعور الوطنى الاسلامى وهى بالتأكيد أخطر اعدائنا" . ويقول محافظ شرطة "بو عريريج" الفرنسى "إن جمعية العلماء هى الخطر الحقيقى على السيادة الفرنسية فى الجزائر" و"أنهم يحاولون تنظيم المجتمع خارج القوانين الفرنسية ويدفعون الشعب إلى العزلة عن الادارة الفرنسة" .

(١) أبو الصفصاف عبد الكريم - مرجع سابق صـــ ٢٧٠ .

وخلاصة الأمر أن ابن باديس وجمعية العلماء اتخذوا الاصلاح وسيلة للثورة وتهيئة لها وأن ابن باديس نفسه قد صرح أكثر من مرة بأنه سيفجر الثورة حينما تحين ظروفها الموضوعية والذاتية فها هو يقول "والله لو وجدت عشرة من عقلاء الجزائر يوافقوننى على اعلان الثورة لأعلنتها"(١) ويقول أيضا "أننى سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشن عليها ايطاليا الحرب"(٢) .

وفى الحقيقة أن من أهم ماقامت به جمعية العلماء بالاضافة إلى ذلك كله هو جعل القضية الجزائرية محط أنظار العالم عامة والمسلمين فى مختلف البلاد خاصة . فبفضل مجهود رجال الجمعية تلقت الجمعية الدعم من الحركات الوطنية والاسلامية فى العالم الاسلامى وأصبحت الدعاية لها فى صحف العالم الاسلامى كبيرة ومتواصلة وعلى الجانب الآخر فإن الجمعية ساهمت فى زيادة اهتمام الشعب الجزائرى بقضايا العالم الاسلامى عموما مثل الاهتمام بقضية الشعب الليبى ضد الاحتلال الايطالى - وبثورة سوريا ضد الفرنسيين وبكفاح الشعب الفلسطينى ضد الاستعمار الصهيونى وغيرها .

****

(١) نوابغ العرب - الكتاب الرابع عشر - دار العروبة بيروت ١٩٧٦ صـ ٦٥ .

(٢) توفى الشيخ ابن باديس قبل ذلك بفترة وجيزة .

مرحلة ما قبل الثورة

إذا كانت جمعية العلماء قد مهدت للثورة كاحسن مايكون التمهيد وإذا كانت تلك الجمعية قد نجحت فى ابطال اثر المخططات الاستعمارية التى كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها - وإذا كانت تلك الجمعية قد بعثت فى الشعب الجزائرى روحا جديدة فإن المحصلة الاخيرة لكل هذا هى أن أيام الثورة باتت قريبة وفجر الاستقلال بات وشيكا .

كانت جهود الجمعية إذن قد نجحت فى عزل عملاء الاستعمار والمتعاونين معه- ونجحت فى إخراج الشعب من السلبية والجمود اللذان يريد بعض الشيوخ المرتبطين بالاستعمار فرضهما على هذا الشعب- ونجحت فى تقديم مفهوم معاصر للاسلام وأن ترد كيد خصوم الاسلام إلى نحورهم. ونجحت أيضا فى بعث اللغة العربية ونشر التعليم عن طريق المدارس والمساجد وحلقات الدرس الصباحية والمسائية أى أنها قدمت للثورة كوادرها وقياداتها المتعلمة والقادرة على قيادة الجماهير باتجاه الثورة- ونجحت أيضا فى نشر الوعى السياسى بين طبقات الأمة عن طريق المسجد والمدرسة والنادى والصحيفة والخطبة الدينية والسياسية. بل ونجحت فى خلق الإطارات الشعبية المستقلة عن الادارة الاستعمارية ونجحت فوق هذا فى وأد النعرات الطائفية والعرقية التى تفرق بين ابناء الشعب الجزائرى بل وربطت كفاح هذا الشعب بمجمل كفاح الشعوب العربية والاسلامية ضد الاستعمار. وكانت قد مشت فى اتجاه الثورة خطوات هائلة بالقضاء تماما على دعاة الفرنسة والذوبان والاندماج بحيث أصبحت كل القوى تقريبا تعتنق شعار الاستقلال الكامل والتحرر

يقول الاستاذ عمر اوزيجان[١] "كان الخطر المميت بالنسبة للاستعمار يكمن على وجه الدقة فى هذا الاتحاد الغريب بين مفاهيم الاسلام التى قد تبدو متعارضة مثل المادية والروحية والتى لم يتمكن الصليبيون من فهمهما ، لقد كان الدين الاسلامى قاعدة لإتحاد مختلف العناصر فى القوة الشعبية التى تذخر بها بلادنا غير أن العدو الاستعمارى الذى كان يقيم فى "الغيورباليه" كان أكثر ذكاء حين كان يهدم الجوامع

(١) فى كتابه الجهاد الأفضل . صـ ٢٩ ، ٣٠ .

ويحولها إلى ثكنات او اصطبلات . كانت هذه معابد تهدم .

ويتم الخلاص منها - الا أن الجامع ايضا كان الجامعة - كما هى الزيتونة فى تونس - والقرويين فى فاس وكما هو الأزهر فى القاهرة - فهدم جامع كان يعنى هدم مدرسة ومكتبة وقاعة محاضرات وبيت للشعب وجمعية استشارية أو دار للشورى . ومعهد يدرس فيه تجويد القرآن وهو فن يتطلب معرفة مسبقة اننا لن نشدد الكلام على الروح الصليبية التى تجلت فى تحويل الجامع الى كنيسة أو إقامة الانصاب التذكارية يعلق عليها الصليب الحديدى فوق عبارة مكتوبة بالفرنسية أو اللاتينية "سننتصر بهذه الاشارة" "im Hoc signo vinces" - ولن نشدد على شعارات المدن مثل شعار مدينة الجزائر الذى عم فى العالم كله بواسطة الطابع البريدى الذى رسم عليه صليب ضخم فى السماء منتصرا على هلال صغير منكس فوق البحر" .

وإذا كان الأمر كذلك فالصراع ضد الاستعمار لابد أن يشمل الصراع ضد جهازه الادارى والاقتصادى والثقافى - وضد أيديولوجيا أنصاره المباشرين وغير المباشرين وكانت هذه مهمة جمعية العلماء .

****

كان المهم هو تحديد العدو بدقة . تحديد من يقوم بالثورة . وكيف يقوم وضد من بالتحديد يقوم وماهى مطالب الثورة .وقد فعلت جمعية العلماء كل هذا، كان العدو واضحا هو فرنسا والحضارة الصليبية كلها. وكل من آمن بها أو ارتبط بها عن عمالة أو عن جهالة أو عن إدعاء الثقافة العصرية وكان من يقوم بالثورة واضحا وهو الشعب ـ الشعب المسلم المتمسك بحضارته الاسلامية وتحيزه الثقافى .

أما كيف يقوم ؟ فالكفاح المسلح هو الطريق

ومطالب الثورة هى الاستقلال

****

وإذا كان قد تم تحديد العدو - وتحديد الهدف - وتحديد الطريق - وتحديد هؤلاء الذين يقودون الثورة وهؤلاء الذين سيكونون جنودها - فبقى أن يكون هناك من هو قادر على ربط قيادات الثورة بجنودها - أى ربط تلك القيادات بالشعب الجزائرى كله فى المدن والقرى وفى الصحراء والجبال وكانت جمعية العلماء هى الوحيدة القادرة على الاتصال بكل طبقات الشعب بحكم انتشار مدارسها ومساجدها وأنديتها فى كل مكان من الجزائر فى المدن والقرى وفى الصحراء والجبال بل أيضاً فى بلاد المهجر وخاصة فرنسا .

أى أن جمعية العلماء أعطت الثورة قياداتها عن طريق هؤلاء الذين تعلموا فى مدارسها وأعطتها جنودها وهم كل الشعب الجزائرى عن طريق تحقيق وسيلة ارتباط قوية بهذا الشعب من كل المساجد والمدارس والأندية وأعطت الثورة أيضا ظروفها الموضوعية التى تؤهلها للنجاح ، أعطتها الدعاية الثورية والسياسية اللازمة - وأعطتها العزلة التى فرضتها على دعاة الفرنسة والاندماج - وأعطتها أيضا هدفا محددا وعدوا محددا وطريقا محددا . ولم تكن الثورة تحتاج إلى أكثر من هذا .

****

إذا حاولنا أن نرصد القوى السياسية فى الجزائر عشية الثورة نجد أنها كالتالى جمعية العلماء . حزب الشعب . الحزب الشيوعى ، جماعات النخبة . وإذ كنا قد تحدثنا عن جمعية العلماء من قبل فاننا لابد أن نلقى نظرة على باقى القوى السياسية فى الجزائر عشية الثورة .

حزب الشعب الجزائرى

نشأ حزب الشعب فى ١١ مارس "آذار" ١٩٣٧ بقيادة مصالى الحاج وكان مصالى الحاج قبل ذلك قد تولى رئاسة نجمة شمال افريقيا سنة ١٩٢٧ وهو تنظيم كان يضم العمال الأفريقيين من كل من تونس والجزائر والمغرب العاملين فى فرنسا ثم امتد الى الجزائر وقد تعرض للحل من قبل السلطات الفرنسية كما تعرض مصالى الحاج إلى الاعتقال والمحاكمة ،وقد تركز برنامج الحزب على تأليف حكومة جزائرية شعبية ومجلس نيابى واحترام حقوق الأمة الجزائرية وبعث اللغة العربية والاعتماد على الدين الاسلامى - أى أنه كان شبيها لحزب الدستور فى تونس

وحزب الاستقلال فى المغرب . وهى كلها أحزاب خرجت من عباءة حركة الاصلاح الدينى التى أسسها جمال الدين الأفغانى فى مصر والشرق وامتدت من بعده على يد تلاميذه ووصل تأثيرها إلى المغرب العربى ، وفى الحقيقة فإن تأثير حركة جمال الدين الأفغانى قد امتد فى الجزائر عن طريق كل من جمعية العلماء وحزب الشعب على السواء ولعل تشابه أفكار ومبادئ كل من الجمعية والحزب يؤكد ذلك كما أن مصالى الحاج وحزب الشعب قد تلقوا تأييدا ودعما من الأمير شكيب أرسلان الذى كان يدعم ويشجع حركات المقاومة الاسلامية فى كل مكان وخاصة فى المغرب العربى - ولعل حضور مصالى الحاج للمؤتمر الاسلامى فى جنيف واتصاله بالأمير شكيب أرسلان أدى إلى تحويل مصالى الحاج إلى المظهر الاسلامى العربى ، كما أن الأمير أرسلان قد أقنع مصالى الحاج برفض الأفكار الاندماجية والتأكيد على استقلال الجزائر . وقد قام الامير شكيب أرسلان بكتابة عدد من الرسائل الى زعماء المغرب العربى أشاد فيها بالزعيم مصالى الحاج وامتدح فيه صدق وطنيته وإقدامه وحماسته وأنه لو كان للإسلام مثله فى مختلف الأوطان لتغير الحال غير الحال وكان ممن تلقى رسائل الأمير شكيب أرسلان بهذا الشأن - محيى الدين القليبى بتونس وأحمد توفيق المدنى بالجزائر - عبد الحميد بن باديس قسنطينة - الطيب العقبى ببسكرة - ومبارك الميلى بالأغواط - وعلال الفاسى بفاس ومحمد بن أحمد داود بتطوان . وقد ساعدت هذه الرسائل مصالى الحاج على تطوير نشاطه فى انحاء المغرب العربى[1].

وقد لعب حزب الشعب فيما بعد دورا هاما فى حياة الجزائر وتعرض للعديد من عمليات الحل والمطاردة والتجريح من قبل السلطات الفرنسية فى الجزائر .

وقد أصدر الحزب عددا من الصحف مثل الشهاب - البرلمان الجزائرى - الا أنها أيضا تعرضت للمصادرة . وقد قدمت جمعية العلماء كل الدعم لهذا الحزب . كما أنها تضامنت مع مصالى الحاج أثناء محاكمته وسجنه .

وقد خاض الحزب نضاله فيما بعد تحت اسم حركة انتصار الحريات نظرا لأن حزب

(١) بسام العسيلى - جهاد شعب الجزائر - جزء ٨ صـ ٣٥ ، ٣٦ .

الشعب كان قد صدر قرار بحله من السلطات الفرنسية .

وفى سنة ١٩٥٣ حدث انشقاق فى الحزب ترتب عليه توجيه النقد إلى مصالى الحاج على أساس أن الواقع أصبح يتجاوزه وأن القيادة الجماعية أفضل وخاصة أن مصالى الحاج كان قد تم نفيه وتحديد إقامته فى فرنسا[١] وقد حاول مصالى الحاج استرجاع قيادته للحزب الا انه فشل وانتهى الأمر بتجريده من جميع المهام الحزبية فى ١٦ أغسطس ١٩٥٤ وكذلك تم ابعاد أنصاره أيضا .

الحزب الشيوعى

تأسس الحزب الشيوعى فى الجزائر كفرع من الحزب الشيوعى الفرنسى سنة ١٩٢٤ - وظل على هذا الحال إلى سنة ١٩٣٩ . وقد تمسك الحزب الذى كان يضم جزائريين وفرنسيين مستوطنين بمبدأ الاندماج مع فرنسا وتوحيد البروليتاريا الجزائرية والفرنسية ضد الرأسمالية وقد وصف الحزب الشيوعى الجزائرى كل دعوة لاستقلال الجزائر بأنها دعوة الاقطاعيين والرأسماليين - وأن من مصلحة الشعوب المستعمرة ربط مصيرها بمصير فرنسا - بل إن العجيب أن مذبحة ٨ مايو ١٩٤٥ كان يقف وراءها وزير الطيران الشيوعى الذى اصدر أمره بقصف مدن الجزائر الثائرة وتدميرها (مدن قسنطينة وقالما وسطيف وقد سقط فى هذه المذبحة ٤٠ ألف جزائرى وتم إحراق القرى بلا رحمة).

وكان الحزب الشيوعى الجزائرى يرى دائما أن دعاة الاستقلال هم عملاء وجواسيس كما دعا الحزب الى تقوية اواصر الوحدة بين الشعب الجزائرى والشعب الفرنسى" . ويمكننا تتبع مواقف الحزب من قضية الاستقلال والثورة من ١٩٤٧ الى ١٩٥٦ كالتالى:

فى عام ١٩٤٧ كان رأى الحزب الشيوعى "يعارض الحزب الشيوعى فكرة استقلال الجزائر وهى الفكرة التى لاتخدم الجزائر ولا فرنسا" .

وفى سنة ١٩٥٤ أعلن الحزب الشيوعى شجبه للثورة والوقوف ضدها بقوله "إن

---

(١) أخذ مصالى الحاج بعد ذلك مواقف سيئة للغاية ضد الثورة الجزائرية ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الحزب لايوافق على دعم الحركات المشبوهة" .

وفى ١٩٥٦ أعلن الحزب "أنه يؤمن ببقاء الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية القائمة بين فرنسا والجزائر" .

وفى الواقع فإن موقف الحزب الشيوعى فى الجزائر ظل دائما ضد الاستقلال والثورة ومع الاندماج والارتباط بفرنسا - بل إن اليسار الفرنسى نفسه كثيرا ما وصل إلى السلطة ومارس نفس الممارسات البشعة التى مارسها اليمين الفرنسى على الجزائريين .

النخبة الجزائرية

يطلق اسم النخبة على هؤلاء الذين سمحت لهم ظروفهم الاجتماعية بنيل حظ كبير من التعليم أو الثراء فى إطار العلاقات مع الادارة الفرنسية - وهؤلاء الذين تميزوا بالثقافة الفرنسية وآمنوا بالنمط الحضارى الغربى وفى نفس الوقت كانوا يريدون تحسين أوضاع الجزائريين ولكن فى إطار فرنسا الأم - ولعل التطور الذى حدث فى صفوف هؤلاء يمثله عباس فرحات أفضل تمثيل ولكن علينا أن نفرق بين هؤلاء وبين العملاء الذين كانوا يعملون مباشرة لصالح الادارة الفرنسية ولحسابها . فالنخبة لم تكن عميلة ولكنها كانت مرتبطة ثقافيا واجتماعيا بفرنسا - كما أن العملاء لم يقتصروا على شخصيات انحدرت من النخبة بل تنحدر من كل الطبقات عموما .

وقد أسس عناصر تلك النخبة عدد من الحركات السياسية منذ ظهور الامير خالد وحتى الثورة الجزائرية . وقد تمسكت تلك النخبة دائما بأن فرنسا وطنها وأمها وأنه لايوجد شئ فى التاريخ أو الجغرافيا اسمه الجزائر - ويعبر عن ذلك عباس فرحات نفسه بقوله : "اننى لست مستعدا للموت فى سبيل الوطن الجزائرى - لأن هذا الوطن لاوجود له - اننى لم اكتشفه ولقد سألت عنه التاريخ - سألت عنه الاحياء والاموات وزرت المقابر من أجل اكتشافه فلم أجد من كلمنى عنه اطلاقا - إننا لايجب أن نبنى فوق الرمال واننى أبعدت بصفة نهائية كل خيال - لكى نربط

المصير بصفة مطلقة مع الوجود الفرنسى بهذه البلاد" .

وأقصى ما كانت تفعله النخبة هو مشاركتها فى الانتخابات أو الدعوة لتخفيف قيود الجزائريين أو تحسين أحوالهم أو السماح لهم بالجنسية الفرنسية أو رفض التنكيل بهم ولكن كل هذا فى اطار فرنسا الأم ومن خلال فرنسا .

وفى الواقع - فإنه نظرا للجو العام الذى أحدثته دعاية جمعية العلماء حول قضية الدمج والاستقلال . فإن عددا من شخصيات النخبة قد تحول من الايمان بالاندماج فى فرنسا إلى الاستقلال مثل عباس فرحات الذى كان للشيخ أحمد المدنى الفضل فى تغير أفكاره - ولكنها على كل حال تبقى حالات فردية لايمكن القياس عليها .

****

وجملة القول أنه عشية الثورة كانت جمعية العلماء وحزب الشعب يعملان من أجل الاستقلال - بينما كانت النخبة والحزب الشيوعى يعملان فى إطار الاندماج . وكان من الطبيعى أن تخرج الثورة من رحم المطالبين بالاستقلال والمؤمنين به .

****

جاء ديجول إلى الجزائر يوم ١٢ ديسمبر ١٩٤٣ قادما من برازافيل - وكان الجنرال ديجول يقود حكومة فرنسا المعادية للألمان من المنفى بعد أن احتل الالمان فرنسا - وحاول الجنرال ديجول خداع الجزائريين وهى العادة الفرنسية التى استخدمها جميع حكام فرنسا من ملكيين وجمهوريين ويمينيين ويساريين على السواء والقى ديجول خطابه المعروف يوم وصوله إلى الجزائر - ووعد الجزائريين باعطائهم الجنسية الفرنسية وادماجهم فى فرنسا - وتكرم الجنرال ديجول باعطاء تلك الجنسية الفرنسية الى ٤٠ ألفا من المسلمين فى الجزائر !! وهؤلاء هم الذين كانوا يستحقونها فى نظر الجنرال ديجول . ولكن الحركة الوطنية الجزائرية كانت قد حسمت مسألة الجنسية والادماج الى الابد وبالتالى رفضت مقترحات ديجول وقررت جمعية العلماء - وحزب الشعب ومنظمة البيان التحرك ضد المخططات الجديدة

القديمة وهى مخططات الادماج ، وفى أول مايو سنة ١٩٤٥ إندلعت المظاهرات الوطنية ورفع علم الامير عبد القادر فى مدن الجزائر فى تحد واضح لمخططات الادماج تلك وتمسكا باستقلال الجزائر واسلاميته وعروبته ولكن فرنسا - أو قل الحضارة الاوروبية - تصرفت على طريقتها الدائمة فاعلنت حالة الطوارئ وتحدت جميع المنظمات السياسية وبدأت حملة من القمع لم تشهد لها البشرية مثيلا .

وإذا حاولنا أن نقرأ شيئا من ممارسات فرنسا البشعة فى الجزائر فإن أحداث مايو ١٩٤٥ تؤكد أنه لا اخلاق ولاضمير لفرنسا - بل ولا للحضارة الغربية برمتها :

- فى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٥ . فتحت الزنازين فى سجن مدينة قالمة ونودى على ستين سجينا - ثم اعدموا رميا بالرصاص .

- اعترف الحاكم العام فى الجزائر بأن احدى وأربعين قرية دمرت بالطائرات والوحدات البحرية فلم يبق فيها دار واحدة .

- كان أى مسلم يشاهد فى الشوارع بعد الساعة السابعة مساء يتعرض لاطلاق الرصاص عليه فورا . وقد أدى ذلك إلى حبس المسلمين فى منازلهم دون أن يحصلوا على حاجاتهم من الطعام . حتى لقد قام ضابط فرنسى كبير باطلاق الرصاص على طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره عندما كان يمر فى الحديقة العامة .

- فى احدى المناظر المؤلمة - شوهد رضيع ملوثا بالدماء يبحث عن ثدى أمه المقطوعة الرأس دون أن تستجيب الضحية لصراخ ابنها .

- فى مقبرة قالمة قامت عربات الجيش الفرنسى بقذف اكياس كبيرة على الأرض - وكانت هذه الاكياس ممتلئة بالجثث الممزقة برصاص الفرنسيين .

- كان تنفيذ حكم الاعدام فى الضحايا يتم فى كثير من الأحيان أمام ذويهم وأقاربهم فقد صرع أبناء السيد حنور محمد - وهو مساعد طبيب - صرع أبناؤه الأربعة أمامه وهو ينظر وعندما جاء دوره طلب منه ان يهتف بحياة فرنسا فابى فقطعت يداه ورجلاه ثم اعدم .

- شارك فى قمع الاهالى كل القوت المسلحة الفرنسية البرية والبحرية والجوية

كما عاث الجنود فسادا فى الأنفس والثمرات .

- بلغ عدد المعتقلين المسلمين فى تلك الفترة ٦٠ الفا والضحايا ٤٠ ألفا .

- يلاحظ أن الحاكم العام الفرنسى فى الجزائر فى ذلك الوقت "شايتنيو" كان اشتراكيا !!

- تواطأت الصحف الفرنسية من يمينية ويسارية على تحريض الجنود الفرنسيين على قمع الاهالى بلا رحمة .

شهادة الوزير الفرنسى - آلان سافارى

"قام الجنرال "دوفا" بحملة إرهاب هائلة استخدمت فيها الفرقة الاجنبية والرماة ووحدات الميليشيات حتى أن الجنرال المذكور أطلق سراح أسرى الحرب الايطاليين ليشتركوا فى ذبح الجزائريين - واشترك فى تلك المذبحة اسلحة الطيران والمدرعات والبحرية - وقذف أحد الطرادات الفرنسية بالقنابل منطقة "كرارتا" - وفى ١٦ مايو وصل لواء المشاه السابع الفرنسى إلى مدينة الجزائر بعد اشتراكه فى معارك الالزاس - جاء ليذبح الجزائريين .

شهادة أحمد توفيق المدنى

أحمد توفيق المدني هو أحد أعضاء جمعية العلماء وله كتاب اسمه حياة كفاح وقد تكلم فيه عن ذكرياته عن تلك المذبحة تحت عنوان اليوم الرهيب يقول أحمد المدنى "كنت أتجهز للسفر فى ذلك الوقت ركبت القطار يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٥ فى الثامنة مساءا - وكنت عندما أصبح الصباح أشعر كلما تقدم القطار نحو الشرق بحركة غير عادية فى المحطات تزداد شدة وحدة بين حين وآخر حتى إذا وصلنا مدينة الخروب وغيرنا القطار وجدنا فى المحطة مختلف فرق الجيش وبينهم طائفة من المستوطنين الفرنسيين المتهيجين يحملون مختلف أنواع الأسلحة - كانوا يصعدون إلى القطار وينزلون مابه من الجزائريين فى شدة وعنف ورأيتهم تحت نافذتى يفتشون بدويا عربيا بشكل مهين وقد وجدوا فى قفته سكينا صغيرا لقطع الخبز

فانهالوا عليه ضربا بالأيدى ورفسا بالأرجل ثم أقتادوه بقسوة إلى ماوراء القطار وسمعت طلقات نارية وتأوها خافتا وانتهى كل شئ ، كنت حاسر الرأس بين أربعة من الأوروبيين لم يعرفوا هويتى - ودخل علينا شاب فرنسى هائج يصيح هل يوجد مسلمون هنا - فاجابه الجالس قرب الباب ، كلنا فرنسيون فذهب إلى الغرفة التى تلينا وكنت منهمكا فى قراءة الجريدة متظاهرا بعد فهم مايجرى حولى ثم ركب معنا أحد المستوطنين الفرنسيين وأخذ يقص علينا أنباء الصباح الرهيب بسطيف وماحولها وأن الفرنسيين قد سيطروا على الموقف بعد التخلص من أكبر عدد من الأهالى . وأن البقية سيتم القضاء عليها حتى يعلم هؤلاء أن الجزائر فرنسية إلى الأبد .

لم أكن أتوقع هذا أصلا إلى أن وصلت إلى مدينة قالمة التى كانت تعيش حالة حرب حقيقية - كان الجيش يحتل المحطة وكان جنوده يحيطون بجمع كبير من الرجال والشيوخ الذين جلسوا على الأرض يحيط بهم الزبانية من كل مكان وكنا نسمع أصوات الاستغاثة وصراخ العويل ممتزجا بأنين الألم يأتينا من ناحية المدينة - ومكث القطار هناك نحوا من الساعتين كنت أرى خلالها من خلال الشباك الطائرات الحربية وهى تلقى بقنابلها المحرقة على امتداد الأفق وكنت أشاهد ألسنة اللهب وهى تتصاعد إثر انفجار كل قنبلة - كما كنت أسمع من بعيد أصوات الاستغاثة والبكاء والنحيب وأرى من بعيد سائمة آدمية غفيرة العدد ، تغدو وتروح مفتشة عن ملجأ فلا تجده وما من رجل أو امرأة استطاع النجاة الا وحصدته بعد ذلك رصاصات بنادق القناصة ومسدساتهم .... وقد أعدم الجنود فى مدينة قالمة كل الشبان الذين كانوا يحملون الشهادة الابتدائية - بعد أن جمعوهم فى مكان فسيح وأمروهم بحفر أخدود طويل ثم أعدموهم بكل برودة وتخلصوا من عدو محتمل - ثم أننى كنت أرى فيما بين قالمة والحدود التونسية جموعا غفيرة من البدو يهيمون على وجوههم وكان أكثرهم مثخنا بالجراح والدماء الغزيرة تكسوه فيما كان بعض الرجال والنساء قد افترشوا الأرض وهم لايستطيعون حراكا بعد أن نال منهم الجوع والظمأ كل منال

وأنهك قواهم ماسال من دمائهم . وعلمت فيما بعد أن القتلى لم يكونوا يدفنون فى الأغلب لكثرتهم بل يتركون فريسة للذئاب والضباع والجوارح الكاسرة" .

ويقول أحمد الخطيب فى كتابه الثورة الجزائرية .

"كانت مجزرة ٨ مايو سنة ١٩٤٥ مذبحة رهيبة شابت لهولها الأطفال واقشعرت الأبدان - لقد كان جنود فرنسا يقتحمون البيوت عنوة يبقرون بطون الحبالى ويذبحون الأطفال والنساء والشيوخ ويغتصبون شرف العذارى بعنف ووحشية - وكانوا يرصون بعض الجزائريين من سكان المدن فى الساحات العامة ويبيدونهم بالرصاص - ويجمعون بعضهم الآخر دون تمييز فى السن أو الجنس داخل أكواخ ويشعلون النار فيها وكانوا يدخلون الشبان أفرانا شديدة الحرارة تخرج منها الجثة رمادا - أما القرى فكان نصيبها من التقتيل والابادة أكبر وأشنع بحيث أن الجنود الفرنسيين كانوا يرغمون الأهالى على الدخول إلى أكواخهم الطينية المبنية باللبن ويوصدون الأبواب عليهم ثم تمر الدبابات الثقيلة على الأكواخ فتسحقها بمن فيها وتحيل الأرض عجينا من طين ودم - وقد دمر الطيران الفرنسى أربعين قرية ومحاها من الوجود فيما نسف الأسطول البحرى مدينة مثل مدينة خراطة فى عمالى قسنطينة بسكانها العرب وحولها إلى أنقاض .

وتبع مجزرة ١٩٤٥ حملة أخرى فى سنة ١٩٤٧ فى بلاد القبائل ثم حملة فى سنة ١٩٤٨ فى برقية ودشمية - وحملة فى سنة ١٩٤٩ فى دوار سيدى على بوناب وحملة سنة ١٩٥٢ فى منطقة الأوراس - بل وقامت فرنسا بقتل الجزائريين المهاجرين إلى فرنسا فى حوادث ٢٣ مايو ١٩٥٢ وفى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٣ .

جانب من أساليب التحقيق الفرنسية

لم تقتصر أعمال فرنسا الوحشية فى الجزائر على القتل الجماعى والابادة والتمثيل بالأطفال والنساء والشيوخ - بل امتدت تلك الأساليب الوحشية إلى وسائل التحقيق مع المعتقلين . فقد استخدم البوليس الفرنسى أساليب مثل الضرب بالسياط أو نفخ البطن بالماء أو الهواء حتى تكاد تنفجر - أو التعذيب بالكهرباء -

أو استخدام الكماشات والضغط بها على أجزاء من الجسم أو انتزاع الأظافر - أو الكي بالأسياخ الحديدية الملتهبة - أو إدخال زجاجة في شرج الضحية لتمزق أحشاءه وجدير بالذكر أن طريقة الاقعاد على الزجاجة هي من إبداع الفرنسيين في الجزائر !!

****

إن تلك الأساليب الوحشية والممارسات الاجرامية التي مارستها فرنسا في شعب الجزائر تؤكد أن الديموقراطية الغربية وهم كبير - فهي ديموقراطية لهم - ونكال علينا - وتؤكد أن الحديث عن فرنسا الديموقراطية - أو حقوق الانسان أو غيرها من الأسماء ماهي إلا أمور تتلاشى بمجرد الاحتكاك بالمسلمين . ولايبقى إلا الوجه الحقيقي لفرنسا وهو الوجه البشع المتوحش الصليبي الحاقد .

وفي الحقيقة فإن الممارسات الوحشية - وانتهاك حقوق الشعوب والتعذيب والقتل الجماعي وعمليات النهب لم تقتصر على فرنسا وحدها ـ بل كانت سمة لازمة من سمات الاستعمار الأوروبي كله بلا استثناء - بل حتى أمريكا فعلت نفس الشئ ـ وكذلك روسيا في أفغانستان مما يؤكد أن الحضارة الغربية كلها بشقيها الرأسمالي والاشتراكي حضارة بلا أخلاق وبلا ضمير وهي حضارة وثنية ذات قشرة مسيحية لاتتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم من قتل ونهب وتعذيب ثم تذهب إلى الكنيسة لتنال بركة الأب!!!.

إن ممارسات فرنسا في الجزائر تؤكد حقيقة هامة وهي أن الحضارة الغربية بكل ماأفرزته من مدارس فكرية وسياسية لم تتورع عن أبشع الوسائل تجاه شعب الجزائر . فلقد عانت الجزائر من تلك الممارسات الوحشية على يد الملكيين والجمهوريين - اليمينيين واليساريين على السواء . بل إن مجزرة مايو سنة ١٩٤٥ وقعت في ظل حكومة اشتراكية في فرنسا وكان وزير الطيران الذي أمر بدك ٤٠ قرية وزيرا شيوعيا !! .

****

الله أكبر وانطلقت الثورة

كان من الطبيعى بعد مذبحة ١٩٤٥ ومابعدها . أن تحسم الحركة الوطنية فى الجزائر أمرها وأن تختار طريق العمل السرى والكفاح المسلح ضد الوجود الفرنسى فى الجزائر وقام الرجال المجاهدون بتشكيل التنظيم السرى من عناصر مختارة بعناية بحيث تكون ذات إلتزام إسلامى وأخلاقى وتتميز بالرجولة والكفاءة وتحمل المسئولية وكان يطلق على كل من يقبل فى عضوية التنظيم السرى لقب "مجاهد" - وكان هذا التنظيم يتحرك بسرية مطلقة ويتخذ من الأساليب مايحول دون اكتشاف السلطات الفرنسية لأمره ، وكانت العناصر الأكثر كفاءة فى التنظيم السرى تنضم إلى الجهاز العسكرى للتنظيم الذى كان اسمه "الشرف العسكرى" .

وإذا حاولنا أن ندرس ذلك التنظيم السرى المبكر للثورة . نجد أنه أنبثق أساسا من وجدان الشعب الجزائرى المسلم ككل وليس من منظمة حزبية معينة وإن كان لحزب الشعب وجمعية العلماء دورهام فى الاعداد لظهور ذلك التنظيم السرى - ومما يؤكد ذلك أنه على أثر انقسام حزب الشعب سنة ١٩٥٤ إلى جناحين أحدهما يؤيد مصالى الحاج والآخر يرفضه قام أعضاء التنظيم السرى باختيار طريق ثالث تحت اسم "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" وأعلنت الانفصال من الجناحين المتصارعين . وعدم التزامها بخط حزب الشعب - وأنها منظمة لجميع مسلمى الجزائر - وأن الوقت قد حان لاعلان الثورة وأن التأخير فى إعلانها سيؤدى إلى كارثة - كما قامت تلك اللجنة بالاتصال بالحركات الثورية فى تونس والمغرب كما وسعت دائرة اتصالها بالعالم العربى والاسلامى تمهيدا لاعلان الثورة وفى يوم ١ نوفمبر ١٩٥٤ ثم إصدار البيان الأول للثورة - وقد جاء فيه "أن الحركة قد اتخذت اسم جبهة التحرير الوطنى حتى تتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين لتنضم إلى الكفاح التحريرى وأن أهدافنا تتمثل فى :

١ - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة - ضمن إطار المبادئ الاسلامية .

٢ - إحترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز عرقى أو دينى .

٣ - تحقيق وحدة شمال أفريقيا فى داخل اطارها العربى والاسلامى .

وفى نفس الوقت ثم توزيع بيان صادر عن جيش التحرير الوطنى يدعو الشعب الجزائرى لتقديم الدعم والعون لقوات الثورة .

وبينما كان الشعب الجزائرى يتلقى هذا البيان- كانت قوات الثورة بأمكانياتها البسيطة تنفذ عددا من العمليات الفدائية شملت جميع أنحاء الجزائر ضد مراكز الجيش الفرنسى والشرطة ومستودعات الأسلحة- فقد هاجمت قوات الثورة المراكز العسكرية فى باتنة وخنشلة ومركز آريس "فى شرق الجزائر" وذلك انطلاقا من جبال الأوراس .

كما قامت الثورة بتنفيذ عمليات إرهاق للقوات الفرنسية وذلك بمهاجمة المناجم ونسف الجسور وقطع الخطوط الهاتفية والسكك الحديدية فى اقليم قسنطينة بالقرب من قالمة - سوق أهراس - وسكيكدة - وانضم رجال القبائل الى الثورة وبذلك أصبحوا يسيطرون على منطقة القبائل كلها بحيث لم يكن باستطاعة الفرنسيين المرور الا فى قوافل السيارات المصفحة .

أما فى منطقة وهران ونظرا لأن المنطقة لاتسمح الا باستعمال أساليب المطاردة والارهاق فقد وقعت حوادث نسف وتخريب فى كل الأنحاء ، وحدثت إلى جانب ذلك اشتباكات متعددة فى مستقانم بينما قطعت الخطوط الهاتفية المدفونة تحت الأرض والتى تصل بين الجزائر والمغرب - كما قطعت الخطوط الحديدية فى نقاط مختلفة .

وإذا حاولنا أن نحلل بيان الثورة الأول - نجد أن الثورة قد أكدت على اسلاميتها وعروبتها سواء بتأكيدها سيرها ضمن المبادئ الاسلامية . أو برغبتها فى الوحدة مع بلاد المغرب العربى الاسلامى - أو دعوتها لكل شعب الجزائر المسلم بلا استثناء للانخراط فى الثورة وكذلك اهتمامها بالاتصال بالعالم العربى والاسلامى لتدعيم الثورة . ومن ناحية أخرى فإن استخدام الثورة للرموز والأسماء الإسلامية سواء فى اتخاذ لقب مجاهد لكل من ينضم إلى التنظيم السرى . أو كلمة "الله أكبر" - خالد - عقبة كشفرة لانطلاق الثورة . ولعل فى اختيار اسم خالد وعقبة

مايؤكد إيمانها باتصال الجهاد المسلم على طول حلقات التاريخ فالأول هو سيف الله المسلول ورمز للجهاد في صدر الاسلام والثاني هو الذي فتح المغرب العربي وبفضله دخلت الجزائر في الاسلام .

****

انطلقت الثورة إذن . وأحس الشعب المسلم فى الجزائر أن هؤلاء الرجال الذين فجروا الثورة هم رجال من طراز صلب وصادق وبالتالى انحاز شعب الجزائر سريعا الى الثورة . وكان لعمليات القمع الوحشية التى مارستها السلطات الفرنسية ضد الأهالى فى بداية الثورة أثره الكبير فى دفع رجال شعب الجزائر الى الانضمام إلى الثورة أو الالتحاق بها فى مراكز انطلاقها فى الجبال . وقامت الثورة بتنفيذ الاعدام فى عدد كبير من الخونة والمتعاونين مع الاحتلال الفرنسى . وفقدت السلطات الفرنسية بذلك عينها التى ترى بها أحوال الشعب الجزائرى وكان لذلك الامر أثره الكبير فى إصابة الفرنسيين بالذعر والفزع حتى أصبحوا لايتحركون الا فى قوافل ويلوذون دائما بمعسكراتهم - كما نجحت الثورة فى النجاة من كل عمليات التمشيط التى قامت بها القوات الفرنسية - وكان رجال الثورة يتحركون ليلا وينفذون عملياتهم ويختفون نهارا ، ثم مالبثوا أن نفذوا عملياتهم نهارا وليلا. واستخدم الثوارتكتيك الضرب السريع ثم الانسحاب وتنفيذ العمليات بأقل قدر ممكن من الرجال وكان لهذا التكتيك أثره الكبير فى تحقيق أهداف الثورة فى بث الذعر فى نفوس الجنود الفرنسيين وإعادة الثقة للشعب الجزائرى وتحقيق تلاحمه مع الثورة .

****

لقد بدأت الثورة بامكانيات بسيطة للغاية تمثلت فى سبع بنادق فقط - ولكن متى كانت الوسائل المادية هى التى تحسم نتيجة أى معركة - إن الايمان بالله - والارادة القوية واستخدام الشعارات الواضحة والتصرف بشرف والانتماء إلى وجدان الأمة واستخدام ذلك الوجدان فى تفجير الثورة هو دائما سبب النصر وإذا كان المجاهدون الجزائريون قد فجروا ثورتهم ولم يكن معهم سوى سبع بنادق فانهم كانوا

يعرفون ان كل الشعب الجزائرى هم أعضاء فى جيش التحرير وأن مستودعات الذخيرة الفرنسية نفسها هى عتاد الثوار ولقد كان وعى الثوار هائلا عندما استخدموا كلمة مجاهد - وكلمة الله أكبر وكلمة خالد - عقبة كرموز وأسماء لحركة الثورة - لأن هذا يربطهم بالشعب المسلم ويربط الشعب المسلم بهم وبالتالى فالنصر أكيد باذن الله تعالى على الرغم من عدم تكافؤ القوى مع الاستعمار الفرنسى .

ويلخص الجنرال بوفر وهو الاستعمارى البشع ذلك كله بقوله "فى بداية الامر لم يكن الثوريون سوى حفنة من الرجال ليس بحوزتهم سوى وسائط مضحكة وجابهوا فرنسا التى كانت قوتها تبدو فى تلك الفترة قوة ساحقة وبالاضافة إلى هذا كان الشعب الجزائرى لم ينضج بعد للثورة ومع هذا فقد قرر الثوار البدء فورا بالعمل معتمدين على التقاليد الاسلامية" .

إذن فالجنرال بوفر يعترف بعدم تكافؤ القوى بين الثوار والسلطات الفرنسية بل ويعترف بأن الشعب الجزائرى لم يكن قد نضج للثورة بعد- ولعل هذا يؤكد من جديد أن الايمان والارادة هما العامل الأهم فى تحقيق النصر- وأن تفجير الثورة مهما كانت الظروف هى التى تنضج الشعب وليس نضج الشعب هو الذى يفجر الثورة .

ولعل هذا الوعى يعكسه ويؤكده كلمات أحد الثوار الكبار وهو عباس لفرور الذى يقول "اننى أعرف أننا سنجابه العدو وأيدينا فارغة عمليا - وليس لدينا الا الايمان الذى يعمر قلوبنا غير أن مانعتمد عليه هو إشعال الفتيل المفجر للثورة واننى على ثقة كاملة بأن الشعب الجزائرى بكامله سيتبع مسيرتنا على هذا الدرب ذلك لأن الله مع المجاهدين ومع القضية العادلة الله أكبر" .

تصاعدت الثورة بعد نجاحها فى عملياتها الأولى - ومع بداية ١٩٥٥ أصبحت الثورة راسخة الجذور فى قلب الشعب - وزاد عدد المتطوعين فى صفوفها وتلقت دعم شعب الجزائر من مال وسلاح وحماية - وكان من نتيجة ذلك توسيع مناطق العمليات وانطلق دعاة الثورة يحرضون الناس ويدعونهم للجهاد فى سبيل الله . وقامت القوات الثورية بأكثر من عملية ومنها الاشتباك مع القوات الفرنسية على

حدود الصحراء التى تكبد فيها الفرنسيون خسائر تزيد على خمسمائة جندى - ونجح الثوار فى تحرير منطقة كبرى إلى الغرب من جبل شيليا والتى تمتد فيها غابة كامل على مساحة مربعة قدرها ٦٤٠٠ كيلو متر وقد أصبحت هذه المنطقة محرمة على الفرنسيين وبرغم تعرضها لهجمات الطيران الفرنسى الا أنها صمدت . وأصبحت ملاذا للثوار بل وللمدنيين الذين يفرون من القمع الفرنسى - وقام الثوار بمساعدة الاهالى بزراعة تلك المنطقة بالحبوب والخضار لزيادة قدرتها على الصمود - ونجح الثوار فى إقامة مجتمع اسلامى متعاون فى تلك البقعة المحررة وتم تنظيم بناء مساكن لايواء اللاجئين وإنشاء مدارس ومساجد ومستشفيات فى تلك المنطقة بحيث أنها شكلت نموذجا هاما للمجتمع المنشود . فى حين كانت فرنسا تقوم بانشاء نقاط لتجميع الرجال حتى لاينجبوا أطفالا يكونون وقودا لثورة الشعب الجزائرى - وبرغم كل هذا كانت تلك المراكز تعج بالحماس والأناشيد الثورية التى يرددها الأطفال وكانت النساء تشجع الرجال على الانخراط فى الثورة . وكان الرجال يحاولون الفرار من تلك المراكز للالتحاق بالثورة فى المناطق المحررة .

وفى سنة ١٩٥٦ خاضت الثورة عددا كبيرا من المعارك ونفذت عددا كبير من العمليات ففى يوم ٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ وقعت معركة جبل عمور وشارك فيها ٥٠٠ جندى من جيش التحرير الوطنى فى حين كانت القوات الفرنسية تضم آلاف المقاتلين وقد استمرت المعركة أسبوعا كاملا وكان من نتيجتها قتل ١٣٧٥ جنديا فرنسيا من بينهم ٩٢ ضابطا واحراق ٨٢ سيارة فرنسية وحصل الثوار على أسلحة وفيرة حتى كان كل جندى من جنود جيش التحرير الوطنى يحمل معه أربعة أو خمسة بنادق كما أسقطت عدة طائرات حربية فرنسية .

وقد أدت تلك المعركة إلى رفع الروح المعنوية للجزائريين بصورة كبيرة - وعلى إثرها اتسع نطاق العمليات الثورية فى منطقة وهران . وأثرت نتائج تلك المعركة فى الروح المعنوية للفرنسيين الذين باتوا يشعرون بالرعب والفزع أمام الثوار .

وفى تلك الفترة- قرر طلاب المدارس الجزائريين الاضراب عن الدراسة والانخراط

فى صفوف الثورة مما أدى إلى نتائج هامة على الصعيد السياسى والعسكرى والاجتماعى حيث ساهم هؤلاء الطلاب فى حشد الجماهير ورفع مستوى الوعى العام عند الجزائريين وبذلك أصبح الشعب الجزائرى كله مشاركا فى الثورة - بل إن العمل الثورى وصل إلى درجة أن كل مدينة أو قرية جزائرية كانت تقوم باجراء عملية انتخاب تجرى فى الليل ويشارك فيها الشعب بحماس لانتخاب مجالس شعبية للقيام بالأعباء الادارية والاجتماعية للشعب من تعليم وقضاء وجمع للتبرعات وإشراف على الخدمات الصحية واسعاف للمنكوبين من ضحايا القمع الفرنسى.

****

كان من الطبيعى أن تقوم فرنسا بإرسال المزيد من قواتها الى الجزائر فى محاولة لقمع الثورة ووصل عدد القوات الفرنسية فى الجزائر إلى ٤٠٠ الف جندى مدعمين بأحدث الوسائل الحربية من طائرات ودبابات وأسلحة - بالاضافة إلى أن السلطات الفرنسية قامت بتسليح المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر الذى كان عددهم يزيد على المليون وكان من الطبيعى أيضا أن تمارس السلطات الاستعمارية تقاليدها الراسخة فى القتل الجماعى والابادة وبقر بطون الحوامل وقتل الاطفال والنساء والشيوخ وحرق القرى والمدن وعمليات التعذيب الوحشى والاعتقال. ولكن كل هذا لم يفت فى عضد الثورة بل زادها رسوخا وعزما وزاد الشعب الجزائرى التفافا حولها. ففى ١٧ يناير ١٩٥٦ طالبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رسميا بالاعتراف صراحة بوجود الأمة الجزائرية وبشخصيتها الذاتية وتجربتها الوطنية ومجلسها التشريعى" وأعلنت تأييدها للثورة. ويعد هذا التصريح الرسمى بمثابة إعلان من الشعب الجزائرى بأسره بدعم الثورة وشرعيتها وقطع الطريق على كل محاولة لعزلها أو تطويقها - وكانت جمعية العلماء تساند الثورة سرا حتى ذلك التاريخ.

وفى ٢٧ يناير ١٩٥٦ تم تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين - أى أن النقابات والهيئات والمنظمات بدأت تأخذ شكلا جزائريا مستقلا وهو مايعد تحديا كبيرا لفرنسا واعلانا هاما لبدء مرحلة الاستقلال .

وفى ١١ أبريل أعلن كل من فرحات عباس وأحمد فرنسيس وأحمد توفيق المدنى انضمامهم إلى جبهة التحرير الوطنى الجزائرى ممثلين عن أحزابهم وهيئاتهم- ومن المعروف أن أحمد توفيق المدنى هو أحد قيادات جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر.

وبذلك تكون كل القوى قد أعلنت تأييدها للثورة ماعدا العملاء والحزب الشيوعى طبعا . أى تقريبا كل القوى الاسلامية المنتمية إلى الجزائر المسلمة العربية. وفى ٢٠ أغسطس ١٩٥٦ انعقد المؤتمر التاريخى الأول لقادة الثورة فى وادى الصومام ووضع أول ميثاق تفصيلى للجبهة وتم تشكيل المجلس الوطنى للثورة الجزائرية من ٣٤ عضوا .

وفى ٩ سبتمبر تم تشكيل الاتحاد العام للطلاب المسلمين الجزائريين كما تم تشكيل الاتحاد العام للتجار الجزائريين .

وتدشن كفاح الشعب فى تلك الفترة بالاضراب العام لمدة أسبوع بمناسبة عرض القضية الجزائرية فى الأمم المتحدة - ديسمبر ١٩٥٦ - كما تعاظمت الأعمال القتالية فى عمالة قسنطينة وبلاد القبائل ووهران .

وفى بداية ١٩٥٧ تم إنشاء إذاعة سرية للثورة تحت إسم "صوت الجزائر الحرة المجاهدة". كما تدفقت الأسلحة على الثوار عن طريق تونس وتحول جيش التحرير الوطنى إلى قوة لايستهان بها بعد أن أصبح كل الشعب الجزائرى مؤيدا لجبهة التحرير الوطنى . وتنوعت المقاومة فى الجزائر واستمرت أعمال الاضرابات - وفى ٨ أغسطس أصدرت الثورة العدد الأول من مجلة المجاهد وفى ٢٠ - ٢٢ أغسطس عقد بالقاهرة مؤتمرا يضم قادة الثورة بالخارج .

أما فى عام ١٩٥٨ فقد تصاعدت عمليات القمع الفرنسى بصورة وحشية - وتم استكمال الخط المكهرب الذى يفصل الجزائر عن المغرب والذى كان قد بدأ إنشاؤه فى ١٩٥٧ كما تم انتشار العمليات الفدائية للثوار وتصاعدها وتنسيق العمليات مع المجاهدين فى تونس والمغرب وتم عقد مؤتمر طنجة الذى ضم جبهة التحرير الجزائرية وحزب الاستقلال المغربى وحزب الدستور التونسى وأوصى المؤتمر باتحاد المغرب العربى الاسلامى كما تلقت الجبهة الدعم السياسى من الدول العربية والاسلامية والافريقية ونجحت الثورة فى تنفيذ بعض العمليات فى فرنسا ضد

المنشآت العسكرية والاقتصادية . وفى ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ تم الاعلان عن تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة . وفى نفس الوقت فإن جيش التحرير يطور أعماله القتالية فى جبال الهوكار بالصحراء الكبرى . كما يقوم الثوار فى ١١ نوفمبر بشن هجوم على الخط المكهرب على الحدود التونسية .

وفى سنة ١٩٥٩ يفتتح الثوار عملياتهم فى ١ يناير بمعركة عنيفة ضد القوات المظلية الفرنسية فى البرواقسية كما يشتبكون فى ٢٧ - ٢٩ يناير مع الفرنسيين فى جبال الظهرة وينصبون عددا من الكمائن فى الميلية - وسان شارل والفرازقة ويقتلون ٢٦ جنديا فرنسيا من بينهم الكولونيل "مارى" - وفى ٤ أبريل يصعد الثوار هجماتهم فى ناحية الأغواط بالصحراء . ويشتبكون فى معارك عديدة فى الأطلس الصحراوى وفى عمالتى الجزائر وقسنطينة وينظمون هجوما قويا على عين الزانة وعدة مراكز فرنسية أخرى فى خط موريس كما يتزايد النشاط العسكرى للثوار فى جبال الونشريس وجبال سيدى بلعباس ويتكبد الفرنسيون خسائر فادحة.

أما فى ١٩٦٠ فإن عمليات جيش التحرير أصبحت فى كل بقعة من الجزائر - فتم تدمير ٩ قطارات فرنسية فى شهر يناير . كما هاجموا فى شهر أكتوبر ٥ مراكز للحراسة فى العاصمة الفرنسية نفسها "باريس" وقاموا بعمليات عسكرية واسعة ضد الوجود الفرنسى وخاصة فى المنطقة الشرقية .

وفى سنة ١٩٦١ استمرت عمليات المقاومة الباسلة كما استمرت الاضرابات العامة فى كل الجزائر - ودخلت الجبهة فى مفاوضات مع فرنسا - انتهت باعلان الاستقلال فى ٥ يوليو سنة ١٩٦٢ كثمرة من ثمار حرب طويلة وكفاح مستميت قام به شعب الجزائر على مدى اكثر من ١٣٢ عاما وكثمرة مباشرة لحرب التحرير الشعبية التى بدأت سنة ١٩٥٤ ولكن الجزائر كانت قد قدمت مليون ونصف مليون شهيد ثمنا للاستقلال والحرية والاسلام والعروبة .

أثبتت ثورة الجزائر عددا من الحقائق التاريخية التى لايمكن تجاهلها . فقد اثبتت تلك الثورة الشامخة .

- أن الاسلام قوة غير قابلة للموت ولا للتدمير - وخاصة فى الجزائر . وأنه برغم كل الممارسات الوحشية الفرنسية واستخدام أبشع وأعقد الاساليب فقد ظل

الاسلام يحيا فى وجدان شعب الجزائر .

- أن عوامل انتصار الثورة لاتكمن فى وفرة الامكانيات أو نضوج الشعب للثورة ولكنها تتمثل بالايمان والصلابة والاصرار . فقد بدأت الثورة بعدد قليل من الرجال وبعتاد وسلاح ضعيف جدا . ولكن الايمان والصلابة قد مكنا لتلك الثورة أن تنتزع النصر من فرنسا التى حشدت لمقاومة الثورة ٤٠٠ ألف جندى بالاضافة إلى المستوطنين الفرنسيين الذين تم توزيع السلاح عليهم . ولعل هذا يؤكد أن المقاومة هى التى تنضج وعى الشعب وليس العكس كما أن المقاومة هى التى تحقق للثورة الامكانيات من خلال دعم الشعب لها ومن خلال انتزاع السلاح من يد العدو - ولو كان قادة الثورة الابطال قد فكروا بمنطق الامكانيات أو منطق انفتاح وعى الشعب أولا - لما قامت الثورة إطلاقا .

- نجحت الثورة فى أن تستخدم اللغة التى يفهمها شعب الجزائر والتى تمس وجدانه فاستخدمت الشعارات الاسلامية فى المعارك وحددت انتماء الجزائر بانه عربيا واسلاميا بل كانت الشفرة التى تستخدمها الثورة تنبع من الوجدان الاسلامى - مثل الله أكبر - خالد - عقبه ولعل ذلك التميز والوضوح هو الذى صنع تلاحم الشعب مع الثورة فلم تكن الثورة الا ترجمة أمينة لوجدان هذا الشعب المسلم - ولو كانت الثورة استخدمت الاساليب والاطروحات التى لايفهمها الشعب لظلت تعانى من العزلة ولانهزمت حتما . إن إسلامية الثورة قد حقق لها انتماء كل جزائرى اليها . ابن الريف - ابن المدينة - ابن الجبال - وابن السيول - ابن الصحراء وابن الساحل - العربى والبربرى - الفقير والغنى - الطالب والعامل والفلاح والمهنى - كبار المثقفين وهؤلاء الذين لايجيدون حتى القراءة والكتابة . ماذا كان يجمع هؤلاء؟ إن هؤلاء قطعا لايجتمعون الا على الاسلام - والاسلام وحده - وبالتالى كان الاسلام هو الطاقة الكبرى التى حققت اندلاع الثورة وتلاحم الشعب معها وانتصارها.

- أن المرأة الجزائرية قد شاركت بحماس وكفاءة فى تلك الثورة الفذة - فكانت نعم الاخت او الأم - كما كانت النساء تقمن بأنفسهن بتأدية المهام الثورية الضخمة مثل نقل الرسائل او تأمين الاتصالات ويبرز هنا أسماء مثل "العمة الفولة" زوجة المجاهد بلقيس ولو الفولة التى نظمت عمليات الاتصال فى منطقة تكوت بعد

حصارها من قبل الفرنسيين ومنع الرجال من الخروج منها - أو المجاهدة عقيلة وزوجها الملازم سى الاخضر - أو المجاهدة فضيلة سعدان أو جميلة بو حريد أو غيرهن من النساء اللاتى شاركن فى الكفاح سواء عن طريق المشاركة المباشرة فى القتال أو تأدية المهام الخاصة لدعم الثورة وتأمينها - ولعل هذا كله يكون درسا للحركات الاسلامية التى تتردد فى إشراك المرأة فى الجهاد والعمل السياسى عموما.

- أن الممارسات الفرنسية فى الجزائر قد عرت والى الأبد الوجه الحقيقى للحضارة الغربية وأثبتت وبما لايدع مجالا للشك أنها حضارة لا أخلاقية تقوم على القهر والنهب والتدمير وأنها لاتتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم بحق الشعوب وأن بداخلها روحا وثنية وصليبية قبيحة وتحمل حقدا خاصا على الاسلام والمسلمين وأن كل دعاوى حقوق الانسان والشعوب ماهى إلا شعارات تتوارى فى ظلال النسيان بمجرد احتكاك تلك الحضارة بالشعوب المستضعفة وخاصة شعوب العالم الاسلامى .

- أن الطريق الوحيد لمواجهة التحدى الصليبى والاستعمار الغربى يتمثل فى التمسك بالاسلام كدين وكمنظومة سياسية واجتماعية وحضارية خاصة وأن هذا هو الاسلوب الوحيد القابل لتحقيق الانتصار والتطور .

وهكذا كانت تجربة الجهاد فى الجزائر - تجربة هامة ومثيرة - وستظل أبدا مملوءة بالدروس والعبر - وستظل أبدا نموذجا فذا لقدرة الانسان المسلم على الصمود والتحدى والانتصار - وستظل الجزائر أبدا معقلا من معاقل الاسلام - فهذا كان تاريخها - القديم والحديث والمعاصر وسيكون مستقبلها كذلك باذن الله تعالى .
والله أكبر على طريق خالد وعقبة .

****

خالد - عقبة من جديد

فى ٥ يوليو سنة ١٩٦٢ استقلت الجزائر رسميا - ورحل جيش الاحتلال الفرنسى . وكان من المفروض أن تتم عملية تصفية للحالة الاستعمارية بكافة مظاهرها وأشكالها . وبناء الجزائر العربية الاسلامية التى دفع الشعب الجزائرى المسلم الدماء من أجلها . ولكن العكس حدث تماما .

فمن ناحية تم استبعاد العناصر الاسلامية المجاهدة - وتم تسليم السلطة إلى العناصر العلمانية . كما تم الاستبعاد العملى لهؤلاء الذين دفعوا الدم والتضحيات ومارسوا الجهاد والقتال ضد الاحتلال وقامت السلطة الجديدة بتكريس عملية الحكم الفردى الديكتاتورى واهمال عملية بناء الجزائر العربية الاسلامية وفقا لتراث ووجدان الشعب الجزائرى وقيمه الحضارية . وكانت النتيجة مزيدا من المشاكل والازمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أصبح الشعب الجزائرى يواجهها . وكذلك استمرار هيمنة الثقافة الفرنسية الاستعمارية (١).

ولنستمع إلى شهادة رجلين من رجال الثورة نفسها على هذه الفترة اى منذ ١٩٦٢ وحتى ١٩٨٨ عام الانتفاضة التاريخية التى فجرت عصر الحريات والديموقراطية .

يقول احمد بن بيلا - أول رئيس جمهورية للجزائر المستقلة - والمناضل المعروف - أن الفترة من ١٩٦٥ - ١٩٧٨ كانت فترة لاوجود فيها لشئ اسمه القانون وانما كانت الجزائر تحكم بمراسيم وأوامر تصدر من جهة واحدة ورجل واحد - وأن البلاد كانت تحكم فى غياب مؤسسات تشريعية تعبر عن الشعب بمختلف فئاته وتمكنه من صيانة كرامته والدفاع عن حقوقه كما أن الثورة الصناعية والثورة الزراعية اللتان يتكلمون عنهما لا وجود لهما . وحتى الثورة الثقافية المزعومة هى ثقافة"هبل" وهى مسخ لشخصيتنا العربية والاسلامية . والخلاصة أن المشروع الثقافى والاقتصادى والاجتماعى غير موجود . لأنه لايصدر بقرار او مرسوم بل يجب أن يكون نابعا من الشعب ويطمح الى تعميم قيمه ويساهم فى بناء شخصيته

---

(١) د. صلاح العقاد المغرب العربى- دراسة فى تاريخه الحديث- مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٩.

واستقلاله الاقتصادى والثقافى والسياسى . "نقلا عن الاحزاب السياسية فى الجزائر خلفيات وحقائق . عبد العال رزاقى . الجزء الأول" .

هكذا يلخص بن بيلا المسألة فى أن الحكم الجزائرى فشل فى بناء الجزائر ثقافيا وسياسيا واقتصاديا أى مسخ شخصيتها.

أما المناضل الجزائرى على محساس - الذى ولد سنة ١٩٢٣ وشارك فى الثورة وسجن لعدة مرات - وتقلد عدة مسئوليات ومناصب اثناء الثورة الجزائرية أو بعد الاستقلال . فيقدم شهادته كالتالى "كان الخطأ فينا جميعا - لقد حكمتنا الأقلية التى لارصيد شعبى لها - ويكفى أننى كنت عضوا فى المكتب السياسى وفى أمانة المكتب السياسى ومع ذلك لم أكن أعرف مايجرى حولى . لقد أخطأ بن بيلا وهوارى بومدين أيضا - ولو كانت الأمور محسومة وصحيحة عند بن بيلا لما نجح انقلاب هوارى بومدين ، إن كل ما كنا نحلم به أبان الثورة بدأ يتقلص بعد الاستقلال ، والنظام الجزائرى فقد تدريجيا حيويته حتى صار مجرد تابع ولم ينجح سوى فى تحطيم قواه الوطنية وبالتالى عندما فقد مصداقيته لم يستطع الانتهازيون والوصوليون الذين اعتمد عليهم فى تجسيد وجوده فى الواقع .

ويضيف على محساس "أحداث ٥ ، ١٠ أكتوبر ١٩٨٨ فى الجزائر نتيجة منطقية لارهاصات شعبية بدأت منذ الاستقلال وتواصلت المطالبة بالديموقراطية والحرية وقد ذهب ضحيتها عشرات المناضلين الذين عاشوا فى السجون وتعذبوا على يد الحاكمين - لم تكن هذه الاحداث من صنع تيار سياسى معين - ولا هى وليدة الصدفة أيضا ولاهى ظرف سياسى طارئ وقد جاءت تلك الأحداث نتيجة التناقض بين مصالح الجماهير ومصالح السلطة "نقلا عن - الأحزاب السياسية فى الجزائر - خلفيات وحقائق - عبد الله رزاقى - الجزء الأول" .

****

وهكذا انتهت السلطة العلمانية التى سرقت الثورة واستبعدت الاسلام من عملية بناء الجزائر الى فشل على كل مستوى - سياسيا كان أو اجتماعيا او اقتصاديا او

ثقافيا . بل ووصلت إلى حد التناقض مع الجماهير . ولم يكن بالطبع أمامها الا الفشل . ألم تستبعد الاسلام من عملية بناء الجزائر والاسلام هو مفجر الثورة الجزائرية وهو محرك الجماهير - وهو الأيديولوجية الوحيدة القادرة على الحشد والتعبئة والثورة والبناء ومواجهة التحدى .

ولكن النضال الجماهيرى الاسلامى . لم ينقطع - فمنذ اللحظة الأولى للاستقلال سنة ١٩٦٢ اكتشفت الجماهير أن الثورة قد سرقت وانحرفت بها قيادة دكتاتورية إلى مسارات جانبية ورؤى مخالفة للوجدان الجزائرى - وهكذا كان على تلك الجماهير منذ اللحظة الأولى أن تستمر فى نضالها السرى والعلنى من أجل إزاحة تلك السلطة ودفع الاسلام إلى قلب المعركة وشهدت الجزائر العديد من الانتفاضات الشعبية من أجل الاسلام والعروبة والبناء المستقل - وانتهت تلك العملية إلى انتفاضة شعبية عارمة فى ٥ ، ١٠ أكتوبر سنة ١٩٨٩ - شاركت فيها كل الجماهير ورفعت تلك الجماهير من جديد شعار الله أكبر - خالد - عقبة . من أجل بناء الجزائر المسلمة وفقا للمعطيات الاسلامية ثقافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ورفضا للتغريب والحكم المطلق .

****

كان من الطبيعى أن تتمخض تلك الانتفاضة المباركة عن تغييرات عميقة فى البنية السياسية والاجتماعية الجزائرية - وظهرت آثار تلك الانتفاضة فى اضطرار السلطة إلى فتح المجال أمام الحريات السياسية وحق تشكيل الاحزاب السياسية وحرية الصحافة - واجراء انتخابات حرة على مستوى البلديات فى عام ١٩٩٠ - وجاءت نتاءج تلك الانتخابات لتعكس حقيقة الوجدان الاسلامى لشعب الجزائر .

ووفقا للنتائج الرسمية المعلنة . فإن الجبهة الاسلامية للانقاذ حصلت على ٦٥٨٢٥٤٣ صوتا أى ٥١ , ٨٢٪ من الأصوات - وبحسب عدد المقاعد فإن الجبهة الاسلامية حصلت على ٥٥٪ من عدد المقاعد بينما حصلت جبهة التحرير الجزائرى "الحزب الحاكم" على ٣٥٪ من المقاعد وحصلت باقى الأحزاب القومية أو العشائرية

والعلمانية على باقى المقاعد ومجرد قراءة محايدة فى هذه النتائج - تعطى الكثير من الدلالات - فبرغم أن جبهة التحرير فى السلطة أى أنها الحزب الحاكم بما يترتب على ذلك فى الواقع العمل من نفوذ خاص خاصة وأن التجربة الحزبية فى الجزائر مازالت فى بواكيرها الأولى - الا أن الجبهة الاسلامية حصلت على المركز الأول فى عدد المقاعد ٥٥٪ واكتسحت فى نسبة عدد الأصوات ٥١ , ٨٢٪ - وهذا بدوره يؤكد أولا الوجدان الاسلامى لشعب الجزائر وانحيازه إلى الخيار الاسلامى وهذه بالطبع حقيقة تاريخية - ويؤكد ثانيا أن الشعب الجزائرى يرى فى الجبهة الاسلامية للانقاذ وفى قائدها الدكتور عباس مدنى الممثل الصحيح للخيار الاسلامى ، ومن ناحية أخرى فإن جبهة التحرير الجزائرى "الحزب الحاكم" إذا كانت قد حصلت على المركز الثانى فى عدد المقاعد بحكم نفوذ السلطة وسيف المعز وذهبه - فإن المقاعد الباقية قد ذهبت فى معظمها إلى التجمعات العشائرية خاصة فى مناطق البربر . أما الأحزاب العلمانية والقومية واليسارية فقد حصلت على نتائج تقترب من الصفر- وهذا أيضا يؤكد رفض الشعب الجزائرى لتلك التوجهات المرتبطة بالتغريب والحضارة الغربية يمينا ويسارا . ويؤكد أيضا على مدى ضعف هذه الأحزاب فى الواقع الجزائرى إلى درجة تقترب من العدم .

أحدثت نتائج الانتخابات الجزائرية - تأثيرات هائلة على الساحة الاسلامية والعربية والدولية . فمما لاشك فيه أن فوز الجبهة الاسلامية بهذا العدد من الأصوات والمقاعد يؤكد على الحقيقة التاريخية التى تقول أن شعوبنا منحازة تماما إلى الخيار الاسلامى والانتماء الحضارى الاسلامى وأنه ما أن يسمح لهذه الجماهير بالتعبير عن نفسها فى انتخابات حرة فانها تؤكد هذا الخيار ، على أن للمسألة وجوها أكثر من هذا - فالتأثير الايجابى لهذه النتائج سينعكس حتما على الحركة الاسلامية فى المغرب العربى اولا بحكم الظرف الخاص والروابط الخاصة بين بلدان المغرب العربى - كما سينعكس على مجمل التوجهات الاسلامية فى المنطقة العربية بالايجاب وكذلك على الساحة الاسلامية فى العالم الاسلامى عموما . وللمسألة هنا

بعد خاص - حيث أن الحركة الاسلامية فى الجزائر حركة سنية وبالتالى فآثارها على العالم الاسلامى السنى سيكون كبيرا وإذا كانت الدوائر الاعلامية الاستعمارية قد استطاعت حصار الآثار الايجابية للثورة الاسلامية فى ايران بدعوى شيعيتها فان الامر هنا اكثر صعوبة - حيث لايمكن حصار تلك التجربة فى هذا الاطار - ومن ناحية ثانية فإن تجربة الجبهة الاسلامية للانقاذ فى الجزائر تجربة جاءت عن طريق الانتخابات وهذا يزيد من قيمتها ولم تأت من خلال انقلاب عسكرى مثلا وبالتالى فلن تستطيع دوائر الاعلام الاستعمارى اتهامها بشتى الاتهامات التى تلصق بالاسلاميين عادة ظلما وبهتانا .

أما على الساحة الدولية فإن نتائج الانتخابات الجزائرية قد أحدثت آثارا كبيرة على أكثر من مستوى . ففى فرنسا مثلا وهى حاضرة بشدة ومتداخلة فى الجزائر - صب الاعلام الفرنسى والساسة الفرنسيون جام غضبهم على الناخبين الجزائريين الذين صوتوا للجبهة الاسلامية ولسان حال الاعلام الغربى عموما يقول الديموقراطية لنا وليست للبلاد الاسلامية .

يقول بيار لاكوست رئيس أمن الدولة الفرنسى السابق "إن مايحدث فى الجزائر هو تصاعد للاعقلانية ، ان أمن العالم فى حاجة إلى قواعد مشتركة" فى إشارة إلى أن الاسلام ليس من ضمن هذه القواعد المشتركة لأمن العالم .

أما وكالة الأنباء الفرنسية فأرادت اللعب بورقة البربر حيث روجت لاقتراح غريب وهو بناء حائط لفصل منطقة قبائل البربر عن باقى الجزائر - وهذا بالطبع اقتراح عجيب فى زمن سقط فيه حائط برلين .

ويعلق الاستاذ مجدى أحمد حسين على ذلك فى جريدة الشعب عدد ١٠ يوليو ١٩٩٠ قائلا "إن السياسة الفرنسية ترى أن الجزائر هى حجر الأساس فى دول النفوذ الفرنسى وأن فرنسا تخشى من انتشار عدوى الاسلام إلى باقى دول المنطقة - وهكذا لم يكن عجيبا ان يصدر الرئيس الفرنسى ميتران تصريحاته تعليقا على انتخابات الجزائر وهو فى جولة خارج فرنسا وأنه لم يستطع الانتظار حتى يعود

لبلاده - لأنه اذا سقطت الجزائر تساقطت باقى الدول بيد الاسلاميين وفقا لنظرية الدومينو" ويرى الاستاذ مجدى احمد حسين فى نفس العدد من الشعب أن الفرنسيين سيعملون من خلال اثارة القوات البربرية وهى سياسة استعمارية قديمة - أى البحث عن قوة ثالثة فى مواجهة جبهة الانقاذ الاسلامية التى يصعد نجمها وكبديل عن جبهة التحرير الجزائرية الحاكمة التى يأفل نجمها" .

وفى الحقيقة فإن تصاعد نجم الجبهة الاسلامية للانقاذ فى الجزائر قد أثار قلقا كبيرا فى الدوائر الغربية عموما والفرنسية خصوصا - والظاهرة الاسلامية ككل اثارت اهتمام الغرب الأوروبى الذى بات يرى أن الاسلام هو الخطر الأول على الحضارة الأوروبية خاصة بعد انهيار المعسكر الشيوعى - ولم يكن عجيبا ان يصبح الاسلام هو العدو الأول على رأس أولويات اجتماعات الدول الأوروبية والأمريكية الذى عقد مؤخرا فى لندن "يوليو ١٩٩٠" .

وبديهى أن الغرب يحمل فى داخله روحا صليبية متغلغلة - وهو أيضا يرى أن التحدى الحضارى الحقيقى يأتيه من الاسلام - لأن الاسلام يعكس حضارة اخلاقية عظيمة قادرة على انقاذ العالم من هيمنة الغرب وقادرا على تشكيل تحد حضارى وبشرى للغرب . وتجربة الجبهة الاسلامية للانقاذ فى الجزائر تشكل فى هذا الاطار معضلة خطيرة للغرب - لأنها جاءت أولا عن طريق الانتخابات فاذا رفض الغرب نتائج هذه الانتخابات كان هذا تناقضا أساسيا فى سلوكه وقيمه التى يدعيها عن الحرية والديموقراطية وإذا قبلها كان هذا تسليما بتصاعد المد الاسلامى وعودة المارد من قمقمه وبالطبع فليس امام الغرب سوى أسلوب التطويق والالتفاف على تلك التجربة ومحاولة اسقاطها بأى طريقة كانت .

****

قراءة فى أفكار أهم الاتجاهات
الاسلاميـة فـى الجـزائـر

لاشك أن الواقع الاسلامى عموما والجزائرى خصوصا يعكس عددا من الاتجاهات والافكار حول عملية اعادة صياغة الحياة فى بلادنا . فهناك الاتجاهات الاسلامية التى تتبنى قيم وأنماط حياة مستمدة من الحضارة الاسلامية وترى ضرورة بناء الواقع وفقا لمعطيات هذه الحضارة - وهناك الاتجاهات العلمانية التغريبية يمينا ويسارا التى ترى ضرورة ترك قيم الحضارة الاسلامية جانبا وتبنى نمط القيم الأوروبية الغربية .

ولأن الاتجاهات العلمانية والتغريبية لقيطة أولا ولاقيمة لها فى الواقع فإن مناقشتها لاتكون إلا فى اطار مناقشة التآمر الأوروبى على الاسلام باعتبارها أحد وسائل وجسور هذا التآمر . وبالتالى فاننا سنهتم هنا بدراسة أهم الاتجاهات الاسلامية فى الجزائر وهى الجبهة الاسلامية للانقاذ "د. عباس مدنى" الحركة من أجل الديموقراطية فى الجزائر "أحمد بن بيلا" جمعية الارشاد والاصلاح "الاخوان المسلمون" الشيخ محفوظ نحناح" .

وبالطبع فإن الواقع الجزائرى الخصب يتسم بقدر كبير من الجمعيات والشخصيات والتوجيهات الاسلامية - ولكننا سنقتصر على تلك الحركات الثلاث نظرا لأهميتها.

الجبهة الاسلامية للانقاذ

"عباس مدنى"

الجبهة الاسلامية للانقاذ فى الجزائر - هى أهم الأحزاب الاسلامية فى الجزائر لأكثر من سبب - أولها أنها استطاعت أن تحصل على أكبر قدر من الأصوات فى انتخاب البلديات "١٩٩٠" . ٥١ . ٨٢٪ مما يعكس ثقة الشعب الجزائرى فيها . ولأنها حاضرة بشدة إعلاميا وثقافيا وسياسيا على الساحة الجزائرية - ولأنها استطاعت أن تثبت قوتها اكثر من مرة وخاصة فى اطار تنظيم المظاهرات المليونية والمؤتمرات الحاشدة فى أكثر من مناسبة .

نشأت الجبهة الاسلامية فى الجزائر عقب دستور ١٩٨٩ الذى أباح حق تكوين الأحزاب . بقيادة الدكتور عباس مدنى . وهو استاذ فى علوم التربية بجامعة الجزائر ، والجبهة الاسلامية ترى أن ميلادها جاء متزامنا مع مستجدات تاريخية خطيرة هى رغبة الشعب الجزائرى فى إعادة اعتباره وفك قيود الاستبداد ووضع حد لعهد الحرمان شعورا منه بضرورة الانطلاق فى ميدان التاريخ برسالته والنهضة بالبلاد اسلاميا وحضاريا وعمرانيا بإقامة نظام اسلامى شامل فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية على أساس الاسلام ، وأن الجبهة الاسلامية جاءت لانقاذ ما أتلفته جبهة التحرير من مكاسب الرسالة التاريخية ومن الثروات الطبيعية والطاقات البشرية - وأن الجبهة الاسلامية هى جبهة لفك قيود الاستعمار والاستبداد ليستنشق الشعب الجزائرى نسيم الحرية ويعرف الاسلام وهديه ويقظة الضمير واستجماع شروط الانطلاقة التاريخية الرسالية الحضارية والتخلص من التبعية بكل أشكالها وانقاذ الانسان المعاصر عموما باعتبار أن الشعب الجزائرى شعب مسلم حرى به أن يواصل عملية الانقاذ التى بدأها محمد بن عبد الله "صلى الله عليه وسلم" لتبقى مهمة الأجيال عبر التاريخ .

برنامج الجبهة الاسلامية للانقاذ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وبعد ، إن الجبهة الاسلامية للانقاذ التى هى جبهة الشعب الجزائرى الأبى الطامح إلى المعالى ، المقبل على عهد رسالى تاريخى حضارى ، وضع فى ظروف من التأزم السياسى والاقتصادى والاجتماعى ماجعله أمام معوقات ، تهدد عزيمته بالتثبيط ، وتهمش عبقريته بفساد التوجيه ...

ففى هذا الحال من التناقض والأشكال بين ارادة طموحة وثابة ، وعبقرية سخية معطاءة ، وبين سياسة التثبيط ، وتقييد الحريات وغلق أبواب العمل التاريخى الواعى والحضارى الرسالى فى وجه الشعب ، الأمر الذى جعل الخروج من ورطة الأزمة بكل أبعادها الصعبة يستوجب عملية تغييرية منهجية واعية على جميع الأصعدة.

بيد أن وعى الشعب الجزائرى لحاجته الى الحرية ليستعيد مكانته الجديرة به بين أرقى الأمم ، وقيمته التاريخية من حيث هو من خير أمة أخرجت للناس ، تحرك فى مواقف عملاقة حقق بها استقلاله فى ثورات تخللت مدة تواجد الاستعمار فى وطنه إلى ثورة نوفمبر ١٩٥٤ ، وإذا كانت هذه الثورة استعادت له البلاد ، فإنها لم تعد له الحرية والتى من أجلها انتفض فى أكتوبر ١٩٨٨ كى ينطلق عملاقا من أجل تحقيق مايطمح اليه من الآمال فى عمل منهجى رشيد ، وبجهد واع حكيم يشخص ارادته ، ويبلور عبقريته ، ويبرهن على جدارته ...

من أجل ذلك أخذت الجبهة الاسلامية للانقاذ على عاتقها مهمة وضع الخطة المنهجية العملية لمواجهة المستجدات بيقظة ، لابد من أن تكون فى مستوى الأحداث من جهة ، ومستوى ارادة الشعب من جهة أخرى لتوفير الشروط النفسية والشرعية والعلمية والتقنية ، وذلك فى الخطوات التالية :

أ - تحديد المشكلات على اختلاف أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية .

ب - اختيار أحسن الحلول مع مراعاة الشرع الاسلامى ونفسية الشعب

الجزائري، وجميع امكانات التطبيق الاجرائي للحلول .

جـ - التحديد المنهجي لمراحل تحقيق الخطة الاجرائية لتنفيذ الحلول في الأوقات المحددة والشروط المبينة .

ولئن كانت أولى الخطوات الاجرائية المنهجية تتمثل في تشكيل لجنة لصياغة المشروع من المجلس التأسيسي للجبهة الاسلامية للانقاذ ، فإن مناقشة مجلس الشوري الوطني للجبهة واثراءه ، قد تم بحمد الله حتى خروج المشروع في المستوى الذي أنار السبيل للعمل المنهجي الرشيد في معالجة المشكلات وتقديم الحلول لها ، غير أن الجبهة الاسلامية للانقاذ ، ليست كالاحزاب التقليدية ينتهي برنامجها بمجرد اتفاق اعضائها ، إذ هي جبهة الشعب أبت إلا أن تعرضه عليه ليشارك في مناقشته وعملية اثرائه كي يكون في المستوى المطلوب من الوعي السياسي والعمل الجاد المنهجي النابع من عبقرية الشعب المعتمد على إرادته ، المتوقف على عمله في جهد كلي منظم ، وإحكام منسق ، ذي القناعة الجماعية القوية ، لذلك تعد مرحلة عرض المشروع السياسي للجبهة الاسلامية للانقاذ على الشعب الجزائري لمناقشته بكل حرية ، وعرضه على كل شرائحه ، لمن المراحل الضرورية المنهجية ، التي حددت الخطة الاجرائية للمشروع . أيها الشعب الجزائري المسلم ، هاهي أمانتك ردت إليك ، ومسؤوليتك أمام الله والتاريخ والأجيال المقبلة بين يديك ، خذها بعبقريتك الفذة ، وارادتك الخيرة الجادة بوعي لاتشوبه غفلة ، ويقظة لاتشينها غفوة ، وقوة لا تضعفها عقبة . كن على عادتك ربانيا ورساليا وعملاقا تاريخيا :

"ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز" (الحج : ٤٠)

مدخل

تعرف البلاد تناقضات على جميع المستويات ، من ذلك شعب طموح يريد النهوض بنفسه إلى مستويات مقاصد الشريعة الاسلامية والنموذج الاسلامي القرآني السني على مستوى النظم ، النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي في النطاق الحضاري الاسلامي لمواجهة مستجدات أزمة الحضارة في الوقت

الذى بقى فيه النظام الحاكم عاجزا عن مواجهة القضايا الأساسية التى تطرحها حيثيات الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية . وقد آل أمر البلاد الى خطر الضياع والبلبلة انعكس فى حيرة هزت الشعب هزة عنيفة وكان الشباب اكثر تأثرا بهذه الحيرة . وإذا كانت الدعوة الاسلامية قد أخذت على عاتقها مسؤولية توجيه الشعب الجزائرى والسير به نحو المنهج القويم والصراط المستقيم المانعين من المخاطر المذكورة آنفا والضامنين للنجاة والمحققين للمراد من الصحوة الاسلامية التى مافتئت تشكل معقد آمال الأمة . ولئن كانت الدعوة الاسلامية محاصرة بالضغوط المعادية للاسلام وللشعب الجزائرى فى الداخل والخارج فإن الدعوة كانت دوما تشع على العقول بأنوار الهداية وتنعش الضمائر بالغذاء الروحى الذى تزخر به اخلاق القرآن والسنة وتشحذ الارادة الخيرة للأمة بالطاقة الايمانية الفعالة مما جعل الشعب الجزائرى يقوى على مواجهة الدوائب ومصارعة الاستعمار الحديث كما قوى بالأمس على سابقه الاستعمار القديم. وبعد أن جربت مختلف الايديولوجيات الحديثة الشرقية منها والغربية وثبت افلاسهما بما لاشك فيه لم يبق للشعب الجزائرى الا أن يجد فى العمل بدينه القويم لانقاذ مكاسبه التاريخية الرسالية الحضارية وثرواته البشرية والطبيعية دون أن يضيع الوقت الذى أصبح يشكل أهم العوامل فى نجاح الخطة الاصلاحية الشاملة . ولتحقيق ذلك لابد من هيئة تستوعب كل المطالب والحاجات التى تكون فى مستوى مستجدات الأزمة وتوظف كل أو جل الامكانات والطاقات كى تثرى الحلول على قدر مطالب النهضة الشاملة والصحوة الحقة، وتوفر لها اذكاء عبقرية الجيل وذكاءه وانماء خبراته ، واستقامة مسلكيته كى يكون فى مستوى الجهد الرسالى والعمل الجاد المبدع فى مختلف مجالات الحياة وميادين الحضارة من أجل ذلك كان ميلاد الجبهة الاسلامية للانقاذ ارهاصة تاريخية ساعد على ظهورها نفسية الشعب الجزائرى المفعمة بالايمان، التواقة الى عزة الاسلام وعدل شريعته وهدى القرآن والسنة وقيم اخلاقه والتأسى برسوله صلى الله عليه وسلم وأجيال الصحابة والتابعين لمواصلة الرسالة .

مواصفات الجبهة الاسلامية للانقاذ :

للجبهة الاسلامية مواصفات يمكن بيانها فيما يلى :

١ - انها تعمل على وحدة الصف الاسلامى وتحافظ على وحدة الامة لقوله تعالى : "إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبودن" ، ولقوله عليه الصلاة والسلام "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" رواه البخارى .

٢ - تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الايديولوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية فى نطاق الاسلام كما جاء فى القرآن والسنة مع مراعاة الشروط النفسية والاجتماعية والجغرافية والطبيعية محددة فى الزمان بكل ابعاده النفسية والحضارية . قال تعالى : "إن الدين عند الله الاسلام" ولقوله تعالى: "ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين" ولقوله تعالى : "ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم" ولقوله تعالى : "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا". ولقوله عليه الصلاة والسلام : "تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى" .

٣ - من خصائص منهجيتها الاعتدال والوسطية والشمول لقوله تعالى : "وكذلك جعلناكم أمة وسطا" وقوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : "يسرا ولاتعسرا بشرا ولاتنفرا وتطاوعا ولاتختلفا" .

٤ - ومن ميزات طريقتها الاعتدال فى الجمع بين المطالبة والمغالبة دون افراط أو تفريط . لقوله تعالى : "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" . ولقوله عليه الصلاة والسلام : "لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم" . وتستعمل المطالبة لاقامة الحجة لقوله تعالى : "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" . وقوله تعالى : "وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون" .

كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والحفاظ على ثوابتها وصيانة

مكاسبها لقول عمر بن الخطاب : "متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

٥ - ومن طرقها العملية ، العمل الجماعى وجودة توظيف الجهد الكلى للارادة الكلية للأمة مما يجعلها تتخلص من النزعة الفردية والطفرية الارتجالية وورطة المحسوبية والوقوع فى الأغراض الشخصية ونبذ الإتكالية لقوله تعالى : "وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان" ولقوله تعالى : "ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" ولقوله تعالى : "ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" ولقوله عليه الصلاة والسلام : "الدين النصيحة قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" وقوله عليه الصلاة والسلام : "اعقلها ثم توكل" .

٦ - ومن مهامها : تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيرة فى البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى والحضارى .

٧ - ومن خصائصها الانقاذ الرسالى التاريخى الحضارى الشامل اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم منقذ البشرية لقوله تعالى : "وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها" .

ولتحقيق ذلك تحدد الجبهة خطتها فى مشروع شامل مختصر ومركز (البرنامج السياسى) فى محاور تضعها الجبهة الاسلامية للانقاذ بين يدى الأمة ليتم أمر التغيير الشامل فى نطاق الحل الاسلامى .

والله ولى التوفيق ،،،

الجزائر فى ٢٨ رجب ١٤٠٩هـ

٧ مارس ١٩٨٩م

عناصر المشروع

أولا : العناصر المنهجية.

ثانيا : تمهيد .

ثالثا : الاطار العقائدى الاسلامى .

رابعا : المحور السياسى .

خامسا : المحور الاقتصادى .

سادسا : المحور الاجتماعى .

سابعا : المحور الثقافى والحضارى .

ثامنا : السياسة الاعلامية .

تاسعا : الجيش .

عاشرا : السياسة الخارجية .

العناصر المنهجية

الضوابط المنهجية لوضع الخطة العلمية السياسية

١ - الشـــرع .

٢ - العلـــم .

٣ - نفسية الشعب الجزائرى فى المرحلة .

٤ - حيثيات التطبيق وشروط انجازه .

٥ - المعيار السياسى لمراعاة الواجهة السياسية شريطة عدم التعارض مع المعايير السابقة .

الجبهة الاسلامية للانقاذ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون .

ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا .

ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما .

وبعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

مدخل :

من أهم خصائل العمل الاسلامى الهادف الجدية، ولتحقيقها فهو منضبط شرعا وعقلا ومصلحة وواقعا ومراعياً للفطرة البشرية التى يتعامل معها وحتى لانقع فى الضلال والزيغ أو الشطط والتفريط عولجت المحاور الرئيسية للعمل السياسى للجبهة الاسلامية للانقاذ على أساس الضوابط التالية :

١ - الالتزام بالشرع الاسلامى ومنهجه فى العدل والاعتدال والكفاية والشمول حتى يتسنى لنا معالجة جميع القضايا المطروحة وعلى اختلاف اهميتها لقوله تعالى : "ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون".

٢ - توظيف العلم ومعارفه واستخدام منهجيته فى ضبط المسائل وتحديد

المشكلات وتحليلها وكشف الحلول لها وطرق انجازها واستخدام التقنيات وفنياتها لتتوفر لدى المحاور شروط الخبرة والكفاءة من حيث هى شروط لازمة لكل عمل قويم صالح هادف . وكل هذا تحقيقا لقوله تعالى : "ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا" . وقوله تعالى : "وقل رب زدنى علما" .

٣ - ضرورة اعادة الاعتبار الى طموح الشعب الجزائرى المسلم التواق للمعالى ، الراغب فى الخروج من ورطة الاستعمار للتخلص من التخلف بكل اشكاله بفضل ايمانه وقوة قناعته باسلامه وثقته فى ربه عز وجل ذلك الذى يساعده على القفز خارج دائرة التبعية واشكال الاستعمار الحديث ، فلا تكون المحاور الا مجالات لارادته ومهدا لعبقريته ومحكا لتجربته واستمرارا لرسالته ..

وحتى لاتثبط عزيمته تنبسط المراحل ضبطا منهجيا مراعيا نفسية الشعب كى يستعيد ثقته بنفسه فى أشواط تاريخية تحدد مراحلها حسب شروط أو حيثيات القدرة والواقعية والفعالية . وباختصار اننا ننطلق بعون الله وحده من احترام مشاعر شعبنا وطموحاته .

٤ - حفاظا على مشروعنا السياسى من أن يبقى حبرا على ورق ، لابد من استحضار الشروط المنهجية لتطبيق النماذج أو البدائل والحلول باعتبارها خطة عملية سياسية تبقى حافزا لعمل الجبهة الاسلامية للانقاذ باعتباره عملا سياسيا واعيا وجهدا للارادة الكلية للشعب الجزائرى عبر اجياله الى أن يتحقق المراد بعون الله وتوفيقه .

ان الجبهة الاسلامية للانقاذ من خصائص منهجيتها انها لاتعمل فى معزل عن الشعب بل تنطلق دوما من مبدأ العمل معه فى كل خطوة اجرائية تاريخية فتكون المنجزات ثمرة لجهده وجهاده وهو منهج الصحابة - رضى الله عنهم عندما قالوا له - لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ولايتخلف منا أحد .

٥ - التزاما من الجبهة الاسلامية للانقاذ بروابطها السابقة تحدد علاقتها ومواقفها بكل ما بالساحة من الهيئات والجمعيات والمؤسسات فى ضوء الوضوح

المنهجي لرؤياها العقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية في النطاق الاسلامي الشامل والمصالح الكبرى للشعب الجزائري وثوابته ، وذلك حسما للمواقف الارتجالية ومنعا للتصرفات الشخصية وتلافيا للمواقف غير المدروسة الفاقدة للوعي السياسي المطلوب والالتزام بالمنهجية والشرعية من ضوابط الجبهة .

بناء على ذلك يتم ضمان العدل والاعتدال والدقة والشمول لمحاور العمل السياسي للجبهة الاسلامية للانقاذ حسب الترتيب التالي :

أ - الاطار العقائدي :

ان الشعب الجزائري شعب مسلم عريق في إسلامه ويمثل رسالته التاريخية الحضارية ، وبناء على ذلك فإن الاسلام هو النطاق العقائدي والضابط الايديولوجي للعمل السياسي في جميع مجالات الحياة . واذا كانت الأزمة التي تجتاح العالم وتهز الحضارة من اقوى الأدلة على القصور الايديولوجي الذي آلت اليه النظم والأمم ، فإن الاسلام هو النطاق العقائدي الأقوم للمشروع السياسي الذي يقوى على مواجهة الأزمة لقوله تعالى : "ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن" . وقوله تعالى : "ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" . وقوله تعالى : "ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" . وقوله تعالى : "وان احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك" .

ب - المحور السياسي :

السياسة في مفهوم الجبهة الاسلامية للانقاذ هي السياسة الشرعية التي تتمثل في حكمة التدبير وجودة التنسيق وأحكام التوقع ومرونة الحوار للوصول إلى الحق والحقيقة وعدل الالزام واعتدال في المواقف بمنهج الصدق لأنها تقوم على الاقناع بدلا من القهر "قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين" وقوله تعالى : "فذكر إنما أنت مذكر

لست عليهم بمسيطر" . وتتبنى بالاختيار دون الاجبار لقوله تعالى : "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" . وقوله تعالى : "ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" . وتلتزم الشورى تفاديا للاستبداد لقوله تعالى : "وأمرهم شورى بينهم" وقوله : "وشاورهم فى الأمر". ولتجاوز تناقضات سياسة الايديولوجيات المستوردة يعمل البرنامج السياسى للجبهة الاسلامية للانقاذ على تحقيق مايلى :

أولا : للقضاء على الاستبداد تتبنى الشورى ولازالة الاحتكار السياسى والاقتصادى والاجتماعى تتبنى المساواة ومبدأ تكافؤ الفرص السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ولتفادى قمع الحريات العامة تعمل الجبهة على افساح مجالها للعبقرية والارادة الكلية للأمة ، فى جميع مجالات الحياة وتكفلها للناس جميعاً على السواء وللتخلص من سياسة الحظوة والحرمان تعمل على وضع معايير للمسؤوليات وضمان الامانات وأداء المهام فى تشجيع روح العمل الجماعى والقضاء على الأنانية والمحسوبية والنزعات الفردية وكى لاتقع الجبهة فى ذلك تضمن حرية التعبير وتشجع على النقد الذاتى وتحدد طرق المحاسبة الادارية والسياسية والاقتصادية فى كل المؤسسات والنظم وتوعية الشعب واشعاره بالمسؤولية حيال ذلك وتحيى نظام الحسبة الاسلامى وتطبق مبدأ من أين لك هذا فى حدود الشرع .

ثانيا : ولتحقيق ذلك يصير لزاما أو مطلوبا من الجبهة الاسلامية للانقاذ العمل على تصحيح النظام السياسى ابتداء من الميادين التالية .

أ - جعل التشريعات السياسية خاضعة لأحكام الشريعة لقوله تعالى: "أم لهم شركاء ، شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله" وقوله تعالى : "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون" مع مراعاة مستجدات مرحلة التعددية الحزبية ليساهم كل طرف بحقه فى الاصلاح ابتداء من المجلس الوطنى وسائر المجالس الولائية والبلدية حتى يصبح جميعها قائما على الشرعية التى يتبناها الشعب الجزائرى المسلم من خلال قناعاته .

ب - اصلاح الجهاز التنفيذى فى الرئاسة والوزارة والولاية والدائرة والبلدية .

ج - اصلاح المنظومة العسكرية قصد الرقى بها إلى حماية البلاد والعباد من أى خطر يمس بالسيادة أو الحريات والحقوق والواجبات ومصالح الأمة الكبرى .

د - اصلاح السياسة الأمنية حتى تخلو من كل قهر او تعسف وتؤمم لمصلحة الأمة فى ضوء رسالتها وفى نطاق حرياتها ، التى أقرها الشرع وتحديد مهام كل المصالح والمؤسسات لضمان العدل والاستقرار والسلام .

هـ - اصلاح المنظومة الاعلامية ، فتوظف المؤسسات بما تقتضيه رسالتها الثقافية والتربوية وشروط نهضتها الحضارية بوعى سياسى ثقافى حضارى يجنب البلاد التبعية الثقافية ويحفظها من الغزو الثقافى الذى ما زالت هدفا له .

و - اصلاح المنظومة الاقتصادية توزيعا وظيفيا سياسيا واقتصاديا وحضاريا لاعادة النظر فى سياسة الطاقة والمحروقات وتصدير المعادن وسائر الثروات .

ز - اصلاح السياسة التجارية الداخلية والخارجية لوضع حد للاحتكار والربا والرشوة والتبذير والضياع .

ح - اصلاح المنظومة الادارية لتسيير المهام وضمان سير المصالح وكفالة الحقوق وإزالة عقبة البيروقراطية كما يقال .

ط - اعادة النظر فى السياسة الزراعية بكفالة الدعم الفلاحى وضمان العلاقة الوظيفية بينها وبين الصناعة التحويلية لضمان الاكتفاء الذاتى والتصدير المناسبين لكل من السوق الداخلية والخارجية .

ى - اصلاح المنظومة التربوية لوضع حد للفاقد التربوى واستيعاب جميع الاعمار وكفالة حقهم فى الحد الأعلى من جودة التحصيل أو النوعية التربوية التى يطمحون اليها لتجعلهم بحق ورثة حضارة ومساهمين فى حمل الرسالة وعاملين على الاستمرارية نحو الأفضل .

وهكذا باصلاح جميع النظم وهياكلها ومؤسساتها يتم الإصلاح الشامل للنظام السياسى فى نطاق الحل الذى يمثل سياسة التغيير كما تحدده الجبهة الاسلامية

للانقاذ .

ك - اصلاح المنظومة القضائية باعادة الاعتبار الى استقلالية القضاء وحصانة القاضى كما حددته الشريعة الاسلامية لتوفير مناخ العدل الربانى الذى لاتشوبه شائبة الظلم ولاتشينه شائنة الجور من حيث العدل هو أساس السياسة الشرعية ومبرر الحكم وغاية النظام السياسى .

ل - ضمانا لحرية الامة وحق التعبير عن ارادتها بأصح الطرق واسلمها شرعا وشرعية يعاد النظر فى قانون الانتخابات فلا توكل لغير الراشد كالسفيه والصغير وفاقد العدالة الشرعية ولايجبر أحد على الانتخاب سواء فى خدمة عسكرية أو فى وظيفة امنية او ادارية أو غيرها فينتخب جميع الناس بمحض الحرية .

وتحفظ الصناديق بالطرق الشرعية القضائية ولاتوضع الا امام شهود عدول يجمع الناس على أمانتهم وتنظم طرق عد الاصوات وجمعها ونقلها الى الرأى العام الوطنى والعالمى مما يضمن شرعيتها ولايترك سبيل الى الشك فى صحتها وعدم تزييفها بحال من الاحوال وحضور مراقبين ممثلين للهيئات المعنية مع حق الطعن بواسطة القضاء .

بالاضافة إلى تحديد طرق الترشيح العادل الممثل للأمة والمناسب للتعبير عن المشاركة الفعالة فى تسيير امور البلاد باخراج الممثلين الشرعيين فى مختلف المجالس والهيئات التشريعية والتنفيذية والسياسية وغيرها .

ج - منظور السياسة الاقتصادية :

تقوم السياسة الاقتصادية للجبهة الاسلامية للانقاذ على مفهوم يكون بمقتضاه ضمان التجاوب بين الحاجات الاستهلاكية الضرورية وشروط الانتاج والتكامل بين النوعية والكمية ومراعاة نمو الحاجة اليهما فى ضوء النمو السكانى والتطور الحضارى والعمل على تحقيق الاستقلال الاقتصادى ... بالاضافة إلى التوازن بين الصادرات والواردات لحماية البلاد من التضخم والمديونية اللتين أمستا تشكلان اخطر التناقضات التى تواجهنا امام العمل الجاد من أجل تحقيق العيش الكريم

ووضع حد للتبعية الاقتصادية والسياسية والحضارية ولما تعرضت البلاد لفترة طويلة من النهب لثرواتها لمدة قرن من الاستعمار كما تعرضت للضياع في فترة النظم السابقة التي أوقعت البلاد في أزمة اقتصادية تعذر فيها التوازن بين الاستهلاك والانتاج حتى في اكثر الامور ضرورة كالدواء والسكن فزاد الاستهلاك وقل الانتاج وزادت الحاجة إلى استيراد المواد الاستهلاكية والامعان في التبعية الاقتصادية .

ولتعرض البلاد الى سياسة خنق الحريات والقضاء على روح المبادرة بدعوى التخطيط وتأخر الخطط الانمائية وتخلف المنظومة التربوية ، تعرضت لفاقد همش الطاقات البشرية ولانخفاض مستوى التحصيل وسذاجة الخبرات وتعطيل المشاريع الانتاجية ومنع المؤسسات الصناعية الصغرى ، فقلت وظائف الشغل وكثرت البطالة ونمت العطالة مما زاد التضخم استفحالا ، والتناقضات الاقتصادية تفاقما ، وجعل النظام الحالي يفقد القدرة على السيطرة على أوضاع اقتصاد متدهور .

ان سياسة التصنيع التي انطلقت من المركبات الصناعية الكبرى والمصانع التي تعتمد على مواد أولية واصطناعية مستوردة ، وخبرات عالية مستعارة وانتاج غير كاف في جودته وفي وفرته ، جعل هذه السياسة تؤول بالبلاد الى افلاس اقتصادي خطير ، فاذا لم تكن الصناعة مبنية على الاكتفاء الذاتي سواء في التشغيل او الاستهلاك أو التصنيع فإن هذه الصناعة لن تزيدنا الا فقرا وامعانا في التبعية وهو ماجعل الصناعة عندنا عالة على الاقتصاد بعدما كان مبررها كفاية البلاد وتشغيل الطاقات من الشباب والخبرات ... بالاضافة إلى ماسبق سوء التسيير وضياع التسويق .

ان الاستثمار من أهم الوسائل العملية لتطبيق الخطة السياسية الانمائية الشاملة خاصة في شعب يعيش طفرة سكانية جعلت ثلثي السكان شبابا - أقل من ثلاثين سنة - فاذا لم تكن السياسة الاقتصادية قادرة على التكريس المالي في ميزانية الدولة مما يجعل الاستثمار في مستوى الحاجات المستقبلية لاعداد شروط الاستقبال

فى مختلف مستويات مناصب التشغيل والوظائف يصبح الامر من الخطورة مايجعل اجيال الامة تخشى من المستقبل الذى يتهددها بالبطالة والفقر المفضيين الى الهامشية الحضارية .

لهذه الاسباب كلها تتلخص الجهود السياسية الاقتصادية فى المحاور التالية :

١ - وضع سياسة رشيدة للزراعة .

٢ - اعادة النظر فى سياسة التصنيع الحالية كى تصبح ذات مردودية مناسبة للمطلوب .

٣ - اعادة النظر فى التجارة وهياكلها وسياستها الاستهلاكية ونظام التسويق ووسائل التوزيع إلى غير ذلك ...

٤ - اعادة النظر فى السياسة المالية والنقدية لضمان استقلال القرار السياسى سواء فى الداخل أو فى الخارج .

ان الجبهة الاسلامية للانقاذ وهى تنطلق من منطلق اسلامى لانقاذ الانسان والحضارة تعتبر الاقتصاد سواء فى انتاجه أو استهلاكه وسواء فى استثماره الاستهلاكى أو الحضارى الاشمل ، ماهى الا عامل من عوامل خدمة الانسان والرقى به إلى مايطمح اليه من سعادة فى الدارين ، ومكانة وظيفية تاريخية وحضارية، من هذا المنطلق العقائدى والايديولوجى الاقتصادى تعالج المحاور التالية فى نموذج اقتصادى اسلامى فى جميع مجالات الحياة كالزراعة والصناعة والتجارة والسياسة المالية والخطة الانمائية الشاملة ...

١ - الزراعة :

الزراعة من أهم موارد البلاد وذلك لما منحها الله من سعة فى المساحة واعتدال فى المناخ وتنوع فى التضاريس .. بالاضافة إلى ان الجزائرى بطبعه مرتبط بأرضه ارتباطا نفسيا وعضويا جعله من أنجح الفلاحين انتاجا نوعا وكما مما در على البلاد أرزاقا طائلة جعلها تعرف بالتصدير لأشهر الاسواق العالمية استهلاكا . هذا بالنسبة لما تم اصلاحه واستغلاله فى الشريط الشمالى وفى عمق الهضاب العليا من

الأراضي الخصبة . أما الهضاب العليا والاراضي الصحراوية الصالحة للزراعة التي لم تستصلح بعد لافتقارها الى سياسة واعية للري جعل البلاد لاتستغل كميات الامطار التي ادرها الله على البلاد مما جعل المياه الجوفية لم تستخرج والأودية والأنهار تهدر فتكب في الشطوط في عمق الصحراء وفي البحر من الناحية الشمالية .

ان السياسة الزراعية التي أخلت الاراضي من فلاحيها وضيعت الوقت على الأمة والبلاد بعدم انجاز السدود وتحويل الثروة المائية إلى الأراضي التي تطلبها ، ورط البلاد في تخلف زراعي لم تعرفه في تاريخها القديم والحديث .

ان المعطيات الطبيعية المذكورة آنفا تتوقف ثروتها على سياسة رشيدة تعد المشاريع الكبرى لأحسن استفادة بالمياه وأجود استغلال للأراضي وذلك باصلاحها حسب الطرق العلمية والتقنيات ذات الكفاءات والفعاليات التي قد تجعل الصحراء ترتوي بأمطار الشمال وتجعل اسواق الشمال تغني بغلال الصحراء . فاذا تكاملت الطبيعة في تنوعها ، كيف لاتتكامل السياسة في انتاجها وفق الحاجات الاستهلاكية والاسواق العالمية ، فعندما تتوفر الجودة للمنتوج الزراعي تقوى الحظوظ للتفوق في الأسواق العالمية للمنتوج الزراعي .

وتتلخص الجهود السياسية الزراعية للجبهة الاسلامية للانقاذ في الإجراءات التالية بعون الله وتوفيقه :

١ - تصاغ السياسة الزراعية في السياسة الشرعية العادلة لوضع حد لأخذ الأرض غصبا من اصحابها وعملية توزيعها بالطرق الاقطاعية لقوله عليه الصلاة والسلام : "من ظلم شبرا من الأرض طوقه الله من سبع اراضين" رواه البخاري ومسلم عن عائشة .

ب - جدية استصلاح الأراضي بالطرق الفنية التكنولوجية وتوزيعها على ذوي الاستحقاق بشرعية خالية من المحسوبية والحظوة وسائر حالات التعسف والظلم أي أن يكون توزيع الاراضي عدلا وفق المعايير التي تحدد بعد في نطاق الشرع .

ج - العناية بتربية المواشى حيث تستغنى البلاد فى اقرب وقت ممكن عن استيراد اللحوم والالبان ومشتقاتها .

د- اعادة النظر فى سياسة التوزيع والتسويق فى الداخل والخارج .

هـ - تدعيم الزراعة والصناعة التحويلية وتشجيع المركبات الانتاجية الصغرى والمتوسطة حسب حاجات الزراعة كى لايتعرض منتوجها الى اتلاف .

و - انشاء المخازن الكبرى لخزن المنتوجات الزراعية احتياطا وتحسبا للأزمات والحروب والعاهات .

ز - وضع خطة زراعية ضامنة للمصالح حتى لاتكون الحاجات الآجلة على حساب العاجلة ولا العكس .

ان السياسة التى لا تأخذ بعين الاعتبار سنين القحط فى سنين الرخاء سياسة عمياء ليس لها من الحكمة شئ قال الله تعالى : "تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون" .

ح - انشاء مراكز للبحوث العلمية الزراعية فى مزارع نموذجية لتطوير علم الزراعة وتقنياتها .

ط - ارجاعا لثقة الجزائرى بنفسه ومساعدة له على رفع مستواه فى الخبرة تصلح المؤسسات التربوية الزراعية وفق حاجات البلاد الى أرقى الخبرات التقنية والزراعية ، وفى حالة ما إذا كانت وسائل الاستقبال غير كافية تدعم وتثرى وتساند بما يكون محققا للمراد .

ي - وضع خطة صناعية زراعية لتطوير العتاد الزراعى حتى تكون الزراعة فى بلادنا فى مستوى التطور العلمى والتكنولوجى للبلدان التى تنافسنا فى الأسواق العالمية باعتبار أن نوعية الانتاج مرتبطة بنوعية التقنية ومستوى تفوقها . مع ضرورة تلبية الحاجات الوطنية المحلية بدلا من تسويقها فى الخارج فلا تكون التجارة على حساب الزراعة .

هذا وان الجبهة الاسلامية للانقاذ اذ تحدد العوامل الاساسية المؤثرة فى الميدان

الزراعى سلبا او ايجابا فذلكم فقط فى مجال عالم الأسباب وهى تدرك أن توبة الشعب الجزائرى التى تجسدها هذه الروح التى انطلقت من اعماق ضميره فى شوق الى العودة للاسلام فإن الله سبحانه وتعالى قادر بذلك أن يدر علينا خيراته وأنعمه وأفضاله لقوله تعالى : "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض" وقوله تعالى : "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" . على أن ذلك لا يبرر الاتكالية وعدم الجد فى توفير الاسباب لقوله عليه الصلاة والسلام : "اعقلها ثم توكل" .

٢ - الصناعة :

فى بلد يطمح شعبه الى وضع حد للتبعية ويأمر دينه باعداد العدة من القوة المطلوبة على مستوى الفعالية الحضارية الكونية لقوله تعالى : "وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة" تعتبر الصناعة من الشروط الضرورية للنهضة الحضارية .

غير أن الصناعة فى منظور الجبهة الاسلامية للانقاذ على أهميتها لا تكون على حساب الزراعة كما حصل بالماضى ، بل بالعكس تعمل على مساندتها والتكامل معها ، ولاتكون على حساب الانسان المسلم فى قيمته وقيمه ونفسيته ومكانته كالذى يحدث فى البلدان الرأسمالية فى أمريكا وغيرها او الذى يحدث فى البلدان الشيوعية كروسيا ومن على شاكلتها ، وانما هى صناعة للانسان الصانع أداتية حضارية كونية ذات فعالية سواء أكانت للمجالات السلمية أو للضروريات العسكرية لحماية حمى أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وحماية الحق والحريات فى العالم .

وتتلخص السياسة الصناعية فى المحاور التالية :

١ - جعل الصناعة فى الجزائر تتكامل فيها قوى الانتاج الصناعية وغيرها .

٢ - لمواجهة مشكلات البطالة ضرورة الاكثار من مناصب الشغل ، عن طريق تشجيع المعامل الصغرى والمتوسطة ، على أن توظف هذه المراكز فى ضوء حاجات

البلاد الاستهلاكية الى حد الكفاية دون أن تفتقر إلى المواد الأولية الأجنبية ، التى تتعارض مع مبدأ الاستقلالية الاقتصادية أو بمعنى آخر تكوين صناعة متكاملة في انتاجها وتصنيعها ، على أن لاتكون على حساب النوعية .

٣ - تشجيع التنوع الوظيفى للهياكل الصناعية والمؤسسات لجعل الصناعة عندنا قادرة على الاكتفاء الذاتى فيشغل بعضها بعضا فى سلسلة محكمة حلقاتها ، منسقة وظائفها متوازنة انتاجيتها ، متجاوبة أدواتها بالقدر الذى يكفى البلاد مؤونة الحاجة الى الخارج .

٤ - انماء الخبرات التكنولوجية برفع مستويات المؤسسات التربوية الصناعية من معاهد وجامعات ومراكز بحوث حتى تلبى حاجة البلاد إلى النهضة الصناعية .

٥ - مراعاة حاجة ثروات البلاد الطبيعية الى صناعة مصنعة متكيفة مع مستجدات التطور الصناعى والتكنولوجى الذى تشهده الحضارة على مستوى السباق سواء فى التسلح أو فى التسويق أو فى الاستهلاك .

٦ - انشاء معامل نموذجية للبحوث العلمية والتكنولوجية تعمل على اعداد ذوى الكفاءات العليا والعبقريات المتفوقة من العلماء والتقنيين وذوى التخصصات الدقيقة سواء فى العلم أو فى التكنولوجيا خاصة فى علوم الصناعة أو مالها علاقة بها كالفيزياء والرياضيات والكيمياء ومختلف أشكال الهندسات المعمارية والفضائية وتشجيع الذكاء والعبقرية والميول والقدرات على التفوق والابداع .

٧ - واذا كان تسيير المؤسسات من أهم عوامل ازدهار الصناعة فإن منهجيته الاسلامية تقضى بأن تسوده روح الجماعة عن طريق الشورى والاحترام المتبادل والشعور بالمسؤولية من طرف جميع العاملين فى المؤسسة وفقا لقوله عليه الصلاة والسلام : "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" .

٨ - ضرورة اعادة الاعتبار الى العامل ومراعاة نفسيته وكفالة حقوقه وتوفير الشروط النفسية والصحية والامنية والنقل والترقية والتعويضات والتشجيعات والسكن وسائر متطلبات الحياة الكريمة لقوله عليه الصلاة والسلام: "اعطوا الأجير

حقه قبل أن يجف عرقه". وكذلك قوله: "من أمسى كالا من عمله أمسى مغفورا له".

٩ - اعادة النظر فى سياسة الجمارك فى ضوء تحقيق وحدة المغرب العربى وتشجيع انشاء سوق عربية واسلامية مشتركة لنخرج من الحصار الجمركى التقليدى الذى صار عائقا لضرورة التبادل الوظيفى للمنتوج الزراعى والصناعى وتبادل المصالح وتكامل الثروات والامكانات والطاقات البشرية والطبيعية على مستوى اوسع عبر البلاد الاسلامية وللتخلص من المضايقات التى تفرضهاعلينا الدول المنتجة الثرية كالذى حدث لليبيا بسبب الموقف الامريكى والذى حدث لقبرص التركية وللبترول الايرانى ، وهو مايثبت ضرورة التكامل الاقتصادى سواء فى الانتاج أو فى الاستهلاك على مستوى اوسع مغاربى وعربى واسلامى دون أن نغفل التفتح على جيراننا الافارقة لتعميق سياسة الوحدة الافريقية .

١٠ - انشاء مؤسسات ادارية ذات الاعتمادات المالية لرعاية المبادرات الصناعية للبحث والاكتشاف والتجديد والتطوير فى مختلف ميادين الصناعة والتكنولوجيا مع تسهيل التعامل سواء فى الداخل أو فى الخارج ، وذلك برفع الحواجز الجمركية أمام هذه المبادرات وتخفيف أو اعفاء المشاريع من هذا النوع من الضرائب غير المباشرة.

١١ - اعادة النظر فى سياسة الملكية العامة للحفاظ عليها من الوقوع فى يد الاجنبى او ذوى الحظوة لقوله تعالى فى شأن المال : "كى لايكون دولة بين الاغنياء منكم" .

١٢ - وضع معايير تحدد مجالات تدخل الدولة فى الملكية الصناعية وحماية مبادرات القطاع الخاص على أن لايتحول هذا الاخير الى محتكر أو يتعدى حدود المصلحة العامة فيصير طفيليا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

١٣ - وضع معايير لحماية الجودة وحق المستهلك .

هذا وان الجبهة الاسلامية للانقاذ على ضوء هذه السياسة ستعمل دوما بعون

الله وتوفيقه على مراقبة وتجديد هذه السياسة وفق المستجدات ومطالب الصيرورة الانتاجية والاستهلاكية لمعرفة مدى ماتحقق من الأهداف والمقاصد والحاجات ضمن سياستها الاسلامية الشرعية الشاملة حتى تكون الصناعة متجاوبة مع غيرها من المحاور المكونة للبرنامج السياسى المتكامل ، واكتشاف المعوقات والموانع التى تظهر فى الميدان عند التطبيق قصد معالجتها وتحقيق الخطة الانمائية الشاملة فى اوانها ومكانها بالدقة العلمية السياسية الشرعية التى تنهجها الجبهة .

٣ - التجـــارة:

التجارة كما تتصورها الجبهة الاسلامية للانقاذ هى شرايين الاقتصاد فيها يوظف الانتاج وعن طريقها توجه الثروات وبواسطتها تتكامل المصالح وبفضلها يكون التوازن المفضى الى تحديد القيم المادية فى نطاق الشريعة الاسلامية والمصالح المتبادلة فلا تكون مصلحة المنتج على حساب المستهلك كما لايكون العكس ويكون ربح البائع على الزبون ولا يصح العكس أيضا لقوله تعالى : "ولاتبخسوا الناس أشياءهم" . ولقوله عليه الصلاة والسلام : "لاضرر ولاضرار" . ولتحقيق هذه المقاصد تنضبط التجارة حسب سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ وفق الطرق التالية :

أولا : اصلاح المنظومة التجارية بازالة الاحتكار والربا والوسطاء وجميع اشكال الطفيليات الاقتصادية كالغش واخسار الميزان وبيع الغرر ... لقوله عليه الصلاة والسلام : "من غشنا فليس منا" .

ثانيا : اعادة تنظيم التوزيع والعمل على تحقيق لا مركزية المؤسسات .

ثالثا : تغيير سياسة التسويق لتحقيق اللامركزية وازالة السوق السوداء وتشجيع التنافس والوفرة ، وتيسير او توفير حاجات الطلب الضرورية واعطاء الأولوية للسوق الداخلية عن الأسواق الخارجية فى توزيع المنتجات الوطنية .

رابعا : اعادة النظر فى سياسة التسعير لمقاومة الغلاء والتضخم وفقا للقاعدة . لاضرر ولاضرار .

خامسا : التوفيق بين البيع والشراء . ويتم حسب ماتنص عليه الشريعة

الاسلامية لضمان المصالح وصيانة القيم .

سادسا : اعادة الاعتبار الى نظام المساهمة وتشجيع ظهور الشركات التجارية الحرة لتنشيط الاقتصاد وتيسير طرق التوزيع وتحقيق الوفرة .

سابعا : اعادة الاعتبار الى الضوابط الشرعية والمنهجية الفقهية فى ابرام العقود التجارية وتنظيم الشركات وضبط المعاملات فى كل المستويات للحفاظ على المصالح وتأمين الحقوق المبررة للواجبات .

ثامنا : ايجاد المؤسسات الاعلامية الاقتصادية والتجارية لمساعدة التجار والمنتجين والمستهلكين على التعرف على البضائع والمواد الاستهلاكية ومراكز توزيعها وطرق الحصول عليها قصد تسهيل التبادل التجارى بين المستهلك والمنتج حتى يجد كل انسان حاجته على قدر مستواه وكفايته .

تاسعا : وضع جهاز استقبال ادارى تقنى اقتصادى للاشراف على هذه المؤسسات.

عاشرا : وضع سياسة التجارة الخارجية بناء على متطلبات استقلالية الاقتصاد وحمايته بالشروط التالية :

أ - ضبط التعامل التجارى الخارجى وفق الحاجة والوفرة فى الداخل حتى لا يكون التسويق الخارجى على حساب السوق الداخلية أو المنتج أو المستهلك .

ب - منع احتكار التجارة الا فى حالات استثنائية تكون الدولة ملزمة بذلك لضمان المصالح الكبرى السياسية والاقتصادية وغيرها .

ج - ضرورة مراعاة التدرج فى تحقيق حرية التبادل التجارى للمحافظة على الميزان الاقتصادى الضرورى الذى يكون بين حجم الصادرات والمستوردات وأن تعطى الاولوية فى المراحل المبكرة من هذه السياسة الى المواد المصنعة والضرورية صحيا ومعرفيا لفك الحصار عن عبقرية الأمة وارادتها للمساهمة فى الحظوظ الحضارية والجهود الرسالية لتؤدى مهمتها حيال الانسانية . والعمل على اقرار السلم بالمفهوم الاسلامى والعدل ومناصرة الشعوب الضعيفة والامم المتضررة بالسياسة

الاستعمارية والتخفيف من وطأة التبعية والتخلف والفقر والجوع والمرض والجهل والضلال وان استلزم ذلكم سياسة الكفاف .

د - يخضع ميزان الصادرات والواردات إلى معيار الخطة الانمائية الحضارية البعيدة المدى كي لاتحول الموارد الأولية الصناعية الحضارية كالطاقة والمعادن الى مواد استهلاكية آنية مما يجعل سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ تنصف الاحفاد وتراعى حاجتهم لزمانهم مما يجعل النهضة الاقتصادية والحضارية ذات النفس الطويل عبر الاجيال فى المستقبل .

هـ - وضع ميزان بين الصادرات والواردات من نفس النوع لحماية المنتوج الوطنى مع مراعاة ضمان الجودة وان يؤدى ذلك الى دعم الدولة للمنتوج المحلى .

و - يعتبر المنتوج المصدر للخارج من أهم الميادين التى تتبلور فيها ارادة الشعب الجزائرى لفرض وجوده بجهده واجتهاده لكسب الثقة بالجودة مع الاعتدال فى الاسعار حسب مقتضيات السوق العالمية المبنية على التنافس .

ز - ضرورة اعادة النظر فى العلاقات مع الصندوق النقدى الدولى وسائر الهيئات المالية والتجارية المتورطة فى الأزمة الحالية واثارة مشكلة المديونية فى ضوء المستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تطرحها سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ .

ومن ثم فالسياسة التجارية للجبهة الاسلامية للانقاذ تكون مكملة ومتكاملة مع سياستها الزراعية والصناعية فى نطاق اقتصاد محقق للاستقلال والوفرة والنماء والتجاوب مع متطلبات النمو الاجتماعى والثقافى والحضارى .

٤ - المالية :

تشكل السياسة النقدية اخطر العوامل التى تساعد على التحكم المنهجى فى الاقتصاد قصد حماية الثروات من الضياع لضمان النمو والازدهار كمقصدين من مقاصد السياسة الاقتصادية للجبهة الاسلامية للانقاذ ولذلك تنضبط السياسة النقدية للجبهة الاسلامية حسب الطرق التالية :

أ - اعادة النظر فى القيمة النقدية لاعطائها قيمتها الحقيقية الموحدة سواء فى الخارج أو الداخل حسب الشروط المالية وحيثيات التبادل التجارى بين الصادرات والواردات مما يشكل الحوافز الحقيقية للانتاج على أن ذلك يخضع الى التحديدات الشرعية الاسلامية للسياسة النقدية .

ب - اعادة النظر فى تسعير العملة داخليا وخارجيا لحماية القدرة الشرائية لدى المواطن فى الداخل والخارج او تقوية الحافز لجهد المنتج وحماية القيم الاقتصادية .

ولضمان القرار السياسى سواء فى الداخل او الخارج ، تعتمد ميزانية الدولة على المصادر التالية :

١ - الثروات الطبيعية .

٢ - المنتوج الزراعى والصناعى والتجارى والاعتماد على توفير شروط الاكتفاء الذاتى وعدم الاتكالية على الغير مع ضرورة ضمان العدل .

وبناء على ذلك يعاد النظر فيما يلى :

أ - سياسة الضرائب الجمركية .

ب - اعتبار الزكاة والأوقاف من الموارد الشرعية للدولة ما التزمت الدولة بالسياسة الشرعية .

ج - وفى حالات التأزم الاقتصادى أو الاجتماعى يكون صندوق التكافل الاجتماعى والقرض الشرعى . ان الدولة التى تستلف من مواطنيها لعدلها خير من تلك التى تغتصب اموالهم أو تعتمد على اسلوب التضخم أو المديونية الخارجية .

د - تشجيع الجزائريين وسائر المسلمين من ذوى الثروة فى الخارج بما فى ذلكم المهاجرين على وضع أموالهم فى صالح تحريك الاقتصاد الوطنى ليحقق الكفاية المطلوبة وهو من ضروب الجهاد بالمال وذلك سواء عن طريق القرض أو عن طريق التبرع او الاستثمار على أن الدولة تلتزم بجميع الضمانات للحفاظ على ارزاق الناس .

هـ - اعادة النظر فى سياسة البنوك قصد ضمان ثروات الدولة وأرزاق المواطنين

وسائر المساهمين فى اثراء البلاد عن طريق الاستثمار لضمان حرية القرار السياسى سواء فى الداخل أو فى الخارج.

و - انشاء بنوك اسلامية وصناديق للقرض والتوفير الخالية من الربا بكل اشكاله الضامنة للمصالح العاملة على ضمان روح التكافل والتعاون والرقى الاجتماعى والنمو الاقتصادى . وبناء على ذلك تحدد فى كل سنة ميزانية الدولة حسب الحاجات العاجلة والآجلة ، بميزان يضمن التحسن التدريجى والنمو الاقتصادى بالسرعة المطلوبة حسب حيثيات المستجدات السياسية والأحداث التاريخية سوا فى الداخل أو فى الخارج ، على أن سياسة الميزانية تلتزم بأن تصرف المالية حسب سلم الأولويات الذى يحدد حسب المستجدات باستثناء الزكاة التى تصرف لما حدده الشارع الحكيم لها .

ز - تعديل وسيلة الجباية التى صارت فوق مستوى طاقة المواطنين وصارت عاملا من عوامل الغلاء الفاحش والتضخم وسياسة نهب المواطن واغتصاب ماله باسم القانون والمصلحة العامة وكأن المصلحة العامة فى اضرار المواطن وتكليفه ما لايطيق فلابد من وضع حد لهذا التعسف لدفع عجلة النماء العادل .

السياسة الاجتماعية :

تنطلق السياسة الاجتماعية للجبهة الاسلامية للانقاذ من مبدأ تكريم الانسان الذى ورد فى قوله تعالى : "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" ، وذلك بدءا بكفالة الحقوق والحريات التى كفلها الشرع الحكيم المحققة لنموذج خير أمة أخرجت للناس بالتساوى لجميع الناس باعتباره النموذج القائم على التكافل الاجتماعى المانع للصراع الطبقى والطائفى .

ومن ثم فإن السياسة الاجتماعية للجبهة الاسلامية للانقاذ تتمحور فى العناصر التالية :

أ - حق الوجود:

من ابعاد التكريم الربانى للانسان ان جعل وجوده نعمة واتخذ مهمته مبررا لوجوده ، فقال تعالى : "وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" . فبرر الله الوجود بالعبادة ولم يبرره بالكسب الذى اعتبرته النظريات الحديثة ، ابتداء من مالتوس إلى ماركس عالة على الاقتصاد وطفيليا فى الكون . كما أبرز التكريم فى علاقته بربه أكثر من علاقته بالأكوان التى سخرها له فقال تعالى : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" .

وإذا كان الانسان - بحكم التكريم - هو محور الكون بفضل فعاليته فان هذه الفعالية ليست بالفعالية الحيوانية التى لاتتجاوز حدود الاستهلاك بل هى فعالية كونية تتجاوز الحاجات الفردية والجماعية الآنية إلى الابعاد الحضارية من حيث هو - أى الانسان - يصير صانعا للحضارة وليس ابدا عالة عليها . ولذلك فان مارفع من شعارات لتحديد النسل ماهو إلا مس بكرامة الانسان وهدر لقيمته واستلاب لاستحقاقه للمكانة الأولية فى الكون، يقول تعالى : "ولاتقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم" . على أن الأمة مطالبة بكفالة الرعاية والعناية لجميع المواليد بالتساوى فى حظوظها ويعد الحرمان من ذلك مسا بقيمة الوجود .

ب - حق الرعاية والعناية:

ان حق الرعاية والعناية فى جميع مراحل النمو من النطفة الى آخر مراحل الرشد والاكتمال وأرقى مستويات التحصيل مرتبط بقيمة الوجود باعتباره وجود رسالى تاريخى حضارى . ومن ثم فان الحق فى التربية حق شرعى يتضمن الواجب الذى يخول المسؤولية التربوية لكل من الام والطفل المعنى بالتربية ولذلك فهى حق وواجب فى آن واحد لقوله تعالى : "اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق" . فربط النص الشرعى بين حق الايجاد وحق التعليم لمضمون الرسالة اشارة الى ان الرسالة من مبررات الخلق وان التعلم المحقق لجدارة حمل الرسالة واجب بحكم

ان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب .

ولذلك فان سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ تقوم على مبدأ كفالة هذا الحق للجميع بمقتضى مبدأ المساواة فى الاسلام وهو مايتطلب الشروط الاصلاحية التالية للمنظومة التربوية ابتداء من السياسة التعليمية السائدة الآن المتورطة فى كل اوضاع الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية ...

١ - السياسة التعليمية :

أ - اذا كانت السياسة التعليمية جزءا من سياسة الدولة عامة ، واذا كانت السياسة التى تنتهجها الجبهة الاسلامية هى السياسة الشرعية فإن السياسة التربوية ملزمة بكل ما ألزمتها مقاصد الشريعة الاسلامية ، من ضرورة كفالة حق التربية لجميع من فى الوطن دون تمييز عنصرى او طائفى أو عرقى أو دينى أو نوعى.

ب - اعتبار التربية كما هى حق للفرد ، هى حق للأمة بضرورة مراعاة جميع مصالحها .

جـ - تحدد ميزانية التربية فى نطاق ضمان العدل والنوعية معا .

٢ - ميزانية الدولة للتربية:

تحدد لتحقيق التوازن بين الحاجة التربوية وبين التمويل باعتبار التربية من أهم ميادين الاستثمار .

٣ - التوجيه التربوى:

يتقيد بالقيم التالية :

أ - الميول والخبرات للحصول على أرقى الكفاءات .

ب - القيم الاسلامية كعدم الاختلاط ونظام الآداب والمعاملات الاجتماعية التى ينبغى أن تكون وفق الضوابط الشرعية .

جـ - مراعاة التوظيف على مستوى الكسب وعلى مستوى المهمة الرسالية والحضارية كمجال لمساهمة الجيل المعد لذلك ومواجهة البطالة وتغطية الوظائف المختلفة المستويات فى التعقيد التكنولوجى الوظيفى .

د - ضبط سياسة الامتحانات حسب هذه المعايير كلها للتخفيف من الفاقد التربوى وعطالة الخريجين بعد انهاء مرحلتى التربية والتكوين . ولتلافى ما حصل تمنح فرص جديدة للمتواجدين فى الشارع والذين طردوا من المعاهد التربوية إن بواسطة الامتحان وان بغيره قصد كسبهم للمشروع الاقتصادى والرسالى الحضارى الذى أعد لهم وذلك باعداد مؤسسات خاصة لهم من ثانويات وجامعات شعبية استدراكية قصد ضمان ترقيتهم الاجتماعية .

٤ - المحتوى التربوى أو المنهج :

أ - يعاد النظر فى المحتويات التربوية فى نطاق حاجة البلاد الى النهضة الشاملة وذلك عن طريق ضمان التوعية التربوية المطلوبة فى كل المستويات وجميع التخصصات.

ب - اعادة النظر فى المحتوى التربوى من أجل تصفيته من الايديولوجيات الغازية والمفاهيم التى تحمل قيما تتعارض وقيم الأمة الاسلامية وذلك لصيانة الشخصية وتحقيق الأصالة وتشجيع روح الابداع .

جـ - اعادة النظر فى الطرق التربوية الشائعة عندنا والتى تعمق هوة التقليد الاعمى مما جعل جامعاتنا تستهلك المعارف بدلا من ان تنتجها وصارت تكون المتعلمين بدلا من العلماء العارفين . واعطاء الصبغة الاسلامية للتخصصات التكنولوجية مع ضمان اعلى المستويات التربوية للخبرة التكنولوجية لتجنيب البلاد الحاجة إلى الخبرات الاجنبية .

٥ - إعداد المعلمين :

اعادة النظر فى وضع المؤسسات التربوية باعداد المعلمين لمختلف المستويات التعليمية وذلك لضمان اعلى المستويات فى الخبرة وأرقى النماذج فى المسلكية باعتبار المعلم والمربى قدوة ليس فقط لتلاميذه بل للأمة بأكملها . وذلك يعنى اعادة الاعتبار الى رسالة المربى وقيمته ومكانته فى الامة الاسلامية اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم مع ضرورة رد الاعتبار المادى ليتكافأ مع الواجبات الجسام المطلوبة منه فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الامة باعتبار أن الواجب يكمن مبرره فى الحقوق . فكلما زاد الطلب النزعى فى المهمة زاد حق مردودها المادى والمعنوى

على صاحبها .

٦ - النظام الاجتماعى فى المؤسسات التربوية :

أ - يعد النظام الاجتماعى فى المؤسسة التربوية من أهم الشروط التربوية لتكوين شخصية التلميذ والطالب بحيث يكون المجتمع التربوى نموذجا سليما ممثلا للأمة .

ب - ضرورة توفير الشروط النفسية والمادية والاجتماعية فى الحياة التربوية داخل المؤسسة مما يجعل الشخصية الاسلامية تنمو فى شكل متكامل شامل، صحيا ونفسيا وعقليا وثقافيا واجتماعيا واخلاقيا .

٧ - السلم التعليمى من الحضانة الى مابعد الجامعة :

اعادة النظر فى السلم التعليمى من المدرسة الى الجامعة فى ضوء المستجدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وجعل الانتقال من مرحلة الى أخرى خاضعا إلى الشروط التربوية لاغير. مع تعريب كل المراحل الجامعية التى لم يتم بعد تعريبها .

٨ - مرحلة الالزام:

رفع مرحلة الالزام الى التعليم الثانوى .

٩ - الوسائل التعليمية :

اعادة النظر فى الكتب المدرسية بناء على مقاصد الشريعة ومتطلبات التربية الاسلامية .

١٠ - المنظومة التربوية الرياضية :

اعادة النظر فى السياسة التربوية الرياضية بحيث تصير وسيلة لنمو الجسم والرعاية النفسية والاخلاقية مع مراعاة أحكام الشريعة الاسلامية .

١١ - التربية الاعلامية :

اعادة النظر فى جميع برامجها ومقاصدها كى تتحول من وسيلة غزو فكرى ثقافى الى وسيلة مناعة ثقافية وقناعة ايمانية وجدارة فنية تتبلور فيها عبقرية الأجيال وقدرتها على الابداع والتفوق .

١٢ - سياسة المنح في الداخل والخارج :

تضبط سياسة المنح بحيث تكون لمن هو أكثر استحقاقا سواء في الجدارة او في الحاجة .

١٣ - النظام الاداري لسياسة تسيير المؤسسات في كل المستويات :

يعاد النظر في سياسة التسيير الاداري بحيث يكون ثمة اعتدال في المركزية واللامركزية على أن تعتمد الروح الجماعية ويجمع بين المعاهد التربوية والادارية مما ييسر مهمة المعلم والمتعلم معا ويخدم مصلحة البلاد .

١٤ - سياسة التوظيف في الميدان والتسيير والبحث :

يعاد النظر في سياسة التوظيف في الحقل التربوي سواء في التسيير أو الممارسة الميدانية للعملية التربوية والبحث لتحقيق النوعية .

جـ - حق الانتخاب والترشيح والمشاركة في التسيير :

ان الاسلام دين الحرية باعتبار هذه الأخيرة تقوم على المسؤولية من حيث هي تعبير عن الارادة الخيرة الواعية القائمة على القناعة الايمانية والمناعة الاخلاقية الوجدانية من ذلكم قوله تعالى : "فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله" وقوله صلى الله عليه وسلم : "كل مولود يولد على الفطرة" وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا". فالانسان بناء على هذا المنظور العميق الاسلامي للانسان يجعل هذا الأخير مسؤولا وبمقتضى هذه المسؤولية يستحق الحقوق التالية :

١ - حقه في الانتخاب أو اختيار القيادة .

٢ - ان حقه في الانتخاب يخوله حقا للترشيح مادام قد توفرت فيه الشروط التالية : الاسلام - العدالة - القدوة - الكفاءة أو الجدارة - الميول الشخصية والاستعدادات النفسية والحيثيات الموضوعية التي تتطلبها المستجدات .

٣ - حقه في التسيير وهو تولي المسؤوليات الادارية والمهنية وهي تقوم على التقوى والجدارة والمسلكية لاغير . فبموجب ذلك يكون الموظف أو المعين للمسؤوليات مسؤولا امام الله ومسؤولا امام الأمة ومسؤولا أمام المصلحة التي يشرف عليها أو يكون عنصرا مسيرا منها وذلك حتى لا تضيع الامانات بضياع

المسئولية قال تعالى : "إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها" . وقال عليه الصلاة والسلام : "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" .

٤ - توفر الثقة بموجب اشتمال الشخصية المسؤولة على الصفات السابقة الذكر . والثقة هنا بمعناها الشرعى والأخلاقى المهنى والسياسى .

د - افساح المجال للمبادرة :

لتكون الأمة فى مستوى مواجهة المستجدات السياسية والاقتصادية ، الثقافية والحضارية ، لابد من فك القيود التى قضت على روح المبادرة فى شعبنا العصامى الذى كاد يحال إلى اتكالية خطيرة لابد من الحريات التى تفسح المجال أمام المبادرات الانتاجية الابداعية فى جميع مجالات الحياة وهو شرط نفسى تفرضه طبيعة المرحلة لتأهيل الأجيال المقبلة للمهام الكبرى التى تنتظرها على مستوى الرسالة والحضارة والتاريخ .

هـ - ضمان الأمن على الدين وعلى النفس والعقل والعرض والمال :

ان الاسلام من مقاصد شريعته ضمان المصالح ومن ضرورياتها كفل الاسلام الضرورات الخمس والتى لايكون الانسان إنسانا الا بها وهى :

١ - كفالة الدين . ٢ - النفس .
٣ - العقل . ٤ - العرض .
٥ - المال .

فكفالة هذه الضرورات توفر شرطا نفسيا لايكون الاستقرار الا به .

و - اصلاح الاسرة الجزائرية فى نطاق الشريعة الاسلامية :

اعتنى الاسلام بالأسرة عناية لم يعرفها دين ولا فلسفة ولانظام لاقديما ولا حديثا وذلكم لخطورة وظيفتها فى الأمة ونجمل هذه العناية فيما يلى :

١ - الرعاية والعناية بالطفل الى سن الرشد .

٢ - ضمان التكافل الاجتماعى الى حد الايثار .

٣ - ضمان التماسك الإجتماعى بواسطة الأسرة وإذ اشتملت الأسرة على هذه الخصائص وأدت هذه المهام فى مختلف العهود والعصور منذ عهد الرسول صلى الله

عليه وسلم إلى اليوم فان ذلك ليعد من أهم نتائج اهتمام الشرع بها ولئن تعرضت الاسرة إلى التضرر من جراء ظروف الاستعمار بشكليه القديم والحديث فانها لم تستسلم لسياسته وبفضلها استطاع الشعب الجزائرى أن يواجه فى غياب الدولة وان يثور فى وجه الاعداء . ونتيجة لما تعرضت له الاسرة من سياسة التعذيب والإنحلال والفقر والجهل فان اصلاحها ليعد من أوسع ميادين سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ ولذلك فهى تقترح ازالة العقبات التالية :

أ - توفير الشغل لأصحاب الأسر لايقاف الهجرة التى اتخذت سبيلا لتفكك الاسرة.

ب - إعادة النظر فى سياسة الاسكان لتوفير المسكن الكريم لبيت الزوجية منعا للتشرد وسائر آفات غياب السكن التى عرفته البلاد بحظر البناء وتعطيل المجتمع من تشييد عمرانه وفق حاجاته الآنية والمستقبلية التى تمليها ضرورة نموه السكانى فى مرحلة النمو الشامل .

جـ - العناية بالمهاجرين وتيسير عودتهم الى بلادهم وذلك بتوفير ما جعلهم يلجأون الى الغربة ويتجرعون مرارتها وغصة آلامها ووحشة البعد عن الوطن .

د - العناية بالأم ، خاصة التى ترعى الاطفال . تسعف - فى حالة الضرورة - بمساعدة توظف لذلك وتعطى منحة للأمومة حيث يعتبر عملها البيتى وظيفة اجتماعية وتربوية تتقاضى عليها جراية بنفس المستوى الذى يتقاضاه العامل فى المعمل او الحقل او غيرهما مع مراعاة مستوى الخبرة والكفاءة والجدارة بالنسبة الى التربية البيتية . ويقوم بمهمة التوظيف والاشراف والتوزيع للموظفات جهاز من التكافل الاجتماعى يضمن جميع الشروط الامنية والاخلاقية والنفسية ...

هـ - العناية بالمرأة :نظرا لسمعة المرأة المسلمة التى اكتسبتها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبما توصلت اليه فى نموذج امهات المؤمنين ومنهن عائشة رضى الله عنها بعلمها - حتى كانت راوية لأكثر من الفى حديث - ومشاركتهن مع الرسول فى غزواته وموقف أم سلمة بالحديبية - مما دل على وعيها السياسى - وفى عصور النهضة العلمية والفكرية مشاركتها بعبقرية النابغات فى الفكر والأدب

والفقه والسياسة والطب ، وفى عهود كثيرة كانت استماتتهن فى المواقف الجهادية فى المغرب والاندلس وفى عهد احتلال الجزائر وثورة نوفمبر التى برزت فيها مجاهدات مؤمنات أحيت أمجاد المرأة المسلمة ، فان مهمتها فى هذه المرحلة - وقد اصبحت تمثل أكثر من ثلثى نسبة الطلبة الجامعيين وتلامذة الثانويات - فان الجبهة الاسلامية للانقاذ تعتبر هذه الطاقة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية الجديرة بالاهتمام قصد توجيهها الحكيم وتوظيفها الرشيد فى الخطة الانمائية الحضارية الشاملة وذلك بتخصيص المرأة بالعناية التالية :

١ - رفع مستواها العقائدى وجودة تكوينها المسلكى .

٢ - رفع مستوى وعيها السياسى والتربوى والحضارى .

٣ - اعادة الاعتبار الى مكانتها الاسلامية بحفظها من التعسف والانحلال وآفة التقليد الأعمى .

٤ - توعية المجتمع كى يدرك أهمية طاقتها وعظيم رسالتها .

من أجل ذلك كان الاسلام ومايزال الدين الذى لم يميز المرأة عن أخيها الرجل بكل ما كرم به الانسان وشرفه وفضله لقوله عليه الصلاة والسلام : "النساء شقائق الرجال" . وقوله : استوصوا بالنساء خيرا" .

و - اعاة النظر فى سياسة المنح العائلية خاصة للعمال او الذين مستوى دخلهم لايكفى لضمان الضرورى من الغذاء .

ز - رفع مستوى جراية المتقاعدين الذين جمدت جراياتهم وصارت لا تكفى - أمام التضخم الذى آلت اليه البلاد - وأرامل الشهداء وذوى الحقوق .

ح - العناية بالعجزة والمعوقين بتحديد جرايات تكون فى مستوى كفالتهم الاجتماعية التى تحفظ لهم كرامتهم وتجعلهم فى مأمن من الضياع أو الاهمال أو التفريط مما يجعلهم يشعرون بدفء احتضان امتهم لهم . والجدير بالملاحظة أن هذه العناية لجميع المستحقين بدون ميز نوعى أو عنصرى أو طائفى أو دينى ...

ط - اعادة النظر فى سياسة السجون وطرق معاملة المساجين لضمان كرامتهم

ورعايتهم جسميا ونفسيا واجتماعيا وتربويا : اسلاميا ومعرفيا ومهنيا واعدادهم للادماج الوظيفى فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بعد خروجهم .

ي - وضع ميزان بين الجراية المناسبة للجهد والخبرة وبين القدرة الشرائية التى تستجيب للحاجات الاستهلاكية عموما .

ز - الاصلاح الاجتماعى الشامل:

يعد نظام الحسبة فى الاسلام من احكم الطرق الشرعية لضبط العلاقات بين الناس فى الميادين التالية :

١ - الشارع .

٢ - السوق .

٣ - المصنع .

٤ - الحقل .

٥ - الادارة .

٦ - المسجد .

وبالاشراف على هذه الميادين من طرف رعاية جهاز الحسبة الذى يعين من طرف القضاء يستتب النظام وتتوفر شروط الوئام وتصان المصانع والآداب العامة والقيم والشيم وترقى الأمة إلى ماترمى اليه مقاصد الشريعة الاسلامية السمحة .

ح - السياسة الصحية :

ان الصحة والعناية بها ضرورية لوقاية الأمة من الأمراض والأوبئة وسائر العاهات التى تتعارض مع مقاصد التربية الصحية الضامنة لتربية أجيال يكونون محققين لما ترمى اليه الآية الكريمة ، قوله تعالى : "اشداء على الكفار رحماء بينهم" وقوله تعالى : "ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم" وقوله تعالى : "ان خير من استأجرت القوى الأمين" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير" . وللعناية بالمرضى وكفالة

علاجهم فى الوقت المناسب وبالقدر الكافى . ولتحقيق ذلك ترى الجبهة الاسلامية للانقاذ ضرورة اتخاذ التدابير التالية :

١ - رفع مستوى الوعى الصحى التربوى فى جميع المؤسسات كالمدارس والمعاهد والجامعات والمساجد وسائر الاعلام مما يجعل الأمة على علم تام بما ظهر فيها من عاهات وطرق علاجها وضمان جميع الشروط الصحية كالأطباء المختصين ومراكز الاستقبال والخبراء فى التمريض والاسعاف بانجع الطرق وأسلمها ووسائل النقل الجيد وان أدى ذلك الى تخصيص اسطول من الطائرات العمودية عند اللزوم .

٢ - اعادة النظر فى نظام المستشفيات لتوفير اسباب الصحة بالنظافة المادية والاخلاق وحسن اداء المهام بوضع رقابة صحية على جميع المؤسسات من مستشفيات ومراكز وغيرها .

٣ - وضع طريقة تكاملية بين الطب المجانى والطب الخاص مما يجعلهما يتكاملان فى منظومة صحية عادلة لايغبن فيها فقير ولايهمش فيها خبير ولايبخس فيها أجير .

٤ - توفير الدواء مع تدعيمه كى لايقصر على شرائه فقير .

٥ - توفير الاجهزة التكنولوجية المتناسبة مع تطور علوم الطب والاكثار من المستشفيات الجامعية ومراكز البحث العلمى لتحقيق الاكتفاء الذاتى فى المجال الصحى حتى يشمل جميع التخصصات ومراكز الشبه طبية وهو ما يساعد على ايجاد مناصب للشغل دون ان تكون عالة على الاقتصاد والنمو الاجتماعى والتطور الحضارى .

٦ - تطوير وسائل الانتاج الصيدلى ومخابر البحث كى تحقق البلاد كفايتها التى هى شرط فى استقلالها ووضع حد للتبعية لغيرها .

٧ - الاكثار من المستوصفات حتى تتواجد فى كل الاحياء .

المحور الثقافى والحضارى

ان السياسة الثقافية والحضارية من منظور الجبهة الاسلامية للانقاذ تتلخص فى

حماية الأمة من الغزو الثقافى والقهر الحضارى مما يجعل الأمة على أتم استعداد للنهضة بثقافتها الاسلامية وحضارتها خاصة فيما يلى :

أ - الدين وشريعته .

ب - الاخلاق الاسلامية وقيمها .

جـ - الفكر الاسلامى وعبقريته .

د- حرية المبادرة الذكية العلمية والشرعية واشرافاتها .

وهى ثقافة تكامل فيها العقل مع الشرع والاخلاق مع الفن والعلم نظر وتطبيق، انها ثقافة خير أمة وارهاصة تاريخها وخلاصة تجربتها وقمة فعاليتها . انها مجموعة الشروط النفسية والكنوز التاريخية والافاق المستقبلية حيث تصبح مجالا تترعرع فيها أجيال من العبقرية . انها سر الاستمرارية ومبرر الوجود الكلى لخير أمة أخرجت للناس ، أمة الرسالة ، أمة الحضارة .

وخلاصة القول فان هذه المقاصد النفسية والتاريخية والحضارية تتحقق بضمان الشروط التالية :

١ - ضرورة مراعاة نفسية الامة من حيث هى أمة ذات استحقاق لحياة العزة ، حياة المشاركة الفعالة فى الجهد الحضارى على أوسع مدى وذلك بافساح مجال الحرية امام المبادرات العبقرية .

٢ - ضرورة رد الاعتبار الى الدين الاسلامى كنظام حياة ضامن لسعادة الدارين ومحقق لمقاصد ومبررات التكريم الذى سبق ذكره .

٣ - اعادة الاعتبار الى العلم وتقنياته حتى يعود إلى مكانته فى الأمة تلك التى أعطاها له القرآن الكريم والسنة برد الاعتبار إلى العلماء من حيث هم أهل الذكر وهم أولو الأمر فلا يبث أمر عظيم من أمور الأمة الا بعد استشارتهم وفى ضوء حكمتهم وفى نطاق توجيهاتهم ما أطاعوا الله ورسوله وأجادوا وأصلحوا وبينوا .

٤ - تشجيع تعميم استعمال اللغة الوطنية فى سائر انحاء القطر بدون استثناء

لضمان التفاهم بين الجزائريين وحفاظا على وحدة القطر ، ولأنها لغة القرآن والسنة . وهذا لايعنى نبذ ما سواها مما يساعد على تيسير التجاوب واثراء العلاقات الثقافية .

وبهذا تصير الثقافة مانعا من موانع التصدع لوحدتنا وحامى حمى الأمة الثقافى والحضارى من الغزو الفكرى والحضارى ومصدر من مصادر الثروة الكيميائية والاخلاقية والفنية والعلمية والتكنولوجية مما يجعل البلاد تضمن لاجيالها مستقبلا مزدهرا تطورت فيه اصالته وتفوقت بالتجديد عبقريته ليكون من ورثة الرسالة وبناة الحضارة . وتحقيقا لذلك يعاد النظر فيما يلى :

١ - البرمجة الاذاعية والتلفزة ونظام المكتبات وقاعات العرض والمراكز الثقافية والمسرح ...

٢ - المركبات الرياضية والفنية ودور السينما .

٣ - تشجيع المجلات العلمية المتخصصة والعامة .

٤ - توفير الكتاب الاسلامى والعلمى والتقنى يجعل المكتبات فى مستوى حاجة المعاهد والجامعات ومراكز البحوث .

ان السياسة الاعلامية للجبهة الاسلامية للانقاذ هى الميدان الذى تتجسد فيه حرية التعبير وحق الامة فى استنشاق الهواء النقى من حيث هى نافذة على العالم ناقلة لاخباره معرفة باحداثه وموصلة لعلومه ومعارفه وتقنياته وفنياته فى احدث اطواره . على أن الخناق الذى عانت منه الأمة فى البلاد حرمها من حقها فى حرية التعبير والاتصال الحر بالعالم كى تعيش ظروفه وتستغل علومه وتقنياته وتوظف اجود فعالياته وتستفيد من أرقى خبراته وثمرات عبقريته وتواكب تطور اكتشافاته وتدرك ارقى مستويات وعيه الحضارى والتربوى مما يساعدها على التجاوب المثمر ويؤهلها للمشاركة الفعالة فى حل مشكلات الانسان الحديث ومعالجة قضايا مستجدات العصر . ووضع حد لتشويه الاسلام وقمع المسلمين ومنعهم من توصيل بيان الاسلام والدفاع عنه والذود عن كل المسلمين شعوبا وأمة .

ولذلك ، فإن الجبهة الاسلامية للانقاذ تعتبر المرحلة الراهنة مرحلة من أغلى مكاسبها حرية التعبير عن ذاتيتها الحضارية الرسالية ومن ثم يعد الاعلام شرايين الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية . الذى فتح على العالم لكى تصبح علاقتنا به ثرية فعالة لاتعطى الا من جيد انتاجها فى نطاق رسالتها الربانية ولا تأخذ الا ماصح من علوم وتقنية ولاتستورد الا ما جد مما يصلح لمواجهة ما استجد من الحاجات المناسبة للصراع الثقافى والحضارى المعزز للارهاصات التى تجعل عبقرية اجيالنا محققة للمراد من الاستقلالية الثقافية والحضارية ومن ثم فالاجهزة الإعلامية هى مصفاة للخبرات ومعيار للمعلومات وتمحيص للاخبار واثراء للمعرفة الاعلامية وتبليغ لكلمة الله . ولتحقيق ذلك تعمل الجبهة الاسلامية للانقاذ على اصلاح مايلى :

١ - الصحف على اختلافها من يومية واسبوعية الى شهرية او دورية ، تشجع على كشف الحقائق والبحث عنها وعرضها بموضوعية تساعد على معرفة واقع البلاد فى مختلف المجالات وحتى على مستوى العالم ، بل تذهب سياسة الجبهة الى أبعد من ذلك فتشجعها (أى الصحافة) على التخلص من عقدة النقص حيال وسائل الإعلام الاجنبية كى تستعيد ثقة الشعب بها على اختلاف مستويات الثقافة وذلك لضمان حصانة الصحافى واعادة الاعتبار اليه بناء على أهمية رسالته المذكورة آنفا .

٢ - تشجيع التخصص فى الصحافة فى جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية سواء فى الداخل أو فى الخارج .

ان العموميات التى تطغى على الاسلوب الصحفى فى بلادنا أمسى من أخطر عوامل سيطرة العموميات والمستوى الثقافى الردئ ، والذهاب بالوعى السياسى والحضارى . ان تجهيل الشعب الجزائرى بإسلامه وعملية تشويهه قصد تنفيره وتحريفه لمن اخطر السياسات الاستعمارية التى شدت على الاسلام ايام الاستعمار وماتزال الى اليوم . ولذلك تلفت الجبهة نظر الشعب الجزائرى الغيور على دينه الى ضرورة انشاء جرائد وصحف تكون فى مستوى وظيفة الدعوة الاسلامية المعطلة

وترشيد صحوته المظفرة واجلاء الحقائق لجدارته فى الانقاذ للأمة والانسانية والتصدى لخصومه ووضع حد لتضليلهم وتزويرهم وتخدير الرأى العام وتأليبه على الاسلام والمسلمين . ان غياب الصحافة الاسلامية الحرة ترك ثغرة خطيرة نفذ منها الغزو الثقافى والتوجيه المغرض لعرقلة سير النهضة الاسلامية التى هبت الشعوب لحمل لوائها وانطلقت الامة بجدية لتحقيق امالها بعد ازالة آلامها لتضع حدا لسياسة استعمارية تركتها ضحية لخططها الماكرة واغراضها الحاقدة .

ان من يريد الغناء فى كل وقت يجده ومن يريد الافلام يلقها واما من يريد ان يبحث عن دينه كى يفقهه او ينشد علما كى يتعلمه وينتفع به لايجدهما ، لأن وسائل الاعلام ضاقت واوصدت نوافذها امام طلاب الحرية والحقيقة والراغبين فى الاسلام والشريعة والباحثين عن العلم والتقنية .

ولتفادى هذه الاوضاع المتردية ترى سياسة الجبهة الاسلامية للانقاذ ضرورة اصلاحها كى تصبح صالحة تربوية ومصلحة اجتماعية ومقنعة عقائديا وفكريا ومشوقة ادبيا وفنيا . فلا يكون الجمال على حساب الخير ولا تكون الاخبار على حساب الحقيقة ولايكون التوجيه على حساب الأمانة ...

٣ - ضرورة اثراء وتدعيم وكالة الانباء الجزائرية بالكفاءات وأعلى الخبرات وأرقى التقنيات كي تكون فى المستوى المحقق للمراد من الحرية الاعلامية .

الجيـــش

ان الجيش الجزائرى ذو شهرة تاريخيا ، قلما وصلت اليها اشهر جيوش العالم . لقد كان حام لحمى البحر الأبيض المتوسط باسطوله وحام لحمى دار الاسلام برجاله . وحامل للواء الجهاد للذود عن حمى عقيدة التوحيد وأمة المكانة والهيبة والمنعة ، فكان يحمى حماها وبالغا صداها ...

ولئن انكسرت شوكته بعد الغزو واخذت سلطته بعد العز فإن الشعب الجزائرى لم يستسلم نهائيا بل ظهرت مقاومات شعبية ومنظمة ابدى فيها شجاعة المستميت

وثبات المؤمن وقدرة على الاستمرار حاملا لواء الجهاد الى أن حقق الله له الانتصار على الاستعمار وافتك حريته واستقلاله واستعاد سيادته وذلك بنصر الله وعونه وتوفيقه ... فبينت الثورات وأحداث ثورة التحرير ان شعبنا جيش وجيشنا شعب .

ولكى يبقى كذلك ترى الجبهة الاسلامية للانقاذ ضرورة اصلاحه كي يستعيد سمعته التاريخية وقدرته القتالية كما يلى :

١ - اصلاح البرامج التربوية العسكرية ابتداء من التربية العقائدية والاخلاقية حيث يصير الايمان اول مواصفاته .

٢ - اخلاقه التى تجعله شجاعا ابيا وأمينا على المسؤوليات غيورا على المصالح صادقا فى العهد ثابتا عليه .

٣ - رفع مستوى خبرته العسكرية العلمية والتكنولوجية .

٤ - تطوير عتاده وجدية تدريبه على جودة استخدامه .

٥ - انشاء اكاديميات راقية لاعداد القيادات على مستوى ارقى الخبرات القيادية العسكرية فى ضوء التطور العلمى والتكنولوجى العسكرى فى كل مجالات الصراع الأرضى والبحرى والجوى والفضائى .

٦ - احداث الصناعة العسكرية التى تكون فى المستوى الحضارى المطلوب .

٧ - تشجيع البحث والاكتشاف فى المجال العسكرى .

٨ - ترفع الجيش عن التورط فى القضايا السياسية كى يبقى جيش الرسالة والامة والبلاد مما يجعل ثقة الامة به تنمو على قدر نمو اخلاقياته وجدارته ووظيفته وقدرته على حماية البلاد .

٩ - لكى لاتكون الخدمة العسكرية على حساب النمو الاقتصادى والتماسك الاجتماعى تحدد الخدمة الوطنية بالضرورى من التدريب العسكرى الذى يخول ابن الجزائر على الدفاع عن حمى وطنه ، على ان لاتزيد مدة الخدمة على ستة أشهر لاغير فى تربصات لتنمية الخبرة تتم فى ظروف مناسبة للتدرب .

١٠ - ضرورة الجمع بين الخدمة العسكرية والاحتراف ، على أن هذا الاخير تجدد عناصره خبرتها بواسطة الخدمة العسكرية التى تتعاقب عليها اجيال الشباب مما يجعل التربية العسكرية من حقوق جميع أبناء الجزائر ليكونوا فى مستوى الدفاع عن وطنهم وقت الحاجة ، وتبقى القاعدة ثابتة من قوله تعالى : "وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة" لأنه اذا أردت السلم فاستعد للحرب .

ان الجيش الجزائرى عريق فى تاريخه وأمجاده ، جديد فى نشأته وخبراته يحتاج إلى جهود جبارة من التدريب والخبرة كى يستعيد مكانته ويصبح فى المستوى المطلوب الذى تفرضه القيمة الاستراتيجية بترقية قدرته القتالية .

السياسة الخارجية

السياسة الخارجية للجبهة الاسلامية للانقاذ تحدد فى نطاق المطالب التالية :

١ - مكانة الجزائر وسمعتها فى العالم .

٢ - منهجها الاعتدالى فى المواقف والعدل فى معالجة القضايا العالمية والتحررية الاقتصادية والاجتماعية ، التاريخية والحضارية .

٣ - معاملاتها الاقتصادية والسياسية الرائجة تحدد ضمن السياسة الشرعية الاسلامية وبذلك تكون الجزائر فى عون كل قضية عادلة ومساعدة لكل أمة محتاجة على قدر طاقتها . وعلى استعداد لتدعيم الوئام والسلام بمفهوميهما الاسلامى واستقرار العالم مما يجعل الحضارة تقوى على ازماتها وتستمر فى ازدهارها .

ان الاسلام يمثل اثقل وزن عقائدى فى العالم واقوى محرك لضمير الانسانية واقدر احياء له واعظم رسالة ربانية لهداية البشرية واثرى مصدر للخير وارقى مسامح لتكوين الانسان واعدل شريعة لحماية حقوقه ومن ثم فان السياسة الخارجية للجبهة الاسلامية للانقاذ تعتبر حماية حقوق الانسان كما جاءت فى القرآن والسنة من أهم مقاصدها الجديرة باهتمامها وبذل اقوى الجهود لنشرها والعمل بها مما ينقذه

مما يتعرض له من اهانات كالتمييز العنصرى والتعذيب وبشاعة الاسر وخنق حريته فى التعبير وسوء معاملته مما يحط من كرامته ولايليق ببشريته لقوله تعالى : "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" .

يتميز البرنامج الذى قدمته الجبهة الاسلامية بأنه برنامج تفصيلى - تعرض لكافة الجوانب العقائدية والحياتية للشعب الجزائرى - فهو لم يكتف بالعموميات بل خاض فى التفاصيل وقدم أطروحة متكاملة رمشاريع للعمل فى كافة المجالات ورأيا فى كافة القضايا المطروحة بل إن برنامج الجبهة الاسلامية - قد عرف الشعب الجزائرى بماهية الجبهة وحقيقتها وأهدافها ووسائلها وطرق تحقيق ذلك- بمعنى أن الشعب الجزائرى بات يعرف من هم هؤلاء الذين يتقدمون اليه بهذا البرنامج والذين يطلبون ثقته وتأييده - ولم يطلب أعضاء الجبهة ثقة الشعب الجزائرى على بياض أو لمجرد أن الجبهة اسلامية بل من خلال تعريف دقيق بالجبهة وعقائدها ومفاهمها ووسائلها .

وبرنامج الجبهة يحتوى على مقدمة ومدخل وتعريف بالجبهة الاسلامية - ثم تحليل دقيق لأوضاع الجزائر المعاصرة ثم برنامج شامل على مستوى التصور ووسائل العمل لاصلاح هذه الأوضاع - وكل ذلك فى إطار الالتزام الكامل بالشرعية الاسلامية ودون تفريط ولا إفراط . بل إن البرنامج لم يغفل حتى شرح وسائل التغيير - فمثلا فى إطار العناصر المنهجية تعرض البرنامج لقضايا وضوابط ورؤية الجبهة للشرع - العلم - نفسية الشعب الجزائرى فى هذه المرحلة - حيثيات التطبيق وشروط المجازه - المعيار السياسى لمراعاة الواجهة السياسية شريطة عدم التعارض مع المعايير الاسلامية وفى إطار عناصر مشروع البرنامج يتعرض البرنامج للمحاور الحياتية المختلفة مثل المحور السياسى -. المحور الاقتصادى . المحور الاجتماعى . المحور الثقافى والحضارى . السياسة الاعلامية . الجيش . السياسة الخارجية .

*** *

قضايا ذات طابع خاص

في محاولة مستميتة لاقصاء الاسلام عن التواجد السياسي والاجتماعي . وفى محاولة خبيثة لحصار وعزل الاتجاه الاسلامي . يقوم العلمانيون والاستعماريون عموما باثارة عدد من القضايا ذات الطابع الخاص مثل قضية الديموقراطية وقضية المرأة وقضية الأقليات القومية أو الدينية . ويثير الاعلام الاستعماري الدنيا ويقيمها ويقعدها بدعوى أن الاتجاه الاسلامى خطر على الديموقراطية وحرية المرأة وأن الاسلام يجب أن يستبعد من الساحة السياسية احتراما لمشاعر الاقليات القومية أو الدينية .

وبديهى أن الاسلام هو دين الحرية - وأنه حريص كل الحرص على الحرية بل ان الديكتاتورية والقهر والعنف ارتبطوا دائما بحكم عملاء الاستعمار من علمانيين وخونة ، وبديهى أيضا أن الاسلام أعطى للمرأة كل الحقوق وكرمها أيما تكريم - وبديهى أيضا أن الاسلام دين غير طائفى وأن الاسلام ينصف الاقليات ويعدل معها عدلا مطلقا .

وعلينا الآن أن نرصد رؤية الجبهة الاسلامية للانقاذ حول هذه القضايا المثارة .

فى تصريح لجريدة الشعب عدد ١٠ يوليو ١٩٩٠ - قال الدكتور عباس مدنى زعيم الجبهة الاسلامية للانقاذ "إننا سنكون ضمانا للحرية فى البلاد إن شاء الله لأننا جاهدنا من أجل هذه الحرية - واننا نعلم علم اليقين أن المعارضة لازمة حتى لانقع فى الأخطاء . إننا كمسلمين ندرك أننا يمكن أن نقع فى الاخطاء لأن المعصوم هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولايمكن اكتشاف الاخطاء وتصحيحها الا بالمعارضة لأن الجواد الذى يركض وحده لايكون فى نفس المستوى عندما يركض فى ساحة التنافس .

ويقول الدكتور عباس مدنى أيضا "إن التعددية ضرورة لتحقيق الحرية وخاصة حرية التعبير" "فى حوار مع الاستاذ عبد الله رزاقى . مجلة منبر أكتوبر الباديسية" .

وعن قضية المرأة يرى الدكتور عباس مدنى أن المرأة الجزائرية شريك فى النهضة الاسلامية - وأن المرأة الجزائرية تتمتع بثقافة ممتازة وستشارك فى العمل السياسى الاسلامى بكل فعالية ، ويضيف الدكتور عباس مدنى الحرية لكل الناس للرجل والمرأة والطفل أيضا . وستأخذ الدولة الاسلامية كل القيم من اجل حرية الاختيار ، وأنه ليس لدينا عقدة المرأة ولن نواجه تنافسا بين الرجل والمرأة فى مجتمعنا لأنهما يتكاملان وستناضل معنا المرأة المسلمة متحجبة أو سافرة صغيرة كانت أو كبيرة" "فى المؤتمر الصحفى الذى عقده الدكتور عباس مدنى - عقب اعلان نتائج الانتخابات فى قاعة افريقيا بتاريخ ١٢ يونيو ١٩٩٠ .

أما عن قضية البربر - وهى قضية حاول الاستعمار الفرنسى النفخ فى حجمها وجعلها صخرة وعقبة امام وحدة شعب الجزائر - فيرى الدكتور عباس مدنى "أن هذه ورقة فرنسية لايجاد ثغرات ، ولكن الشعب الجزائرى شعب موحد وواع لضرورة وحدته ، وكل القبائل واعية ، متمسكة بالاسلام وغيورة عليه . الاسلام موحد وليس مفرقا . وإذا أرادت فرنسا أن تصطنع فوارق فلن تنجح ، وهى لم تستطع أن تحقق ذلك خلال فترة الاحتلال بالوسائل المباشرة ، لأن اهل القبائل البربرية أهل غيرة قوية على الاسلام وعلى الوطن - وهم كغيرهم - من أبناء الجزائر يتمتعون بوعى يجعلنا فخورين بهم ومعتمدين على الله ثم عليهم وعلى أتم استعداد للتعاون جميعا كشعب ووطن ومصير واحد ، أما حزب التضامن اجل الثقافة فليس حزب القبائل البربرية إنما حزب يخدم السياسة الفرنسية يريد أن يستخدم ورقة القبائل لحساب فرنسا - وأغلب اعضائه من المخدوعين وسيكتشفون الحقيقة وهى أن البعض يريد استخدامهم ضد بلادهم" . "نقلا عن تصريحات الدكتور عباس مدنى لجريدة الشعب عدد ١٠ يوليو ١٩٩٠" .

*** *

الحركة من أجل الديموقراطية فى الجزائر
"أحمد بن بيلا"

أحمد بن بيلا هو الزعيم الجزائرى المعروف وأحد قادة ثورة الجزائر - حكم الجزائر فى الفترة من ٦٢ إلى ١٩٦٥ حيث أطاح به انقلاب عسكرى بقيادة العقيد هوارى بومدين . وظل بن بيلا سجينا منذ عام ١٩٦٥ وحتى بداية حكم الشاذلى بن جديد، وفى فترة السجن استطاع بن بيلا أن يراجع نفسه وأن يطلع على الكثير من الثقافات واكتشف فى النهاية أن الاسلام هو الطريق الوحيد لنهضة الجزائر - وبحكم خبرات بن بيلا وذكائه واخلاصه يقدم بن بيلا الآن وعيا متقدما فى الفهم الاسلامى ويقدم أطروحات غاية فى الوعى والالتزام فى نفس الوقت ويرى بن بيلا أن العلمانية هى نتاج غربى محض وجاءت لتحل مشاكل الكنيسة مع السلطة فى الاطار المسيحى ونجم عن ذلك مايسمى بالفصل بين الدين والدولة ومن يدعو الى العلمانية فهو يريد أن يلبس جلدا غربيا لجسد اسلامى ، أنه يريد تغريب مجتمعه وبعده عن الحضارة العربية الاسلامية - وهى الاطار الصحيح والسليم لأى منظور سياسى فى الحكم ، ويرى بن بيلا أن الحكم الاسلامى السنى بالذات ليس حكم فقهاء . لأنه لاعصمة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقا لتراث السنى - وأن من يتعمق فى التراث الاسلامى وخاصة حياة الخلفاء الراشدين سيجد أنهم لم يكونوا منزهين عن الخطأ وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يدعو الناس إلى اعانته فى الصواب وتنبيهه إلى الخطأ وكان يدعو إلى أن يقوم فى حالة الخطأ فى سياسته أضف إلى ذلك أن أئمة المذاهب السنية لم يحكم أحد منهم بل كانوا يتهربون من السلطة بمن فيهم ابن تيمية الذى توفى فى السجن والفقهاء فى التاريخ الاسلامى يشكلون المعارضة وليسوا حكاما :.

ويقول بن بيلاأن حركته هى حركة الشعب الجزائرى المسلم ضد الاستعمار - والتغريب بدءا من الامير عبد القادر ، مرورا بأولاد سيدى الشيخ والمقرانى والحداد وبو معزه - الزعكاشة والثورة الجزائرية - وأنها سلسلة من نضالات وانتفاضات شعبية متكاملة نابعة من قيمنا العربية والاسلامية ، وأن الصحوة الاسلامية هى جزء من الاعماق التاريخية لشعب الجزائر من عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى

العصر الحديث " الافغانى" وغيره من العلماء المسلمين المجاهدين والصحوة الاسلامية تزدهر بالصراع مع الغرب ، وهذا الصراع ليس وليد القرن الحديث انما يمتد الى الفتوحات الاسلامية والى الحروب الصليبية ، والمهم فى هذا الصراع أو ما نسميه بالصحوة الاسلامية هو أن نكون أو لانكون بمعنى أن نلجأ إلى الابتكارات التاريخية أو نقبل بالغرب ، نصنع نحن التاريخ لنا ولغيرنا أو نسقط فى الحفر التى أعدت لنا ، ويضيف بن بيلا يجب أن يكون هناك مشروعا ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وقيميا مستمدا من الاسلام ، أما غير ذلك فهو نسخ لثقافتنا وشخصيتنا العربية والاسلامية .

يرى بن بيلا أن الشباب هم الفئة التاريخية الحقيقية لعصرنا فى كل بقاع العالم فهو الذى يستشهد وهو الذى يضحى - وأن الشباب الجزائرى يتمتع بالوعى والمسئولية كامتداد لفكر إسلامى ثورى أصيل ، ويطالب بن بيلا بتحرير البلاد من التبعية والرجوع إلى الأصل العربى والاسلامى ووضع حد للهيمنة الرأسمالية الغربية وإقامة وحدة المغرب العربى فى انتظار توسيع رقعة الوحدة لتشمل مختلف الاقطار العربية الاسلامية بهدف تكوين انسان جديد ضمن منظور حضارى عربى وإسلامى ، إن بناء الانسان يجب أن يرتبط بالجذور ، وأن عملية التنمية وغيرها يجب أن تكون مرتبطة عضويا مع هذا التصور لأن كلمة تنمية فى حد ذاتها عبارة عن فخ لانها مرتبطة بمنظور أو تصور وهو تنمية الكم . وليس كمية الانسان او طاقاته او مايحرره وليس حتى تنمية الطبيعة التى هى جزء أساسى منا ، ويطالب بن بيلا بالوحدة لأنها مسألة حياة أو موت وأن يبدأ ذلك بتوحيد المغرب العربى ثم تتوسع رقعة الوحدة وتكوين الجسور التى سيقوم عليها المستقبل وانشاء منهج جديد شامل لتحرير الانسان ضمن منظومة تربوية متكاملة اسلاميا .

ويحدد بن بيلا أولويات عملية التنمية بأنها الزراعة أولا - لانقاذ البلاد من اى مجاعة محتملة ويجب تكريس الجهود لبناء قاعدة زراعية متينة فى البلاد تستطيع أن تعطى أضعاف أضعاف ماتعطيه الآن - ولابد من التسيير الذاتى والشورى ،

تلك التى تبدأ من القرية والبلدية على أن توزع الأرض على أصحابها لا أن تعطى لفلان أوعلان حتى يعمل فيها مزرعة مثلا ويجب الاهتمام بالتعاونيات الزراعية على طريقة العادات الجزائرية مثل "التويزه" وغيرها التى تبنى على التكافل والتضامن بين الافراد ويجب أن تصبح الزراعة عملية استراتيجية مع استرجاع الثروة الحيوانية بمعنى اعادة الاعتبار للانتاج الحيوانى وخاصة فى الهضاب . وبعد هذا تأتى الصناعة الخفيفة التى تساهم فى التنمية فى حدود معينة والابتعاد عن المصانع التى لها ارتباط مباشر مع النظام العالمى والتى تتأثر بأى تغيير أو تغير فى السوق الصناعية وتكوين سوق وطنية متكاملة .

ويرى بن بيلا أن من يفكر فى بقاء اللغة الفرنسية فى الجزائر كلغة منافسة للغة العربية هو بمثابة الطابور الخامس وعدو للعروبة والاسلام والوطن ويرى بن بيلا أن التحرر هو تحرر الانسان وليس اقتناء الثلاجة أو الغسالة والتحرير هنا يكون وفقا لمقومات الانسان التاريخية وجذوره الحضارية .

وفى مسألة تحديد النسل يرى بن بيلا أن هناك فخ يريد الآخرون إصطيادنا به وهو ربط التخلف بعملية تكاثر الانجاب والولادات وأنه كمسلم يرفض مسألة تحديد النسل لأن الله هو الرزاق - وأن من يريد تحديد النسل هو ضد التحولات والابتكارات وأن من المفيد زيادة النسل فى بلادنا لأن ثرواتنا بحاجة إلى من يستثمرها وهى كثيرة جدا جدا .

ويرى بن بيلا أن الثورة الجزائرية قد فشلت فى بناء الجزائر بعد الاستقلال لأنها انحرفت عن الخط العربى والاسلامى - وأن ذلك بدأ فى مؤتمر الصومال سنة ١٩٥٦ حيث لم يرد فى مواثيق المؤتمر مايؤكد انتماء الجزائر العربى والإسلامى وبالتالى تم سلخنا عن جلدنا العربى والاسلامى» أ.هـ.

اعتمدنا فى هذا الجزء على كتاب الاحزاب السياسية فى الجزائر خلفيات وحقائق - عبد الله رزاقى - الجزء الأول . وكذلك حوار معوفى شامل مع بن بيلا أجراه الصحفى محمد خليفة والمنشور فى مجلة البديل الباريسية على عدة حلقات .

"جمعية الارشاد والاصلاح"

"محفوظ نحناح"

الاستاذ محفوظ نحناح أحد رموز التيارات الاسلامية الموجودة على الساحة الجزائرية- وهو عضو فى رابطة الدعوة الاسلامية ورئيس جمعية الارشاد والاصلاح ولد الاستاذ محفوظ نحناح فى بيئة اسلامية متدينة وفقيرة وكان أبوه عاملا بسيطا- تعلم فى المدارس العربية التى أنشأتها الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسى- ساهم الاستاذ محفوظ نحناح فى العمل الجهادى ضد الاحتلال الفرنسى فى منطقة بليده التى كان يسكن بها. وبعد الاستقلال درس الاستاذ محفوظ نحناح فى الجامعة الجزائرية حيث تخرج فى كلية الآداب واللغة العربية .

يرى الاستاذ محفوظ نحناح أن التعريب هو تعريب اللغة والثقافة والتوجه السياسى وتعريب الخبز أيضا - لأن من لايملك خبزه لايملك إرادته ، وأنه يجب أن يكون التعريب ذو محتوى إسلامى - لأنه لو كان غير ذلك لكان شعوبي وجاهلية.

وعن جبهة التحرير الجزائرى يرى الاستاذ محفوظ أنها كانت طليعة المجتمع بنظافتها وانجازها الحضارى الضخم فى طرد المستعمر -ولكنها انحرفت بعد عام ١٩٦٣ وفقدت توجهها الاسلامى .

ويرى الاستاذ نحناح أن العربية هى جزء من الشريعة الاسلامى والشريعة الاسلامية جزء من اللغة العربية، اللغة العربية وعاء الاسلام وحديثك عن اللغة العربية هو حديثك عن الاسلام- هكذا أنظر إلى المسألة، لا أنظر اليها متجزئة أو مبتورة .

ويرى الاستاذ نحناح أن العالم الربانى هو الذى يقف كضمير لهذه الأمة عبر التاريخ وإلى اليوم لينبه الحاكم إلى ضرورة انتهاج شرع الله تبارك وتعالى- وأن يكون العالم طوق نجاة وصمام أمان للمجتمع وأن يواجه المستبدين والظلمة والسفهاء.

يقول الاستاذ نحناح إن الاسلام يبنى حضارة قوامها الحرية والسيادة والكرامة والذى لايتبنى الاسلام ولايرضى بمنهجه يعتبر ظالما لنفسه وظالما لمجتمعه والاسلام يبعث الهمة ويبنى الحضارة - والحزب الاسلامى ليس معناه الهيمنة على كل

الاتجاهات السياسية في المجتمع ونحن نحترم الديموقراطية ولانخشاها إذا كانت لها مصداقية تسمح للأكثرية بأن يكون لها الصوت والنفوذ وللأقلية بأن يكون عليها الانقياد فى إطار النضال من أجل المبادئ ، والأمة الجزائرية بل الأمة الاسلامية حزب واحد فى مواجهة طغيان الفرد على الجماعة أو طغيان الجماعة على الفرد ولمواجهة الطاغوت العالمى والاستكبار الدولى - والأمة الاسلامية فى مواجهة هؤلاء انما تقوم بمواجهة حضارة الباطل والاستغلال والروح العدوانية والآلة العسكرية واستغلال ثروات الشعوب ودفعها نحو الهاوية السحيقة من الضعف والهوان بحضارة تبنى قواعدها على الحق والعدل والحرية .

ويرى الاستاذ محفوظ نحناح أن رابطة الدعوة الاسلامية ليست حزبا سياسيا انما هى رابطة يجتمع تحت قبتها كل العاملين فى حقل الدعوة إلى الله للتعبير عن ضمير هذه الأمة فى إطار خدمة الدعوة وليس فى إطار خدمة شخص أو حزب أو جهة من الجهات .

وفى قضية المرأة - يرى الاستاذ نحناح أن المرأة عنصر كالرجل تماما سواء بسواء فهى شريكته من حيث الخلقة وشريكته من حيث التكليف وشريكته من حيث وحدة المصير - فلماذا غير هذا عن ذاك؟ هذا أولا - والأمر الثانى هو أن نظرتنا إلى المرأة على أنها كما أمر الله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولايمكن أن يأمر الرجل بالمعروف وينهى عن المنكر فى غياب المرأة فلابد أن يكونا مشتركين فى القضاء على المنكر وعندى أن أعظم المنكر هو الاستبداد السياسى - ومن هنا فان المفهوم الذى يريد أن يحجر على المرأة ينتفى انتفاء كاملا مع النص الشرعى ومقاصده - فنحن نقول ان المرأة مكرمة كالرجل ، وأن للمرأة دورا لايقل أهمية عن دور الرجل وبالأخص فى اعظم مسألة وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلابد أن يكون هناك اشتراك ، هذا الاشتراك قد يكون فى جمعية أو حزب أو برلمان أو مظاهرة أو إضراب أو انتاج أو استهلاك أو تربية أو اتخاذ موقف حازم ، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يساعد أهله ،

كان يكنس بيته ويخصف نعله ويطهو مع زوجته ويداعب نساءه فلماذا لايكون الرجل على هذا المستوى من التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن نحن تأثرنا فى نظرنا الى المرأة بنظرة عصر الانحطاط فى الأمة الاسلامية ولكن الاسلام جاء ليرفع شأن المرأة إلى أعلى عليين فقال تعالى : "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات" .. إلى آخر الآية الكريمة « سورة الأحزاب الآية ٣٥ » .

عشر صفات وصف الله بها الذكر والأنثى يجعلهما فى قمة الولاء لله تعالى والعمل من أجل التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الأمة ، ومن خلال المنطلقات القرآنية ومن خلال المواقف التى اتخذتها المرأة فى العصور الاسلامية الزاهرة وأيام الجهاد أن المرأة والرجل هما على قدم المساواة جهادا وعملا وتربية وتوجيها وصياغة وحضارة وتشكيل عقلية تتسم بالشمول والتكامل والاعتدال والاتزان .

أخذنا اراء الاستاذ محفوظ نحناح نقلا عن كتاب الاحزاب السياسية فى الجزائر - خلفيات وحقائق عبد الله رزاقى - الجزء الأول .

*** *

الصـــــــدام

هل كان الصدام قدرا مقدورا ؟! الم يكن هناك طريق آخر لتجنب هذا الصدام؟... سؤال طرحه ويطرحه الكثيرون من المهتمين بقضايا الاسلام والجزائر على حد سواء .

كثيرون تمنوا لو لم يقع هذا الصدام . لأن الدم السائل فيه - هو دم المسلمين من الجبهة او من الجيش على حد سواء ، وكثيرون آخرون فرحوا بهذا الصدام وكأن هذا النفر الاخير كان ينتظر هذا الصدام ليرغى ويزيد ويقول ما كان يخفيه أو يطويه تحت لسانه الخبيث وقلبه الكاره للاسلام ، قال المرتزقة والعلمانيون وعملاء وأبواق الغرب أن الحركة الاسلامية غير قادرة ولاراغبة فى اللعبة الديموقراطية وأنها لاتقبل ولاتحترم إرادة الناخبين ولاصناديق الانتخاب وأنها حركة إرهابية يجب ضربها واستئصالها وأنه يجب إقامة الديموقراطية بدون اسلامية . وهؤلاء فى الحقيقة عبروا عن رغبات وأمنيات الغرب ويجب أن نلتفت الى هذا جيدا لنعرف حقيقة ماجرى فى الجزائر والأسباب الحقيقية للصدام لنقرأ معا بعض الحقائق .

- الجزائر المجاهدة ذات ثقل تاريخى خاص . فهى بلدة الثورة والمليون ونصف المليون شهيد ، بلد الكفاح المستمر - عبد القادر الجزائرى - المقرانى - الحداد - لا لا فاطمة - بن باديس - ثورة ١٩٥٤ - خالد عقبة - البلد الذى استعصى على الفرنسة والتغريب وتمسك بالهوية الاسلامية رغم المذابح والابادة والمطاردة والحصار ، ولكل هذا أثره وتراكماته على الوجدان الاسلامى عموما بحيث أن تجربة الجزائر المجاهدة تظل أبدا نبراسا ووقودا لاينفد للمد الاسلامى أمس واليوم وغدا .

- الجزائر المجاهدة هى مفتاح افريقيا جغرافيا وثقافيا وحضاريا واقتصاديا - وافريقيا بدورها تمثل أهم المراكز الاقتصادية للنهب الاستعمارى حاليا - وهى القارة المسلمة باذن الله تعالى - وبالتالى فان قيام نظام اسلامى فى الجزائر يعنى أن افريقيا بكل ثرواتها فى طريقها الى الاسلامية وبالتالى فاى خطر حقيقى يتهدد المشروع الاستعمارى فى افريقيا تبشيريا واقتصاديا وأى عملاق افريقى يمكن أن يظهر من خلال الاسلام يكون ماردا عملاقا ويشكل أكبر الخطر على الغرب الاستعمارى برمته .

- الجزائر المجاهدة سنية المذهب وبالتالى فإن قيام نظام اسلامى بها يعنى إشعاعا اسلاميا مؤكدا لكل بلاد العالم الاسلامى عامة والعربية منها خاصة وفى تلك الحالة لن يكون هناك فرصة لبناء حائط صد مذهبى أمام امتدادات الثورة الاسلامية فى الجزائر كما حدث مع الثورة الايرانية .

أضف إلى هذا أن الجزائر المجاهدة عربية اللسان وهى أيضا تمتلك ثروات اقتصادية هائلة معدنية وزراعية وصناعية وتمتلك شعبا يملك روح الهجوم والمغامرة ولايرضى بالدنية وهى مؤهلات تجعل الكيان الاسلامى الجزائرى عملاقا فى الداخل ومؤهلا للامتداد للخارج على مستوى المغرب العربى والبلاد العربية وأفريقيا والعالم الاسلامى برمته .

وكل هذه الخصوصيات العربية والافريقية والمذهبية والاقتصادية جعلت الخوف من قيام نظام اسلامى فى الجزائر هاجسا يقلق بال الغرب برمته أنظر الى حجم المساعدات التى تقاطرت على حكومة الجزائر فى مرحلة ذروة الصدام مع جبهة الانقاذ الاسلامية فى خلال شهرى مايو ويونيو ١٩٩١ .

ففى الحادى والعشرين من شهر مايو وقعت شركة توتال الفرنسية وهى أضخم الشركات العاملة فى مجال النفط والتعدين إتفاقا كبيرا مع الحكومة الجزائرية تجاوزت قيمته سبعة مليارات دولار تعهدت الشركة الفرنسية بتقديمها للجزائر ، وفى تعقيبها على ذلك الاتفاق الضخم ذكرت صحيفة الفاينتشيال تايمز انه يمثل أول عودة حقيقية لفرنسا الى الجزائر بعد اكثر من ٢٥ عاما من الغياب .

وفى الخامس عشر من شهر يونيو وقعت الحكومة الجزائرية اتفاقا مع تكتل يمثل ١٢ مصرفا ايطاليا حصلت بمقتضاه على قروض وتسهيلات بمبلغ سبعة مليارات ومائتى مليون دولار وضع تحت تصرف الحكومة الجزائرية على الفور - بعد خمسة أيام من هذا التاريخ مليار ومائتى مليون دولار من أصل المبلغ .

وخلال الأسبوع ذاته قدم صندوق النقد الدولى ٤٠٥ ملايين دولار إلى الجزائر أضيف اليها ٢٨٥ مليونا بعد انفجار الوضع ونزول الجيش الى شوارع العاصمة

الجزائرية .

وفى ذروة الأزمة يوم الجمعة ٢٨ يونيو أى بعد يومين من اعتقال عباس مدنى عقدت مجموعة الدول الأوروبية إجتماعا فى لوكسمبورج وقررت تقديم مساعدة طارئة إلى الجزائر بقيمة ١٢٠ مليون دولار .

كل هذه المليارات من أجل ضرب الصحوة الاسلامية فى الجزائر ، إذن فالغرب كان يعد العدة لتوجيه ضربة إلى الصحوة الاسلامية فى المغرب العربى . شهدنا منها القضايا الملفقة ضد الاتجاه الاسلامى فى تونس ومازلنا نرى فصول باقى المسلسل فى الجزائر ، أنظر إلى الصحفى المصرى محمد سيد أحمد وهو شخص لايمكن اتهامه بالأصولية الاسلامية أو غيرها من الألفاظ المفضلة لدى أبواق الغرب يقول محمد سيد أحمد فى مقال له بجريدة الأهالى القاهرية عدد ١٧-٧-١٩٩١ "ينبغى لنا أن ندرك الاخطار الكامنة التى تنطوى عليها المخططات الأوروبية لأنها تطرح صورة للمواجهات فى منطقة البحر المتوسط توحى بأنها بين أوروبا المسيحية من جانب والصحوة الاسلامية فى عدد من البلدان العربية من الجانب الآخر وأن أوروبا المسيحية أصبحت تستخدم الدولة اليهودية درعا لها فيما سوف يبدو لعرب عديدين صيغة عصرية للحروب الصليبية على مشارف القرن الواحد والعشرين" .

إذا فإن محمد سيد أحمد الماركسى التفكير والذى لايمكن اتهامه بالأصولية قد رأى الحقيقة المجردة فلم يستطع أن ينكرها الا وهى أن أوروبا تمارس المسألة كحرب صليبية جديدة وأن المستهدف هو الصحوة الاسلامية فى عدد من البلدان العربية وبالطبع تأتى الصحوة الاسلامية فى الجزائر على رأسها نظرا لقوة تلك الصحوة ولخصوصية وضع الجزائر أيضا .

وهكذا فإن الحقائق والأحداث والأخبار كلها تؤكد انه كان هناك مخططا موضوعا وفخا منصوبا - فهل وقع عباس مدنى فى الفخ أم أنه فى الحقيقة تجنب فخا أكبر؟!

البعض يرى مثلا أن الدكتور عباس مدنى وقع فى الفخ برغم أن الكثير من التحذيرات قد وصلته وانه لم يلتقط تلك التحذيرات وتم استدراجه الى الفخ

المنصوب . الا أن البعض الآخر يرى أن الدكتور عباس مدنى اختار طريق الهجوم كنوع من فرض هذا السيناريو الذى حدث لاجهاض سيناريو آخر كان يتضمن فخا أكبر وخطرا أعظم ، ويرى هؤلاء أنه كان هناك اعداد لتحريك حزب حسين آيت أحمد لافتعال صدام ولرفض نتائج الانتخابات التى كانت ستأتى بجبهة الانقاذ إلى السلطة بدعوى أن ذلك خطر على وجود البربر وأن المحصلة كان استخدام الصراع بين العرب والبربر لتبرير تدخل عسكرى أمريكى وأوروبى فى الجزائر على غرار ماحدث فى الخليج بدعوى حماية مصالح الاقليات أو غيرها من الشعارات الجاهزة للاستعمال وقت الحاجة .

والذين ينحازون إلى الرأى الأول يقولون بأن عباس مدنى لم يفهم طبيعة العالم من حوله وأن معرفته لم تتعد الحدود الجزائرية وأن على المسلم أن يدرك انه يعيش فى عالم متداخل وصغير ومتشابك ، والذين ينحازون الى الرأى الثانى يقولون بل العكس هو الصحيح فلأن عباس مدنى يفهم طبيعة العالم المتداخل المتشابك وأن الجزائر لها علاقات دولية متشابكة وخطيرة وليست جزيرة معزولة - لذلك كله فانه اختار طريق المباداه حتى يجهض المخطط الكبير للتدخل العسكرى فى شئون الجزائر حتى ولو كان الثمن توجيه ضربة له ولحزبه وهو هنا اختار المستقبل على حساب الحاضر .

وفى الحقيقة فان ماحدث على أى حال يكشف أن الحكومة الجزائرية برئاسة الشاذلى بن جديد كانت تدرك أن الغرب يصنع خطا أحمر بشأن الصحوة الاسلامية، وأنها أتت بقوانين انتخابية غير ديموقراطية بالمقياس الغربى ذاته لقطع الطريق على الصحوة الاسلامية للوصول الى السلطة فى الجزائر عن طريق صناديق الانتخابات وأن جبهة الانقاذ اختارت الطريق الديموقراطى "التظاهر السلمى - الاضراب" للاحتجاج على تلك القوانين ولكن الحكومة الجزائرية أدخلت الجيش الى اللعبة مما خرج بالمسألة عن اللعبة الديموقراطية وقواعدها تماما ، ومن الطبيعى والحالة هذه أن تتم صدامات وتسيل دماء ، ولكن من المؤكد أن الضربة التى طالت جبهة الانقاذ

ستقويها ولا تضعفها بل قد تقودها إلى تطهير نفسها من العناصر المترددة والوسطية .

ويرى البعض أن هناك امتدادات خارجية قوية فى المؤسسات الجزائرية عن طريق المتفرنسين والعملاء وغيرهم وأن هؤلاء هم الذين أدخلوا الجيش أو دفعوه دفعا للصدام على غير رغبة الشاذلى بن جديد وأن هؤلاء تجمعهم مع بعض قيادات حزب جبهة التحرير الجزائرى مصالح اقتصادية وشبهات فساد وغيره .

على كل حال – وفى اى الاحوال ، فان ماحدث فى الجزائر كان لابد واقع ولم تكن الجبهة الاسلامية قادرة على تجنبه – بل ربما لو سكتت لكان هناك مخططا أوسع يتم انضاجه على نار هادئة ، وأن هؤلاء الذين انتقدوا الجبهة او انتقدوا عباس مدنى كانوا هم أنفسهم الهدف الثانى بعد تصفية الجبهة ولولا الموقف الهجومى الذى اتخذه عباس مدنى لجاء الدور عليهم سريعا لأن الغرب يريد تصفية كل الصحوة الاسلامية وليس المتهور منها فقط ، وعلى كل حال فإن خط هؤلاء جيد لأن الجبهـــة أثبتت قوتها وصمودها وعدم قابليتها للتصفية وبالتالى فإن الدور على هؤلاء مازال بعيدا جدا – ونسأل الله الا يجئ هذا الدور أبدا وأن يحقق للجزائر اسلاميتها المرتقبة .

الانتصار .. وغداً تعود الأندلس

حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الجزائر فوزاً كبيراً فى الانتخابات البرلمانية التى جرت فى شهر ديسمبر ١٩٩١، وهذا الانتصار الكبير كشف وسوف يكشف الكثير من الحقائق والتداعيات على مستوى الحركة الإسلامية وأعدائها على حد سواء وعلى مستوى الداخل الجزائرى والعربى والإسلامى وعلى مستوى القوى الدولية والاقليمية على حد سواء.. وسوف يكون لهذا الانتصار الكثير من الآثار القريبة والبعيدة على مستقبل العالم كله وعلى معادلات الصراع الدولى والاقليمى، وهو بكل المعايير حدث كونى وليس حدثاً محلياً عادياً.

الهجوم خير وسائل الدفاع ..

«لماذا انتصرت الجبهة الإسلامية فى الجزائر» ؟..

النجاح الذى حققته الجبهة الإسلامية فى الجزائر فى الانتخابات البرلمانية يطرح العديد من الأسئلة التى شكلت ـ وما زالت تشكل ـ جزءاً كبيراً من الحوار والخلاف والأخذ والجذب بين الفصائل الإسلامية فى كل مكان، بل لعل هذا الانتصار فيه الإجابة على الكثير من الأسئلة التى اختلفت الأجوبة عليها، ويعطى الفرصة للتقييم العملى للمناهج والتكتيكات المتبعة والمعتمدة لدى فصائل الحركة الإسلامية.. فهناك مثلاً تكتيكان متبعان فى أوساط الحركة الإسلامية وهما تكتيك الهجوم وتكتيك الدفاع، وبداية فإن تكتيك الهجوم لا يعنى بالضرورة «العنف» كما ان تكتيك الدفاع لا يعنى بالضرورة «عدم العنف»، ولكن نعنى بتكتيك الهجوم التصرف والسلوك النقدى والهجومى على مستوى التصريحات والخطب والبيانات والسلوك السياسى ونعنى بتكتيك الدفاع سلوك التبرير والدفاع عن المواقف ومحاولة كسب ود الخصوم وإبراز نقاط الالتقاء معهم وتبرير الإسلام والحركة الإسلامية كما لو كان الأصل فى الأشياء هو الفكر المجرد، أى أن تكتيك الهجوم يعتمد على الروح المنتصرة ويتصرف انطلاقاً من أن الإسلام هو الأصل..

وهو كذلك بالفعل.. وأن العلمانية سرقت السلطة وسرقت وجدان الجماهير وسرقت كل شيء وأنها سلطات ومؤسسات لقيطة مهما كانت قوية، وأن الحركة الإسلامية هي الترجمة الأمينة والشرعية لوجدان ومصالح الجماهير وماضيها وحاضرها ومستقبلها.. ولعل تجربة الانتخابات في الجزائر تثبت صحة التكتيك الذى اتبعته الجبهة الإسلامية للإنقاذ في سلوكها السياسي وهو التكتيك الهجومي، ولعل الدكتور عباس مدنى قد عبر عن هذه المسألة بصورة مباشرة عندما قال ـ في حوار معه لجريدة الشعب ـ : إن الأمر يشبه إلى حد كبير قطار يتحرك ليدهمك وعليك أن تقفز إلى الأمام باستمرار.. أما لو توقفت لحظة فإن هذا القطار سيدهمك.. وبالتالى فعليك دائماً أن تتقدم إلى الأمام ولا تتوقف مهما كانت الظروف.. أى أن عليك دائماً أن تأخذ زمام المبادرة في مواجهة السلطات المستبدة والعلمانية وأن تكون في حالة هجوم عليها دائماً وليس في حالة دفاع، لأنها لا تريد إلا أن تدهمك سواء هاجمتها أو وقفت موقف الدفاع وبالتالى فليس أمامك إلا التقدم إلى الأمام والهجوم دائماً..

وفى الحقيقة فإن منهج الهجوم صحيح لأسباب شرعية وأسباب موضوعية، فمن الناحية الشرعية فإن الإسلام هو الأصل، هو فطرة الإنسان، وأى خروج عليه هو شذوذ عن الفطرة، وبالتالى فإن دعاة الإسلام يدعون إلى الفطرة ويدعون إلى ما يوافق سنن الكون وتركيبة الإنسان على حد سواء، فما بالك إذا كان الأمر يتعلق بمسلمين، أى أن الإسلام هنا هو الأصل والفطرة وهو عقيدة ودين واختيار ووجدان الناس، وبالتالى فمن الطبيعى أن تتصرف وفق هذه المعطيات، وأن تدرك أن مؤسسات السلطة المستبدة أو العلمانية هى مؤسسات وأفكار لقيطة ومرفوضة جماهيرياً وأنك تعود بالأشياء إلى طبيعتها وأصلها وتعدل الأوضاع إلى وضعها الصحيح.

ومن ناحية التجربة باعتبارها أحد عوامل التقييم، فإن جبهة الإنقاذ الإسلامى فى الجزائر مثلاً ظهرت فى وقت قريب، فلماذا حققت كل هذه الانجازات فى حين

عجزت حركات وأحزاب اسلامية أقدم منها فى الجزائر ذاتها أو خارجها عن تحقيق شىء من هذه الإنجازات، هذا يرجع بالطبع إلى صحة التكتيك الذى اتبعته جبهة الانقاذ وعدم صحة التكتيكات التى اتبعتها الحركات والأحزاب الأخرى، وقد يقول قائل ان لكل بلد ظروفه وأوضاعه وهذا صحيح.. ولكن أنظر إلى الجزائر نفسها تكتشف صحة هذا التقييم لأن هناك حركات وأحزاب إسلامية أخرى فى الجزائر أقدم من الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتخضع بالطبع لنفس الظروف ومع ذلك فإنها لم تحقق شيئاً .. ألا يدل هذا على أن الاختلاف فى التكتيك كان هو الفيصل فى المسألة؟.. وألا يدل هذا على ضرورة دراسة التكتيك الذى اتبعته الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الجزائر على اعتبار انه تكتيك أثبت صلاحيته وجدواه، وهو التكتيك الذى استطاعت به الجبهة أن تحشد خلفها جماهير الشعب الجزائرى بهذه الطريقة العظيمة.

الخروج من الباب والقفز من الشباك

تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الجزائر تطرح سؤالاً هاماً عن مدى قيمة وأهمية الانتخابات البرلمانية والانتخابات عموماً كوسيلة للوصول إلى السلطة بالنسبة للأحزاب والحركات الإسلامية، ولعل ما يثير هذا السؤال هو أن بعض الحركات الإسلامية ترفض مسألة الانتخابات وتعتبرها طريقة غير مشروعة بالنسبة للحركات الإسلامية، وهذه الحركات تفتقر بالطبع إلى فهم دقيق للإسلام وإلى فهم دقيق للظروف الموضوعية، فليس هناك بالطبع ما يمنع شرعاً من استخدام الأسلوب الانتخابى للوصول إلى السلطة، ولا مانع طبعاً من استخدام النضال البرلمانى حتى فى حالة عدم الحصول على الأغلبية، ولا مانع بالضرورة إذا وصلت الحركات الإسلامية إلى السلطة عن طريق الانتخابات.

وينبغى هنا أن نفرق بين أمرين : بين تحريم الانتخابات واعتبارها أسلوباً غير شرعى وبين مقاطعة الانتخابات لأسباب معينة فى ظروف معينة، ونحن بالطبع نرفض الرأى الأول.. ولكن الرأى الثانى هو الصحيح بمعنى أنه رأى يقر بمشروعية

الانتخابات ولكنه يدرس الظروف الموضوعية لها فإذا كانت نزيهة دخل الانتخابات وإذا كانت غير نزيهة قاطع الانتخابات.. وهذا أمر طبيعي لأن الحساب السياسي لأي عملية واجب بديهي على كل حركة أو حزب اسلامي.. وعلى كل حال فإن نجاح جبهة الإنقاذ في الجزائر يؤكد صحة الطريق الانتخابي ومشروعيته بل وجدواه وهذا بالطبع متوقف على الظروف المصاحبة لأي انتخابات، وقد يقول البعض ان الحكومات المستبدة لن ترضى بنتائج الانتخابات وأن نجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر لا يعني أن المسألة قد حسمت.. فربما يحدث انقلاب عسكري أو يتم إلغاء نتائج الانتخابات أو غيرها من الأساليب ورغم أن هذا مجرد احتمال لايمكن الاعتماد عليه في استخلاص المواقف إلا أنه حتى لو حدث فإنه لا يلغي فائدة الانتخابات، لأنه لو حدث هذا فإن الجبهة تكون قد حققت مشروعيتها الشعبية والقانونية بمعنى أن الآخرين سيكونون خارج الشرعية وبالتالي فإن ظروف العمل أو الانتفاضة أو الثورة هنا تكون أفضل كثيراً من حالة حدوثها قبل ظهور نتائج الانتخابات وعلى كل هذا فإن مسلك هؤلاء الذين يرفضون الأسلوب الانتخابي يشبه إلى حد كبير حالة أفراد موجودون في غرفة في طابق مرتفع من بناية مثلاً والباب مفتوح أمامهم ومع ذلك فهم يصرون على الخروج من النافذة والقفز منها رغم ان ذلك غير مضمون النتائج وهذا بالطبع لا يمنع أنه إذا لم يكن الباب مفتوحاً فإن عليهم ألا يستسلموا وأن يحاولوا الخروج من الشباك أو حتى هدم الحائط والنزول على المواسير أما إذا كان الباب مفتوحاً فمن التعسف عدم الخروج منه..

* * *

كيف أدارت الجبهة الإسلامية المعركة الانتخابية ؟

لا شك ان الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر قد أدارت المعركة الانتخابية بطريقة ذكية وبكفاءة عالية.

وبداية فإن الجبهة الإسلامية للإنقاذ قدمت برنامجاً انتخابياً طويلاً ومفصلاً وواضحاً ووضعت حلولاً عملية لكافة المشاكل التي تعاني منها الجزائر، كما وضعت

تصوراً واضحاً لكافة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستطاعت أن توصل هذا البرنامج إلى كافة قطاعات الشعب الجزائرى من شباب ورجال ونساء، متعلمين وغير متعلمين عن طريق الصحافة والخطابة والاتصال الشخصى والمهرجانات والندوات وكانت تصل إلى الناس فى كل مكان، وكانت تخاطب كل فئة بالطريقة التى تفهمها، بل واستخدمت كل اللغات المعروفة فى الجزائر (العربية والفرنسية بل والبربرية).. وكانت الجبهة تعتمد فى حركتها على تنظيم دقيق.. وبرغم الخلافات والمشاكل التى ظهرت فى صفوف الحركة عقب الصدام مع الحكومة ومطاردة وسجن العديد من عناصر الحركة فإن الحركة استطاعت أن ترتفع فوق كل هذه الأمور وأن تدير الانتخابات بكفاءة عالية.

وقد ظهر التنظيم الدقيق للحركة فى مؤتمراتها السياسية الحاشدة وكذلك فى مسيراتها السلمية برغم حضور الملايين لهذه المؤتمرات والمسيرات فإن الهتافات كانت تصدر وكأنها عن رجل واحد وكان النظام والانضباط دقيق إلى درجة مذهلة.

وكذلك كانت المقار التابعة للجبهة تدار بكفاءة عالية فهناك شخص مسئول لكل أمر، هناك من يهتم باستقبال الضيوف ومن يرحب بهم ومن يبتسم فى وجوههم ومن يلبى طلباتهم التى جاءوا من أجلها.. بل ان الطريق إلى المقر نفسه تجد فيه من يدلك على الطريق أو يصحبك بنفسه إلى المقر.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الجبهة استطاعت الاستفادة من المساجد بصورة نموذجية وخاصة صلوات الجمعة وكانت العناصر المنتمية إلى الجبهة تنظم الندوات فى المساجد وتحرص على حضور النساء لهذه الندوات.. وكانت تنظم المرور فى الشوارع المحيطة بالمساجد ساعة الذروة وكان هناك رجال ونساء ينتمون للجبهة يقومون بكل هذا.

واستطاعت الجبهة أن تصوغ برنامجها السياسى ومطالب الجماهير فى شعارات مركزة ودقيقة تعبر عن المضمون الإسلامى وتعكس مطالب الجماهير فى نفس الوقت وهو الأمر الذى جعلها تلقى قبولاً وترحيباً لدى الأوساط الشعبية .

ومن الجدير بالذكر أن الجبهة كانت تحرص دائماً على الهجوم على اليهود فى كل

بياناتها وخطبها ومؤتمراتها وكانت تضع القضية الفلسطينية على رأس أولوياتها مما جعلها تلقى قبولاً شعبياً هائلاً لأن الشعوب المسلمة تكره اليهود بالفطرة وتهتم اهتماماً كبيراً بالقضية الفلسطينية باعتبارها قضية المسلمين الأولى.

«ومن الطريف انه فى التجمعات الحاشدة للجبهة كان الرجال والنساء بل والأطفال يلقون الخطب الحماسية، ففى أحد هذه التجمعات ـ على سبيل المثال ـ خطب طفل عمره (٧ سنوات) وتحدث عن ضرورة أن يأخذ الشباب قدوتهم من خالد بن الوليد والزبير بن العوام وصاح فى آلاف الحاضرين: أين أنت يا أمة الإسلام ؟.. أين أنت من القدس التى تدنس؟!!»..

المكان الحرج والزمان الحرج

جاء الانتصار الإسلامى فى الجزائر فى المكان الحرج والزمن الحرج، ولعل فى ذلك تكمن قيمة هذا الانتصار وآثاره المحتملة البعيدة والقريبة.. فالجزائر ذات بعد تاريخى وجغرافى خطير جداً، فهى بلد الثورة والمليون شهيد وهى التى صمدت للتغريب والفرنسة وهى التى تعرضت لأقسى أنواع القهر وتذويب الهوية ومع ذلك حافظت على إسلامها وعروبتها، وهى أقرب البلاد الإسلامية إلى أوروبا وهى مفتاح أفريقيا، وهى بلد عربى ومذهبها هو المذهب السنى، وهى أكبر بلاد المغرب العربى، وهى تتمتع بتنوع كبير فى المناخ وفى الموارد الاقتصادية المعدنية والزراعية والصناعية.. وهى بلد معظم سكانه من الشباب (٧٠٪ من عدد السكان من الشباب).. وكل هذه الأمور تجعل الانتصار الإسلامى فى الجزائر له أهميته لأنه جاء فى بلد يتمتع بموارد هائلة وهذا معناه أن قيام نظام إسلامى نظيف ووطنى بالضرورة سيدفع بعملية التنمية خطوات جبارة إلى الأمام مما يفتح أمام المسلمين باب التقدم العلمى والتكنولوجى ويشكل عبئاً كبيراً على دوائر الهيمنة الاقتصادية الغربية، وهو بلد معظم سكانه من الشباب وهذا يجعل تلك الطاقات الشابة قادرة على إحداث التغيير المنشود فى كل مجال، وهو بلد يتمتع سكانه أصلاً بخاصية الصلابة والشجاعة والفدائية وهى صفات خطيرة إذا ما تسلحت بالوجدان

الإسلامى.

وهو أكبر بلاد المغرب العربى وهذا معناه أن التأثير على مجريات الأمور فى المغرب العربى سيكون كبيراً ولصالح الحركة الإسلامية ولصالح تلك الشعوب المغربية بالضرورة، ولعل هذا ما جعل الحكومة العلمانية العميلة فى تونس بالذات تشعر بأكبر القلق، لأنها حكومة تعتقل عشرات الألوف من الشباب التونسى وتسوم الشعب التونسى سوء العذاب وتعادى التوجه الإسلامى والوجدان الإسلامى للشعب التونسى.. وعلى كل حال فإن حكومات المغرب العربى بالتحديد ستتعرض لضغط إسلامى وشعبى كبير من الجماهير فى بلادها، وهذا أمر حتمى وتلقائى بالنظر إلى العلاقات المميزة بين شعوب المغرب العربى عموماً.

وهى مفتاح أفريقيا وهذا معناه أن المشروع الاستعمارى والصليبى فى أفريقيا سيجد تحديات اسلامية كبيرة ستغير ـ إن شاء الله ـ معادلات المنطقة لصالح الإسلام.

وهى بلد عربى مسلم سنى المذهب وهذا معناه أن التأثير الحتمى لانتصار المنهج الإسلامى فى الجزائر على الشعوب العربية والإسلامية سيكون كبيراً، لأن الدوائر التى استطاعت أن تحاصر التأثير الإيرانى بدعوى المذهبية والتفريق بين السنة والشيعة أو بين العرب والفرس وغيرها من الدعاوى الجاهلية ستجد صعوبة فى تحقيق هذا الأمر بالنسبة للجزائر العربى السنى.

أما من ناحية مجيىء هذا الانتصار فى الزمن الحرج، فإن ذلك يرجع إلى أن هذا الانتصار جاء فى وقت الصعود الأمريكى الهائل وانفراد أمريكا بالقوة والنفوذ فى العالم وانهيار الشيوعية بل واستعداد القوى الغربية للسيطرة الكاملة على العالم إقتصاديا وسياسيا وعسكريا وثقافيا والقضاء على كل الثقافات المحلية والعالمية الأخرى عبر النمط الثقافى الحضارى الغربى، وهذا معناه أن العالم عموما والعالم الإسلامى خصوصا سيتعرض لنوع من الهيمنة الأيديولوجية الغربية بهدف القضاء على الأيديولوجيات الأخرى، ومما يزيد فى خطورة الموقف أن العلو والاستكبار

الأوروبى كان يستعد للقضاء على الأيديولوجية الإسلامية والنمط الحضارى والثقافى الإسلامى القادر على مواصلة التحدى الأيديولوجى للغرب، ولعل من لطف الله تعالى بالمسلمين وبالعالم بأسره أن يحدث هذا الانتصار الإسلامى فى هذا الوقت بالذات فى الجزائر على اعتبار أنه يعطى دفعة قوية للأيديولوجية الإسلامية، بل وجعلها فى موقف الصعود الثانى على أساس أن تلك الأيديولوجية بها من الحيوية والقيم الإيجابية ما يجعلها هى الأيديولوجية الوحيدة القادرة على قهر النمط الحضارى الغربى وبالتالى ستكون الملاذ الأخير للمسلمين وللعالم المستضعف عموما للالتفاف حولها والدخول فى صراع حضارى مع الغرب والتصدى لهيمنته، وفى ذلك لطف من الله لأنه لو سادت الحضارة الغربية فان العالم المستضعف عموما والعالم الإسلامى خصوصا كان سيتعرض لمزيد من القهر والنهب والتذويب والتغريب، بل إن العالم كله كان فى خطر لو سادت الحضارة الغربية لأنها حضارة بلا قيم أخلاقية ولأنها حضارة ارتكبت العديد من الجرائم بل وتشكل خطرا على مستقبل العالم بأسره ومستقبل الحياة على كوكب الأرض لأنها حضارة بلا ضمير، إذا فالصعود الإسلامى فى الجزائر جاء فى وقت حرج جدا ولعله يكون الفرصة لبداية الصعود والتحدى والصمود أمام الحضارة الغربية المجرمة وإنقاذ البشرية من مستقبل مظلم كان ينتظرها على يد الحضارة الغربية، ولعل من قدر الله تعالى أن يحدث هذا الانتصار فى الجزائر بالذات وهى البلـــد التى خاضت أكبر المعارك ضد الصليبيين «حرب الألف عام راجـــع الفصل الأول»، وهى البلد التى قدمت طارق بن زياد، وهى بلد التى قدمت المليـــون شهيد فى مواجهة الاستعمار الفرنسى.

ومن ناحية أخرى فإن حدوث هذا الانتصار جاء فى وقت حدث فيه سقوط واسع المدى من الحكومات العربية والاسلامية تجاه اسرائيل وصل إلى حد الانحراف المباشر أو غير المباشر بالكيان الصهيونى من قبل جميع الدول العربية التى حضرت مؤتمر مدريد «الأردن - فلسطين - سوريا - مصر - مجلس التعاون الخليجى - الاتحاد

المغاربى» أى كل الدول العربية تقريبا ما عدا السودان والعراق، ووصل إلى حد اسقاط كلمة الجهاد من مقررات قمة داكار الاسلامية!!. ووصل الأمر إلى حد الغاء المقاطعة العربية لإسرائيل واستعداد الكثير من الدول العربية للتعامل الاقتصادى معها، وعلى الجانب الآخر نجد أن اسرائيل تتمسك بعدم الانسحاب من الأراضى المحتلة وتقوم ببناء المزيد من المستوطنات وتستقدم المهاجرين اليهود من كل حدب وصوب، بل وتستعد للتفاوض حول زيادة حصتها من المياه على حساب العرب!!

والانتصار - الذى حققته الجبهة الاسلامية للانقاذ يوقف هذا الصعود الاسرائيلى ويقدم البداية لعودة الجهاد ضد الكيان الصهيونى وإيقاف مسلسل الاستسلام خاصة وأن الجبهة الإسلامية للأنقاذ جعلت القضية الفلسطينية على رأس اهتماماتها وفى مقدمة برنامجها الانتخابى والسياسى والاعلامى.

«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»

لكل الأسباب السابقة وغيرها فإن كثير من القوى أبدت انزعاجها وقلقها من هذا الانتصار سواء من القوى المحلية أو العالمية .

لقد استقبلت الدوائر المشبوهة داخليا وخارجيا هذا الانتصار بالحزن والألم وادعت أنها تلقته بالدهشة، والدهشة التى عبروا عنها بالمفاجأة ليس لها مبرر بالطبع، فليس فى الأمر مفاجأة ولا مدعاة للدهشة، لأنه من الطبيعى أن ينحاز الشعب الجزائرى المسلم إلى دينه وعقيدته ووجدانه ومصالحه فإذا انحاز الانسان إلى نفسه فليس فى الأمر مفاجأة وليس هناك مايدعو للدهشة والحديث عن الدهشة والمفاجأة هنا جاءت كنوع من الدجل السياسى ومحاولة لتطويق الآثار النفسية والسياسية للانتصار الذى حققته الجبهة الإسلامية فى الجزائر على الشعوب المسلمة، أى الايحاء بأن هذا ليس الأصل وأنه من الصعب أن يتكرر، وفى الاطار نفسه أى إطار تطويق الآثار النفسية والسياسية لهذا الانتصار راح الإعلام العلمانى يبحث عن أسباب لهذا الإنتصار بعيدا عن اعتباره أمرا طبيعيا لشعب مسلم يختار الإسلام منهجا لحياته، راح الإعلام العلمانى يتحدث مثلا عن الأزمة الاقتصادية فى

الجزائر، أو الفساد والتفسخ الذى وصلت إليه جبهة التحرير التى تحكم الجزائر، أو الخلافات والمعارك الإعلامية التى خاضتها رموز الجبهة الحاكمة ضد بعضها بعضا أو غيرها من الأسباب، وقد تكون كل هذه الأسباب حقيقية وقد تكون سببا لخسارة الحزب الحاكم للإنتخابات ولكنها لاتصلح وحدها لتفسير فوز الجبهة الإسلامية، لسبب بسيط هو أن الأمر لو كان مجرد رد فعل على الفساد والأزمة أو غيرها لكان من الممكن أن يفوز أحد الأحزاب الأخرى «يوجد ٤٩ حزبا سياسيا معترف بها فى الجزائر» هذا عدا المستقلين مع العلم أن من بين هذه الـ ٤٩ حزبا أحزابا إسلامية أخرى غير جبهة الإنقاذ وأحزابا تضم قيادات تاريخية مثل بن بيلا «حزب التجمع من أجل الديمقراطية» أى أن اختيار الجبهة الإسلامية للإنقاذ جاء كتأكيد على الإنتماء الإسلامى لشعب الجزائر وجاء أيضا لتأكيد قناعة الشعب الجزائرى بالفهم الذى تقدمه جبهة الإنقاذ للإسلام وكذلك لبرنامجها فى الإصلاح استنادا إلى القرآن والسنة، ولو كان الأمر مجرد انصراف عن الحزب الحاكم لكان هذا الانصراف فى اتجاه أحد الأحزاب العلمانية أو عدد منها أو حتى للأحزاب العلمانية والإسلامية جميعا ولكن تركز التأييد على الجبهة الإسلامية للإنقاذ له دلالة اختيار الإسلام كحل واختيار الفهم الإسلامى والأسلوب الإسلامى الذى قدمته جبهة الإنقاذ.

ومن الطبيعى أن الدوائر المشبوهة لم تكتف فى تفسير الأمر تفسيرا مغلوطا أو منقوصا بل راحت تنشر دعاياتها الكاذبة والتقليدية حول خطر الجبهة الإسلامية للإنقاذ على الديمقراطية أو على حقوق المرأة أو الحريات المدنية أو غيرها وبالطبع فإن تلك الأكاذيب المعروفة سوف تسقط سريعا بالنظر إلى أن الإسلام هو أكثر المناهج احتراما للحرية والمرأة والإنسان والجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الجزائر تدرك هذه الأمور وقد عملت على تبديدها أولا بأول مع العلم أن المرأة الجزائرية مثلت (صوتت) لصالح الجبهة وهو الأمر الذى رآه كل من تابع الانتخابات سواء بطريقة مباشرة أو عن طريق الصور المنقولة فى الصحافة والتليفزيون وغيرها.

ومن الطبيعى أيضا أن الدوائر الإقليمية والدولية ستعمل على إجهاض هذا

الانتصار وهى تتحرك الآن بقوة فى اتجاه دفع الجيش إلى عمل انقلاب عسكرى يطيح بنتائج الانتخابات وبالتعددية الحزبية ذاتها، ولعل الدعوات المشبوهة التى صدرت فى هذا الاتجاه تؤكد زيف الادعاء العلمانى والدولى بالديمقراطية، فلو كانوا حقا يؤمنون بالديمقراطية لاحترموا اختيار الشعب الجزائرى الذى تم بحرية كاملة، وعلى كل حال فإن الله من ورائهم محيط، وسوف يكون الوعى الجزائرى لدى الشعب والجيش على حد سواء حجر عثرة فى طريق نجاح هذه المخططات.

على اننا ندرك أن جراب الشيطان لايخلو عادة من الكثير من الأفاعى وأن تلك القوى المشبوهة ستعمل على حصار التجربة وهزيمتها من الداخل فإذا فشلت ستعمل على افتعال حوادث طائفية من قبل بعض العملاء أو تحريك بعض القطاعات البربرية ثم التدخل بدعوى حماية الأقليات، ولكننا نثق أن وعى وإيمان البربر بالإسلام أكبر من المشاكل الطائفية وأن ذلك المخطط سيفشل بإذن الله.

وعلينا أن نتوقع حصارا اقتصاديا وإعلاميا على الجزائر المسلمة حتى لاتصمد الدولة الفتية والنظام الجديد، ولكن هذا أيضا لن يفلح بإذن الله وسيصبر الشعب الجزائرى على كل التحديات.

على أى حال فإن الانتصار الذى حققته الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الانتخابات هو مجرد بداية على طريق طويل وشاق ومملوء بالمطبات والأفخاخ والمؤامرات، ومازال المستقبل يحمل الكثير من المعارك، فالقوى الشيطانية لاتسلم بسهولة والأمر مرتبط باستمرار الشعب الجزائرى المسلم فى حالة رباط وجهاد ويقظة، ونسأل الله تعالى أن يحفظ الشعب المسلم فى الجزائر من كل سوء ويوفقه إلى تحقيق أهدافه التى يعلق عليها المسلمون فى كل مكان بل والمستضعفون آمالا كبيرة.

وغدا تعود الاندلس

لعل أهم النتائج المترتبة على بداية الانتصار الإسلامى فى الجزائر هو البعد الحضارى لهذا الانتصار، ذلك أن هذا الانتصار يعنى أن المنحنى الحضارى الإسلامى سوف تحدث به عملية انقلاب باتجاه الصعود وأن العالمية الإسلامية الثانية قد بدأت

معالمها، وإذا كان المغرب العربى عموما والجزائر خصوصا قد تحمل القسط الأكبر من ويلات الحروب الصليبية الأوربية فإن الإنتصار الإسلامى على الغرب سيبدأ من هذا المغرب العربى بإذن الله وليس من المستغرب بعد مرور ٥٠٠ عام على سقوط الأندلس أن تعود الجزائر لمحمد.. وأنه ليس من الإغراق أيضاً فى التفاؤل أن نقول اليوم الجزائر وغدا تعود الأندلس إن شاء الله .

الفهـــــــرس

نبذة تاريخية ٥
احتلال بلاد المغرب ٢٢
حركة المقاومة ضد الاستعمار فى تونس والمغرب ٢٦
الجزائر المجاهدة تحت حكم الصليبيين ٣٨
الأمير عبدالقادر الجزائرى ٥٠
ثورة ١٨٧١ .... ٥٧
التمهيد لثورة الجزائر ٦٧
جمعية العلماء المسلمين فى الجزائر ٧١
رحلة ماقبل الثورة ٨٦
الله أكبر وانطلقت الثورة ٩٩
خالد ـ عقبة ـ من جديد ١١٠
قراءة فى أفكار أهم الاتجاهات الاسلامية فى الجزائر ١١٧
الجبهة الإسلامية للإنقاذ ١١٩
برنامج الجبهة الإسلامية للإنقاذ ١٢١
الحركة من أجل الديمقراطية « أحمد بن بيلا » ١٦٥
جمعية الإرشاد والإصلاح ١٦٩
الصدام ١٧٣
الانتصار « وغدا تعود الأندلس » ١٧٩
الفهرس ١٩١

هـــذا الكتـــاب

يأتى هذا الكتاب فى وقت يحتاج فيه الجميع إلى معرفة حقيقة مايجرى فى الجزائر، جذوره، أسبابه، تداعياته، وكذلك للإجابة عن سؤال يلح على الجميع وهو ماذا ينتظر الجزائر؟!

والقراءة المتأنية والفاحصة لتاريخ الجزائر القديم والحديث على حد سواء يكشف أن الإسلام هو هوية الشعب الجزائرى وهو تاريخه ومستقبله، ووجدانه وعقله، بل الإسلام هو الوحيد القادر على توحيد الشعب الجزائرى وتفجير طاقاته الجبارة ووضعه على الطريق الصحيح للمستقبل.

لقد تعرضت الجزائر والمغرب العربى لأطول حملة صليبية عرفها العالم الإسلامى، فمنذ دخول الإسلام إلى الجزائر ومنذ أن حمل أهله السلاح دفاعا عن هذا الدين فإنهم لم يلقوا هذا السلاح يوما، لقد تعرضت الجزائر إلى حرب صليبية مستمرة، قبل الحكم الإسلامى للأندلس وأثناءه وبعده وحتى اليوم.

والإسلام هو الذى جعل الجزائر تصمد لتلك الحملات الصليبية، ثم تصمد لعمليات الإبادة والتغريب والفرنسة التى مارسها الاحتلال الفرنسى منذ ١٨٣٠ وحتى ١٩٦٢، وكان الإسلام هو مفجر الصمود والثورة فى ثورة التحرير الأولى ١٩٥٤، ثم فى ثورة التحرير الثانية منذ ١٩٨٩ وحتى الآن.

وصحيح أن الانقلاب العسكرى الذى وقع أخيرا جاء ليؤجل الانتصار الإسلامى فى الجزائر ولكنه سوف يتلاشى سريعا أمام الصمود الجزائرى المذهل واستمرار المسيرة الإسلامية فى الجزائر رغم كل العقبات.

وإذا كان الانقلاب العسكرى قد أخر موعد الانتصار إلا أنه جعل هذا الانتصار الحتمى بإذن الله أكثر روعة وشمولا وأهمية، لأن الانتصار بالثورة أفضل طبعا على جميع المستويات من الانتصار بالانتخابات.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الانقلاب قد كشف القوى الدولية والإقليمية التى تكره الإسلام وتتآمر عليه والتى هى مستعدة للتضحية بما تدعيه من إيمان بالديمقراطية فى مقابل الكيد للإسلام والتآمر عليه، بل وأثبت هذا الانقلاب العسكرى أن الحكم الإسلامى لايوهب بل ينتزع إنتزاعا.

ونحن نثق ثقة مطلقة فى أن الشعب الجزائرى المسلم سوف ينتزع إنتصاره الإسلامى بإذن الله تعالى.

ولينصرن الله من ينصره.....

المختار الإسلامى